

رسائل ابن عربي

تاج التراجم والقسم الإلهي والأحدية
وحلية الأبدال ورسائل أخرى

(٥)



تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح



تحقيق
سعيد عبد الفتاح

رسائل ابن عربي

تاج التراجم والقسم الإلهي والأحادية
وحلية الأبدال ورسائل أخرى



Arab Diffusion Company

رسائل ابن عربي

تاج التراجم والقسم الإلهي والأحادية وحلية الأبدال ورسائل أخرى

تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح

المجلد الخامس



ص.ب. 113/5752

E-mail: arabdiffusion@hotmail.com

www.alintishar.com

بيروت-لبنان

هاتف: ٩٦١١-٦٥٩١٤٨ فاكس: ٩٦١١-٦٥٩١٥٠

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

المحتويات

٩	الإهداء
١٠	كشوفات
١١	مفتح
١٣	مقدمة المحقق

كتاب تاج التراجم

١٩	نصُّ كتاب تاج التراجم ابن عربي
٢٤	باب (١) ترجمةُ الفَهر
٢٦	باب (٢) ترجمة (.....)
٢٨	باب (٣) ترجمة الكبرياء
٣١	باب (٤) ترجمة الفتح
٣٣	باب (٥) ترجمة الإجابة
٣٥	باب (٦) ترجمة التعريف
٣٦	باب (٧) ترجمة الثبات
٣٧	باب (٨) ترجمة العذل
٣٨	باب (٩) ترجمة التعظيم
٤٠	باب (١٠) ترجمة المِنَّة
٤١	باب (١١) ترجمة الغيرة
٤٢	باب (١٢) ترجمة الوجود
٤٣	باب (١٣) ترجمة الجمع
٤٥	باب (١٤) ترجمة التقديس

٤٧	باب (١٥) ترجمة الاستواء
٤٩	باب (١٦) ترجمة الباطن
٥١	باب (١٧) ترجمة الرحمة
٥٣	باب (١٨) ترجمة الموعظة
٥٦	باب (١٩) ترجمة الأنائية
٥٧	باب (٢٠) ترجمة السيادة
٥٨	باب (٢١) ترجمة الوهب
٦٠	باب (٢٢) ترجمة الثَّيِّعَة
٦١	باب (٢٣) ترجمة الكمال
٦٣	باب (٢٤) ترجمة الكتيب
٦٥	باب (٢٥) ترجمة الشريعة والحقيقة
٦٧	باب (٢٦) ترجمة خبيثة «ابن صائد»
٦٩	باب (٢٧) ترجمة التقلب
٧١	باب (٢٨) ترجمة المشاورة
٧٣	باب (٢٩) ترجمة حمد الملك
٧٥	باب (٣٠) ترجمة المغفرة
٧٧	باب (٣١) ترجمة الإخلاص
٧٨	باب (٣٢) ترجمة انبعاث نور الصِّدِّق
٨٠	باب (٣٣) ترجمة الصفِّ الأول
٨١	باب (٣٤) ترجمة الجمع والوجود
٨٣	باب (٣٥) ترجمة فتح الأبواب
٨٤	باب (٣٦) ترجمة مالك المُلْك
٨٦	باب (٣٧) ترجمة الاشتراك بين النفس والروح
٨٧	باب (٣٨) ترجمة القسمة
٨٩	باب (٣٩) ترجمة السبب
٩١	باب (٤٠) ترجمة الأقصى
٩٣	باب (٤١) ترجمة أرض العبادة
٩٥	باب (٤٢) ترجمة الأدب

باب (٤٣) ترجمة البهائم	٩٧
باب (٤٤) ترجمة الشجر	٩٩
باب (٤٥) ترجمة إِيَّاكَ أَعْنِي فاسمعي يا جارة	١٠٢
باب (٤٦) ترجمة الظُّلْمَة والنور	١٠٤
باب (٤٧) ترجمة ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾	١٠٥
باب (٤٨) ترجمة العالم	١٠٦
باب (٤٩) ترجمة العناية	١٠٧
باب (٥٠) ترجمة القضاء	١٠٨
باب (٥١) ترجمة الوئحة	١٠٩
باب (٥٢) ترجمة العبادة	١١١
باب (٥٣) ترجمة الغيب	١١٢
باب (٥٤) ترجمة الوفاء	١١٣
باب (٥٥) ترجمة الفهوم	١١٤
باب (٥٦) ترجمة التوقيع	١١٥
باب (٥٧) ترجمة التسخير	١١٦
باب (٥٨) ترجمة السلب والتزويه	١١٧
باب (٥٩) ترجمة القدرة	١١٨
باب (٦٠) ترجمة الذكر	١١٩
باب (٦١) ترجمة المحبة	١٢٠
باب (٦٢) ترجمة الصرف	١٢١
باب (٦٣) ترجمة النوراني	١٢٣
باب (٦٤) ترجمة قدر القُرْب	١٢٤
باب (٦٥) ترجمة الاستفهام	١٢٥
باب (٦٦) ترجمة الجزاء	١٢٦
باب (٦٧) ترجمة الهادي	١٢٧
باب (٦٨) ترجمة الحجاب	١٢٨
باب (٦٩) ترجمة معرفة الرداء	١٢٩

كتاب حلية الأبدال

١٣٣	نصّ كتاب حلية الأبدال
١٣٥	فصل
١٣٦	فصل
١٣٧	فصل
١٣٩	فصل في الصمت
١٤١	فصل في الغزلة
١٤٣	فصل في الجوع
١٤٥	فصل في الشهر
١٤٧	نهاية الكتاب

كتاب الوصايا

١٥١	نصّ كتاب الوصايا
-----	------------------

كتاب القَسَمِ الإلهي

١٥٩	نصّ كتاب القَسَمِ الإلهي
١٦١	فصل
١٦٢	فصل
١٦٤	فصل
١٦٦	فصل
١٦٨	الباب الأول
١٧٢	الباب الثاني
١٧٨	الباب الثالث
١٨٠	الباب الرابع
١٨٣	الباب الخامس
١٨٥	الفصل الأول: في روحانية الباب الأول
١٨٧	الفصل الثاني: في روحانية الباب الثاني
١٨٩	الفصل الثالث: في روحانية الباب الثالث

١٩١	الفصل الرابع: في روحانية الباب الرابع
١٩٣	الفصل الخامس: في روحانية الباب الخامس

نصُّ كتاب الياء

١٩٧	نصُّ كتاب «الياء»
٢٠٢	تتميم وتكملة
٢٠٤	تُبَيَّن من مناجاة الهو
٢٠٦	ومن مناجاة الأنا
٢٠٦	ومن مناجاة الأن
٢٠٦	ومن مناجاة الأنت:

كتاب الألف وهو الأحدية

٢١١	صور المخطوطات
٢١٣	نصُّ كتاب الألف وهو الأحدية

كتاب أيَّام الشأن

٢٢٧	نصُّ كتاب أيَّام الشأن
٢٣٢	حقيقة
٢٣٤	بيان
٢٣٧	إفصاح
٢٣٩	تتميم
٢٤١	تكملة
٢٥٠	لاحقة

كتاب الفناء في المشاهدة

٢٥٥	نصُّ كتاب الفناء في المشاهدة
-----	------------------------------

للإهداء

إلى شقيقي وقوتي

سيوي الإمام صلاح الدين التيجاني الحسني الحسيني

سعيد عبد الفتاح

كشوفات

مَنْ جَنَى، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَقَّ غَفَّارٌ
غُفِرَ لَهُ
وَمَنْ لَمْ يَجْنِ، وَلَمْ يَفْلَمْ أَنَّ الْحَقَّ
غَفَّارٌ فَقَدْ جَنَى
وَمَا دُمْتَ فِي رِخْلَةٍ فَمَوْطِنُكَ لَيْسَ
بِمَوْطِنٍ

محيي الدين بن عربي

مفتتح

تخيّل من لا يعرف أن الشريعة تخالف الحقيقة
وهيئات لما تخيلوه. بل الحقيقة عين
الشريعة. فإن الشريعة جسم وروح
فجسمها علم الأحكام، وروحها
الحقيقة فما ثمّ إلا شرع

محيى الدين بن عربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْدَمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَي كُلِّ نَفْسٍ، وَلَمْحَةٍ، وَلِحِظَةٍ، وَطَرْفَةٍ يَطْرَفُ بِهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ، وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ، أَوْ قَدْ كَانَ. أَقْدَمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ:

اللهم لك الحمد حمداً دائماً مع خلودك، ولك الحمد حمداً لا ينتهي له دون مشيتك، ولك الحمد حمداً لا يزيد قائلها إلا رضاك، ولك الحمد حمداً ملياً عند كل طرفة عين وتنفس نفس.. ملء ما علم، وعدد ما علم، وزنة ما علم». ثم «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم». صلاة فائقة جميع صلوات خلق الله، دائمة بدوام ملك الله، مضروبة في كل عدد في علم الله، بعدد كل ما في علم الله، وعزفنا بها إياه، معرفة أبدية بمحض فضلك يا الله. ملء ما علم، وعدد ما علم، وزنة ما علم.

أما بعد

هذا هو «المجلد الخامس» من سلسلة الأعمال الكاملة من رسائل محيي الدين بن عربي. وقد أذن المولى سبحانه وتعالى أن تصل لأيدي القارئ في هذه الفترة الوجيزة، واضطلعت مؤسسة الانتشار العربي بطبعها، وسوف نوالي - إن شاء الله تعالى - استكمال ما قدر لنا من تحقيق وطبع هذه الرسائل تباعاً.

أما عن هذا المجلد فإنه يحتوي على ثمانين رسائل كتبت في فترات متفاوتة، ولكن ليست هذه القضية التي سنناقشها، وإنما المعنى عندنا أن هذه الأعمال كلها لابن عربي كتبت بالنور لا بالفكر العام. والفرق بينهما أن صاحب الفكر يظن ظناً، أما صاحب النور الذوقي فإنه يكتب ما يُملَى عليه من القلب. والقلب يأخذ من عند ربه. وكأنه يعاين الأمر

معاينة، ولكي يفهم هذا الكلام ذوقاً لا فكراً فإنه لا بد للقارئ أن ينظر إلى مطلب الحق لا مطلبه هو.

فمثلاً يقول ابن عربي إشارة:

(بالحق تجد الحق فلا تطلبه بك، فإنك ما تجد سواك أيها الطالب)^(١).

فحين تطلب فمرادك الطالب في الحقيقة، وحين تنتظر إلى مراده فتعمل له فإنه يطلبك ما دمت مع مراده.

ولعل هذه الإشارة تتضح حينما نورد هنا ما فعله نبي الله.

قال داود (عليه السلام):

- يا رب أين أطلبك؟

قال:

- يا داود، أنت من أول قدم فارقتني.

قال:

- يا رب وكيف؟

قال:

- لأنك جعلت الطلب منك إليّ، ولو جعلته مني إليك لوجدتني^(٢).

وهذا المعنى لا بد يشدنا إلى معرفة الفرق بين طلب العبد وطلب الرب، وماذا عسى للعبد أن يعمل حتى يطلبه ربه.

أقول: عليه بصدق توجهه إلى الله، فإن الله حين يريدُه يُشْهده، والعبد حين يريد يحبه، لأن الإرادة منك لا توصل إلا إليك. ولا توصل إليه إلا به.

فإن الطلب الحقيقي هو صدق التوجه إليه، لا لشيء ولكن لأنه يستحق منا العبودية فهو رب عظيم.

(١) انظر رسائل ابن عربي. هذا المجلد كتاب: (تاج التراجم) باب: ترجمة البهائم.

(٢) انظر: (حل الرموز ومفاتيح الكنوز) للعر بن عبد السلام المقدسي ص ٩٠. وانظر أيضاً: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية بتحقيقنا طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩١.

فإرادة العبد تحجبه، وإرادة الرب توصله. فاجعل إرادتك إرادته. ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا بحبه، ولا تستطيع أن تحبه حتى تكثر من ذكره، فقد قال الرسول الكريم: (من أحب شيئاً أكثر من ذكره)

وقد يبلغك هذا الذكر الخير الكثير، في الظاهر والباطن دنيا وأخرى. وهذا العلم الغزير الذي يفيض به علينا سيدي محيي الدين بن عربي ثمرة من ثمرات ترك الإرادة لله. فإن تركها له منتهى العمل. يقول ابن عربي:

«اجعل قلبك مثل مكة يُجبي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدن ربك. هذا من الشام، وهذا من مصر، وهذا من اليمن، وهذا من نجد. هذا من كذا، وهذا من كذا.

نعم هكذا وجد ظاهر الصورة. عطّلها الحق في الحقيقة فقال: ﴿رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ لا من الجهات. ولكن أكثرهم لا يعلمون. نسبوها إلى الجهات وما ذكروا الحق فإذا جعلت قلبك مثل مكة تجبي إليه الثمرات حقائق الأسماء، وحقائق الأكوان فلا تقل هذا كون فلا أقبله. الكل من لدنه. وما بعثه إليك إلا لحقيقة فيك تطلبه وإن لم تشعر في الوقت صورة الكمال في العلم والعمل...»^(١).

وحين يسلم القلب الوجهة له تعالى فإنه يملؤه النور اللازم له. فلا يقف معه فهم ولا شيء.

اقرأ هذه الرسائل، وادخل عليها بروحك لا بعقلك فقط. فإن دخلت عليها بعقلك فقط فإنك لن تقرأ إلا نفسك. وإن دخلت عليها بروحك امتلأ قلبك نوراً، وعقلك حكمة، وازدادت بصيرة على البصر والفكر. فلا تحر من نفسك من النور، واقنع بأن هناك إدراكاً أعلى للروح. فزكّها بالذكر تعطك الكثير والكثير. وتجبي إليك ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه تعالى.

المحقق

سعيد عبد الفتاح

(١) انظر: كتاب (تاج التراجم) من هذا المجلد. باب: ترجمة الأدب.

كتاب تاج التراجم

كتاب تاج التاج

سيدنا ومولانا الشيخ محمد بن العربي
رضي الله عنه ونفعنا به
ويعلم به
آمين

وكتبه تزييت المصنف على قوله تعالى للنايون
القائد ون الى اخر الآية الكرمة له رضي الله عنه
وكتبه اصطلاحي الصوفية له رضي الله عنه

وكتبه كتاب اشارات الالهية له رضي الله عنه
وكتبه كتاب سبعة الحق له ايضاً رضي الله عنه

هذه الرسائل الخمسة تأليف
سيدنا ومولانا الشيخ محمد بن العربي
رضي الله عنه ونفعنا به وبأشهر آمين

جلد كذا

عدد ورقه

٨٠

غالب ورقه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على النبي وآله وسلّم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبه أستعين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وسلّم.
اعلموا يا إخواننا من أصحاب الهمم والترقي في الدرجات العلى.
وإياكم أخاطب، ومعكم أتكلّم على طريق التذكّار والتّنبية، لا على طريق التعليم:
أن المنازلات^(١) التي بين حقائق الأسماء

(١) المنازلة: في اللغة: بمعنى المنازلة في الحرب، دون النزول إلى الأرض لقول الشاعر: وعَلَام أركبه إذا لم أنزل؟

أي: لم أركبه إذا لم أقاتل عليه.

ويمكن أن تكون مفاعلة من النزول عن الأمر.

وفي الحديث: (نازلت ربي في كذا...).

أي: سأله مرة بعد مرة.

والنزول بمعنى الضيف، لكن النزول بمعنى المنازلة. (أما عند الصوفية): فيقول ابن عربي: المنازلة: فعل فاعلين، وهي تنزل من اثنين كل واحد يطلب الآخر، لينزل عليه أو به، فيجتمعان في الطريق في موضع معين تسمى تلك منازلة لهذا الطلب.

وهذا النزول من العبد، على الحقيقة صعود. وإنما سميناه نزولاً لكونه يطلب بذلك الصعود النزول بالحق.

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلْبُ الْغَيْبُ وَالْمَلَكُ الْمُدْبِغُ يَرْفَعُهُ﴾.

فهو البراق الذي يسري به إليه، وينزل به عليه.

وخذ المنازلات: من العماء إلى الأرض، وما بينهما فمهما فارقت الصورة العماء، وفارقت الصورة الإنسانية الباطنة الأرض ثم التفقا فذلك المنازلة.

الإلهية^(١)، وبين الحقائق الإنسانية في الإنسان الكامل^(٢) امرأة كان أو رجلاً، تتعدد بتعدد الوجهاً والأسماء. وما عدا هذا الصنف الإنساني فليس له هذا التعميم لعدم كمال الصورة فيه. فمنازلة الحق الإنسانية للطلب بالذلة والافتقار وخلو محلها عن الفكر، وهذا هو الاستعداد العزيز المطلوب الذي لم يقدر عليه أكثر العقلاء، حتى أنكره بعضهم.

أعني: أنكر أن يكون له نتيجة. وأقر بها بعضهم، وسماها الفيض، والروح. لكن عجزوا عن التوصل إليها لغلبة الفكر، وعدم استعمال العبادات المشروعة على ألسنة الأنبياء ﷺ.

وإن كانت لهم عبادات، ومناجاة، ورهبانية ابتدعوها غير أنها لم تقم على ساق التوحيد، ولا بناء صدق. فلهذا لم يشتموا منه رائحة من الإلهيات. ولا كانت لهم منازل خارجة عن

= فإن وصلت إلى الماء، أو جاءها الأمر إلى الأرض فذلك نزول لا منازل. والمحل الذي وقع فيه الاجتماع: منزل.

وتسمى هذه الحضرة التي منها يكون الخطاب الإلهي لمن شاء من عباده حضرة اللسن، ومنها كلم الله تعالى موسى ﷺ. ألا تراه تجلّى له في صورة حاجته. ومن هذه الحضرة أعطى رسول الله ﷺ جوامع الكلم، فجمع له في هذه الحضرة صور العالم كلها فكان علم أسماء هذه الصور علم آدم ﷺ وأعيانها لسيدنا محمد ﷺ مع أسمائها التي أعطيت لآدم ﷺ فإن آدم من الأولين الذين أعطى الله سيدنا محمد ﷺ علمهم حين قال: (أعطيت علم الأولين والآخرين).

انظر: ابن منظور: لسان العرب مادة (ن زل)، ابن عربي: الفتوحات المكية، ٥٢٣/٣.

(١) (حقائق الأسماء الإلهية): هي تعينات الذات، فإن حقائق الأسماء الإلهية القائمة بالذات المقدسة، المتعالية عن التغير والتبدل ليست هي هذه الألفاظ المركبة من الحروف المفردة المتغيرة والمتبدلة، والمختلفة باختلاف اللغات وتبدل تراكيبها وتغييرها، وإنما هذه الألفاظ هي أسماء تلك الأسماء ودلالات عليها، وتلك المعاني والحقائق القائمة بالذات فهي مدلولاتها ومعانيها. فإن حقيقة اسم (الله تعالى) إنما هو تجلّي الذات الأقدس وتعيينه من حيث إنه واحد جامع لجميع التجليات والتعينات قائم بالذات. فلفظة «الله» كلمة عربية معناها عين معنى (خداي) بالفارسية وكلمة (تنكري) بالتركية متغيرة ومتبدلة، ومختلفة، ومتحوّلة، وحقيقتها تجلّ عن التغير والتبدل.

انظر: القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الإلهية، بتحقيقنا ٤٢٨/٢.

(٢) (الحقائق الإنسانية..): هي حضرة المعاني، وهي التعين الثاني والمعنى بكونها الحقائق الإنسانية الكمالية هي كون صورة الإنسان الكامل صورة لمعنى وحقيقة ذلك المعنى، وتلك الحقيقة هي حضرة الإلهية المسماة بالتعين الثاني فكان الإنسان الكامل هو مظهر التعين الثاني، والإنسان الأكمل هو مظهر التعين الأول المسمى حقيقة. الحقائق (وهو سيدنا محمد ﷺ) أما الكامل هو القطب.

انظر: القاشاني: المعجم، ٤٢٧/٢.

طور العقول. فإن الهمم تعلقت منهم بما في العالم العلوي، والعقل الأول^(١)، والنفس الكلية^(٢) والعقول من الأسرار واللطائف. فوكلهم الله لما اعتقدوه، وربطهم بما قصدوه فخرموا السعادة الأبدية، والكشف، والمشاهدة، وخالص التوحيد. فلم يكن لهم تلك الهمة القويّة، وصار الخطاب لهم من خلف وراء حجاب الكون فلم يسمعوا منه!

وكيف يسمعون منه وهم محجوبون بما اعتقدوه؟

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾^(٣) فما دام المخاطب

(١) (العقل الأول): هو أول جوهر، قَبِلَ الوجود من ربّه، ولهذا يُسمى بالعقل، لأنه عقل عن ربه، وهو أول من عقل وقَبِلَ فيض وجوده. هكذا قال القاشاني.

أنا الجيلي فقال: إن العقل الأول هو محل الشكل العلمي الإلهي في الوجود لأنه القلم الأعلى ثم ينزل منه العلم إلى اللوح المحفوظ، فهو إجمال اللوح وتفصيله، بل هو تفصيل علم الإجمال الإلهي، واللوح وهو محل تميّنه وتنزله. ثم في العقل الأول من الأسرار الإلهية ما لا يسمعه اللوح، كما أن في العلم الإلهي ما لا يكون العقل الأول محلاً له. فالعلم الإلهي هو أم الكتاب، والعقل الأول هو الإمام المبین، واللوح هو الكتاب المبین.

فاللوح مأموم بالقلم، تابع له. والقلم الذي هو العقل الأول حاكم على اللوح مفضل للفضايا المجملة، في دواة العلم الإلهي المعبر عنها بالنون.

والفرق بين العقل الأول، والعقل الكلّي، والعقل المعاش.

• أن (العقل الأول): هو نور علم إلهي ظهر في أول تنزلاته التعيينية الخلقية، وهو أقرب الحقائق الخلقية إلى الحقائق الإلهية.

• أنا (العقل الكلّي): فهو القسطاس المستقيم، أي: ميزان العدل في قبة اللوح. وهو المدركة النورية التي ظهر بها صور العلوم المودعة في العقل الأول.

• أنا (العقل المعاش) هو النور الموزون بالقانون الفكري، فهو لا يدرك إلا بآلة الفكر، ثم إدراكه بوجه من وجوه العقل الكلّي فقط. لا طريق له إلى العقل الأول.

انظر القاشاني: معجم المصطلحات الصوفية، بتحقيقنا ١٥٣/٢. عبد الكريم الجيلي: الإنسان الكامل ٢٧/٢.

(٢) (النفس الكلية): يُسمونها: الزمردة. تسمية إشارية ويقول القاشاني: فلما تضاعفت فيها الإمكانات من حيث العقل، الذي هو سبب وجودها من حيّة نفسها أيضاً سميت باسم جوهر، وُصِفَ باللون الممتزج بين الصفرة والسواد.

وانظر ما قيل في العقل الأول والعقل الكلّي.

انظر أيضاً القاشاني: رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال، ص ١٣٠ بتحقيقنا. واصطلاحات الصوفية، بتحقيق د/كمال جعفر، ص ٥٥، وهامش السير والسلوك، بتحقيقنا ص ١١٤.

(٣) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية رقم (٥١).

ينطلق عليه اسم البشر، ولم يتجرد عن بشريته، فإن الخطاب له على غير العين، ولما لم يكن في العالم فاعل على الحقيقة إلا الله، الذي له الاقتداء التام الكامل كان هو المخاطب، عباده المحجوبين وغير المحجوبين.

ويقع التفاضل في الطائفتين على حسب ما تعطيهن مقاماتهن ولهذا قال:
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَسْلِيمًا﴾^(١).

إشارة إلى فضله على غيره بخطاب مخصوص على رفع الحجاب، لم يسمعه من ذلك المقام غيره. فإذا تبين لك أن المنازلات إنما تحصل بامتثال أمور الشرع على أتم الوجوه، وتجريد التوحيد، والدخول في الحضرات بأوصافك لا بأوصافه، والتلقي منه بما يناسب الصورة المقدسة منك. فينبغي لك إن كنت عاقلاً أن تتجرد لهذا الطلب على هذا الحد.

واعلم أن صاحب الكتاب كاليهودي والنصراني إذا وقى أمر كتابه الذي أنزل عليه، قبل نشيجه بشرعنا، وتجرد كما وصفه أهل طريقنا أدرك من هذه المنازلات والواردات ما شاء الله بخلاف من عبد عقله واتبع رأيه، وإن ركب أعظم المشقات في ذلك؛ لأنهم اتخذوا قوة ما لم يجعلها الله قربة. بل شرعوا ذلك على حسب ما تُعطيه حقيقة الذي يطلبون منه. أعني: من الوسائط الذين نصبوهم شركاء لله تعالى؛ كالكواكب وغيرها. فتوسلوا إليها بأذكار ودعوات تعطيهما حقائقها حملتهم عليها العادات، وما ربط الله فيها من الحكم.

• فمنهم: من عبد الملائكة، لما كانت عندهم أقرب إلى الله تعالى بمنزلة الوزراء من الملوك. فقاموا فأخطأوا، وفكروا فما أصابوا. ولله في خلقه مكرٌ خفي، واستدراج لطيف.

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِمَ آَعَنَلَهُمْ فَمَا يَكْفُرُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَكَّرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا﴾^(٥).

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم (١٦٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة النمل، الآية رقم (٤).

(٣) القرآن الكريم، سورة النمل، الآية رقم (٥٠).

(٤) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآيتان رقم (١٨٢، ١٨٣).

(٥) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية رقم (٨).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْسَبَنَّ أَنَّهٗمۡ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١).

وأودع الله أسرارہ في العالم العلوي والسفلي. فالعالم كله رفيع، وليس بين حقائق العالم مفاضلة. فيقال: هذا أشرف من هذا من جهة الحقائق والذوات. فالعالم كله رفيع بلا انضاع، وذلك أن كل حقيقة في العالم مربوطة بحقيقة الإلهية هي حافظته، فكله فاضل شريف رفيع بلا ضد. فالشرف والانتضاع إنما هو إما الغرف، أو ما قرره الشارع فمن هناك تقول شريف وأشرف، ووضع وأوضع. فمن فهم ما أشرنا إليه استراح في العالم، وعرف أنه خير محض محسن لأنه صنعة الحكيم، لا شريك له. فعل ما ينبغي كما ينبغي لما ينبغي. وأما صور تلقيات الموحدين الخطائية، فهو أن تنبعث اللطيفة الإنسانية مجردة عن الفكر، طالبة ما لا تعلم ممن لا تعلم منه إلا نسبة الوجود إليه بتقيدها به. فإذا نزل هذا العقل بحضرة من الحضرات نزل إليه بحكم التدلي، أو تَرَزَ له، أو ظهر له اسم من الأسماء الحسنی بما فيه من الأسرار، فيهبه بحسب تجريده، وصحة قصده، وعصمته في طريقه. فيرجع إلى عالم كونه عالماً بما ألقى إليه من علم ربّه برّه، أو من علم ربه بضرب من كونه.

ثم ينزل نزولاً آخر. هكذا أبداً.

﴿وَمَا آدَرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ إِنْ أُلِّعَ إِلَّا مَا يُوْحِّ إِلَيَّ﴾^(٢). وهو خير البشر، وأكثرهم عقلاً، وأصحهم فكرة وروية. فأين الفكر هنا. هيهات. تليف أصحاب الأفكار، والقائلون باكتساب النبوة والولاية.

كيف لهم ذلك والنبوة والولاية مقامان وراء طور العقل؟ ليس للعقل فيهما كسب، بل هما اختصاصان من الله تعالى لمن شاء. وليس العجب عندي إلا من القائلين بهذا المذهب مع قولهم: إن العقل ليس بمادة ولا في مادة، وإنه مستحيل عليه الفكر. وإن له إقبالاً على موجدہ بطريق الذلة والعجز والافتقار للمواهب الإلهية وله إقبال بطريق العزة والسلطان، والإفادة على غيره، وهنا سِرٌّ غاب عنهم. لو عرفوا كيفية تلقّي العقل من الله تعالى المعارف التي عنده لرأوا أمراً عظيماً. فانظروا فقره إلى موجدہ فقراً ذاتياً.

والله المؤيد بالعصمة والفتاح باب الرحمة

(١) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية رقم (١٠٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأحقاف، الآية رقم (٩).

باب (١) ترجمة القهر

قال العبد الفقير إلى الله تعالى:

من جهل مقامه سفهت أحلامه، ونكست أعلامه.

لطيفة: إذا كنت في مقام ما مغلوباً فانظر إلى من غلبك. فإن كان غلبك مثلك فنفسه غلب، ولا تجده إلا كذا.

إشارة: ثم مقام يجب عليك فيه تعرف بذاتك من جهلك. كما قال ﷺ: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)^(١). لأنه قصد التعريف.

لطيفة: عرك في أن تجهل، وإذا جهلت حقرت، وإذا حقرت غُلبت، فلا تنتصر.

إشارة: من استهين مُنع ما يكون لأهل الرفعة.

إشارة: إذا مُنعت فذاك عطاؤك، وإذا أُعطيت فذاك منعه، فاختر الثرك على الأخذ.

لطيفة: الوجود منزلان.

والعمارة واحد.

فإن شئت قسمتها على السواء بين المنزلين.

وإن شئت رجحت.

(١) حديث: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)، رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة. ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري. بهذه الرواية وفيه زيادة.
انظر العجلوني: كشف الخفاء، ٢٠٣/١، حديث رقم (٦١٦).

لطيفة: العزيز من لا يُغلب، ما عجز العزيز على نُصْرَةٍ من غُلِبَ ولا عن خُذْلان من غَلَب. ولكن لا بدّ من غالب ومغلوب، لأنه لا بدّ من حقٍّ وخُلُقٍ.

لطيفة: ليست الإهانة إهانة الأشكال، وإنما الإهانة إهانة المتكبر بالتكبر، فإنه يحجبك عنه. فلا تُهن مثلك ولا من خُلق لأجلك. فإذا لم تقم به إهانة موجود فما عندك إهانة، فلا تتوجه عليك إهانة منه فإنها تطلب محلها. إذ التعشُّق لا يصح إلاّ بين الأمثال وهو الدّاعي إلى الحركة. وهو لا يهين. لأن الإهانة لا تقوم به.

فإهانتك رجعت عليك وأهانتك، وَمَنَعَتِكَ الخير الذي كان عندك، في الوقت الذي كانت إهانتك على مثلك فانتقل الخير إليه بانتقال الإهانة.

ولا تقف مع الإهانة المعتادة فإن حكم العادة موضوعة، لها فرش مرفوعة.

إشارة: إنّما هو عمك مردود عليك، فاجني ما غرست.

باب (٢) ترجمة (.....)

- إشارة:** لو صعدت جبل «قاف»^(١) لَكُنْتُهُ.
 فإذا كُنْتُهُ لم تَمِذْ^(٢) أرضك.
 فإذا لم تَمِذْ أرضك ثبتت العمارة.
 فإذا ثبتت تفرجت، وعُرفَ قَدْرُكَ؛ فشكرت.
لطيفة: كل ما وقع عندك فهو منه، وقد حجبتك عنه فيه بنفسك، فله انظر، لا للحجاب.
لطيفة: انظر أدوات تركيبك الماسكة له!
 هو الماسك ليست هي!
لطيفة: الرقائق منه في العروق منك موضع سريان الحياة فحافظ عليها، ففيها تشهده.

- (١) جبل (ق): أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له «ق» السماء الدنيا مترفرة عليه، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأراضي سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له «ق» السماء الثانية مترفرة عليه حتى عد سبع أرضين، وسبعة أبهر، وسبعة أجبل قال: وذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمُودُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْهَرٍ﴾.
 وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه، وأبو الشيخ، والحاكم عن عبد الله بن بريدة في قوله تعالى «ق» قال: جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كتفا السماء.
 وأخرج ابن أبي الدنيا في (العقوبات) وأبو الشيخ في (العظمة) عن ابن عباس قال: خلق الله جبلاً يقال له (ق) محيط بالعالم وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض.
 انظر السيوطي: الدر المنثور، ٥٨٨/٧، سورة (ق).
 (٢) من ماد: تميد إذا تحركت ومالت.
 وفي الحديث: (لما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرسلها بالجبال).
 انظر ابن منظور: لسان العرب، ٤٣٠٥/٥. مادة: (ميد).

إشارة: إذا خاطبك فلا تسمع خطابه إلاّ به، فإنه يغار أن يسمعه غيره. وما ثمّ غيره، فنزّهه.

لطيفة: انظر في قوله: أنا معك أين كنت^(١).

توصيلاً لفهمك. ما له أئبئة. فإذا لم تكن له أئبئة فهو معك.

وإذا كانت الأئبئة فأنت معك لا هو، وأنت بيروه فيشره معك، وسره حفظه فحفظه معك، وحفظه ثمره صفته فصفته معك، وصفته لا هي غيره فهو معك. فانظر ما بينك وبينه من الوسائط، إذا كنت في الأين، وانظر ما أقربك منه إذ لم تكن أئبئة.

إشارة: إذا ظهر لك بعد فنائك أبقاك بظهوره، لرؤيته. وخلّع عليك الخلع لأنك في حضرة مشاهدته. فكنت بلا كؤن لوجود خلعتك عليك. فخلعتك كرامة، وكرامة الكريم تُشبه الكريم. فمن ظهرت عليه الكرامة سكت عنها، ونطق بالكريم، فتوهم الأجنبي الاتحاد، وليس كذلك.

وإنما المحقق غيور على نفسه، أن ينطق بغير ربه، وما كان منه. لأنه به مشغوف، وعليه ملهوف، وبه متلوف. فليعذر فقد عذره، فإنه أشهد ما ذهب بعقله في الداهيين.

لطيفة: يا أيّها المنكر ما جاء به هذا المحقق من ذهول عقله، ألم تذهل عقولكم عند وقوع أدنى حادث من حوادث كونه تعالى؟

أما لكم في ذلك معتبر!

ما أسعد المجنونين به!

هُم ضنائنه^(٢)، لا يُعرفون.

(١) انظر إلى الآيات في قوله تعالى: ﴿وَمَوْ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ سورة الحديد، الآية رقم (٤).

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ...﴾ سورة المائدة، الآية رقم (١٢) وغيرها.

(٢) (ضنائن): هم الخصائص من الله تعالى (أي: أهل الخصوصية) الذين يرضى بهم لنفاساتهم عنده، وعلو شأنهم لديه كما في حديثه ﷺ: (إن لله ضنائن من خلقه ألبسهم النور الساطع).

وقوله ﷺ: (إن لله ضنائن من خلقه يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية).

انظر الفاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، ٧٥/٢، والحديث رواه ابن منظور في لسان العرب، أثناء الكلام عن مادة (ضنن) ومن هامشه أنه الصاغاني قال: هو من الأحاديث التي لا طرق لها. ومع هذا فإن معناه صحيح.

انظر: اللسان، ٢٦١٤/٣ (ضنن)، وأورده السيوطي في جامع الصغير، وقال: رواه الطبراني في معجمه الكبير، وأبو نعيم في الحلية، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

انظر: الجامع الصغير، ٩٥/١.

باب (٣) ترجمة الكبرياء

لطيفة: تكبر على من تكبر على الله فهو تواضعك.

ولا تواضع تحت كبرياء المتكبرين، وإن كنت تعلم أنه من الله، وإن الكبر صفته، ولكن للمحال حُكم من أحكامه.

لطيفة: إذا رأيت متكبراً فتواضع له، فإن حقيقته عبدٌ فتذكره بتواضعك فترتاح النفس إلى أصلها من حيث لا تشعر فيجئك.

فإذا أحببت قوبك، وإذا قوبك اشتهى خدمتك، فأسمعه حقيقة سياسة من حكاية، أو ضرب مثلي في مسامرة ومنازعة حديث يجدها من نفسه فيقبل فتكون معلّمه فتنتقل رياسته إليك، وأنت متحقّق بالله، فتردّها إلى الله، فإن الله لا يأخذ إلاّ بمنّ يعرفه لأنّ العارف يتأدّب في العطاء.

إشارة: ليس التواضع تنكيس الرأس، ولا الخدمة، ولا القيام بحق كذا. كلّ ذلك تملّق، وتمكّن في الرياسة وإنما التواضع استصحابك لمعرفتك بالله.

وإذا عرفت نفسك عرفت ربك، وإذا عرفت ربك عرفت ما لك عنده، وما له عندك.

فأعطيته ما له، وطلبت منه ما لك. فإن أعطاك ما ليس لك اختباراً فردها عليه، أو أخرج بها في موضعها تقوى معرفتك.

لطيفة: أتعرف ما قال القائل، ولم تعرف من نطقه، ولا ما قال:

إِلَهُ يَبُولُ الشَّعْلَبَانِ بِرَأْسِهِ
لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الشَّعَالِبُ^(١)

وقول «ابن الجموح»^(٢) لصنمه:

إِنَّكَ لَوُكُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ
أَنْتَ وَكُنْتَ وَشَطَطَ بِثَرٍ فِي قَرْنٍ

تخيّلوا أن الألوهية فيمن عبده، فقضى الله حاجاتهم عند توجيههم إلى آلهتهم مكرراً بهم، واستندراجاً، وغيره على الجناب الإلهي. إذ لولا توهمهم وجود الألوهية فيها ما عبدها. والله نزلهم وأعطاهم ما نواوا في الدنيا. فلا تأمنوا مكر الله. ولما غفلوا عن معبودهم، ولم يتعلّقوا به، وغاب سرّ توجيههم إليه تمكّن من العبث به، فكان في ذلك هداية قوم فاشكروا الله الذي دعاكم لما يُحييكم.

إشارة: ما تقول فيمن تواضع لمن لا يعقل تواضعه، ولا يتصور منه تكبر. هل يكون ذلك تواضعاً؟

(١) هذا البيت قاله العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضرب، أبو الهيثم. وهو شاعر فارس، من سادات قومه، وأمّه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم ويدعى فارس الثّبيد وهو فرسه، وكان بدوياً فحاً، لم يسكن مكة ولا المدينة، فإذا حضر الغزو مع النبي ﷺ لم يلبث أن يعود إلى منازل قومه، وكان ممن ذم الخمر وحرّمها في الجاهلية. مات في خلافة عمر.

وهذا البيت مستوحى من المثل القائل:

«ذلّ من بالّت عليه الشعالب»

وأصله أن أعرابياً كان يأتي صنماً في بعض الصحارى فيسجد له، فأتاه يوماً فوجد ثعلباً يبول عليه.

(٢) «ابن الجموح» هو: عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها، وكان سيداً من سادات بني سلمة وكان قد اتخذ في داره صنماً، قبل أن يُسلم - من خشب - يقال له: (مناة) فلما أسلم فتيان بني سلمة معاذ بن جيل، ومعاذ بن عمرو بن الجموح مع فتيان مثلهم، كانوا يحضرون بالليل على صنمه فيحملونه ويطرحونه في بعض حفرة بني سلمة في عذار الناس وفضلاتهم.

فلما أسلم وعلم ذلك سب صنمه وقال فيه ما قال. وهذه الآيات المذكورة هنا، في سيرة ابن هشام.

انظر ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٥٢/١، قصة صنم عمرو بن الجموح.

لأن التواضع ذلّة تحت قهر المتكبر في نفس المتواضع، وما نَمّ متكبر.

جواب: هذا المتواضع لهذا الصنف لم يتواضع له في نفسه. الكبرياء خلف حجاب العزّة، فهو يتذلل في نفسه لنفسه وهو لا يشعر. وأَيْفَ من ظله، واعتمد على عبادة الظلال.

باب (٤) ترجمة الفتح

- لطيفة:** أنت الكون، والله المكوّن فتح الوجود بك، وأنت المفتاح للوجود، فأنت عنده. ولا يعلمك إلاّ الله.
- إشارة:** أتدري أول باب فتح الله بك باب نفسك.
- فلما ظهرت استكبرت؛ فجوّعك فافتقرت.
- لطيفة:** ما أعزّ طينة آدم، حيث نظر الحق إليها، وتولاها بيديه.
- فليس العجب من سعادة الإنسان، وإنما العجب من شقاوته.
- إشارة:** لو كانت النفخة واحدة لكان الشقاء يعم الجميع، أو السعادة. وإنما كانت نفختان كما كانت قبضتان.
- لطيفة:** انظر فإن النفخة الواحدة من النافخ تطفئ السراج، وتُشعل الحشيش، الذي فيه النار.
- فَلِمَ ذلك؟! أَلِلْمَحَلُّ أَمْ لِلنَّفْخَةِ؟
- لطيفة:** الكون كون الحق، لا كون الإنسان.
- والإنسان المفتاح لذلك الكون. فهو المفتاح، وبه يقع الفتح. وعند الفتح تخرج الأسماء إلى الإنسان فمنهم من يشقى بها، ومنهم من يسعد.
- إشارة:** المفاتيحُ مفتاحان، بأسنان، وبغير أسنان، فيا ليت شعري. الإنسان أيّ مفتاح هو.

إشارة: الإنسان مفتاح كون الوجود، وكون العبادات. به ظهر الأزل، وهو يفتح باب الأبد.
لطيفة: ازم المفتاح أيها الإنسان واهرب إلى الله يُسعدك سعادة الأبد.
قل «لأي يزيد»^(١): اترك نفسك وتعال.

(١) (أبو يزيد): طيفور بن عيسى بن سروشان، وكان جده سروشان مجوسياً فأسلم، وهم ثلاثة أخوة: آدم، وطيفور، وعلي. وكلهم كانوا زهاداً، عباداً، أرباب أحوال، من أهل بسطام ومات سنة ٢٦١هـ.
كان يقول: قعدت ليلة في محرابي، فمددت رجلي. فتهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب.
انظر ترجمته في: السلمي: طبقات الصوفية، ٦٧. أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣٣/١٠. الشعراني: الطبقات، ٨٩/١. الرسالة القشيرية، ١٧. ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٨٩/٤. ابن العماد: شذرات الذهب، ١٤٣/٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٥/١١.

باب (٥) ترجمة الإجابة

- إشارة: ما تَمَّ إلاَّ عبدٌ وربٌّ. فإليه تصعد وإليك ينزل. كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(١) وينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا.
- لطيفة: هو منك كحبل الوريد فلا تنظر إلى سواه. فإنك إن نظرت إلى سواه لم تنظر إلاَّ نفسك. ونفُسُك الحجاب عنه فلن تراه.
- إشارة: من كان إلى الله طريقه لا يعرف الكون. فإن الكون لا يوصل إليه. لأنه لو وصل إليه لكان حدًّا له، وليس بحدٍّ لشيء.
- لطيفة: معرفة الحق وهبة، ولك التلقِّي. فبيئُك وبين الوهب مناسبة الكون.
- فمن الحق تعرف الحق لا من الخلق.
- وبالحق تعرف الخلق لا بك.
- فالزم الحقَّ للحقِّ تجد الحقَّ.
- فلا تطلب الحق من الطُّرُق، فما تَمَّ طريق إليه لارتفاع الارتباط بين الحدوث والقدَم.
- إشارة: انظر علمك بالحق من الحق، تجده غير متصوّر لك. فذلك هو المعلم، وكل علم متصور لك فهو كون.
- لطيفة: علم الحق لك ليس صورة.

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية رقم (١٠).

فالحق في علمك لا يتصور، فإنه ليس بصورة. ولا يقبل الصورة. لكن يُعلم، وعلمه ليس غيره وعلمه به عين علمه.

والعلم ليس المعلوم فإن الإنسان يعلم شيئاً، وليس هو ذلك الشيء.

والعلم أيضاً قد يكون المعلوم، فإن بالعلم يُعلم العلم فلا تُنكر أن العلم عين المعلوم. فقد أريتك.

باب (٦) ترجمة التعريف

إشارة: من كان على أمر الحق لا يتقيد إلا بالحق.

ومن لم يتقيد إلا بالحق كان كما قيل:

وَلَوْ تَنَزَّلُ الْأَيَّامُ مَا اشْبَهِيَ مَا دَرَثَ

وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

لطيفة: كل طائفة اصطلحت على لغة ولسان للتوصل فاجعل طائفتك معالم الحق. فانهم عنه واحفظ لسانه ولغته.

إشارة: اجعل «متى» ينك وبين العالم الحق.

فإن سُئِلَتْ عنها «بمتى» أجب بك.

وإن سُئِلَتْ عنك بـ «متى» أجب بها.

إشارة: من قال: الزمان حركة الفلك.

فقد كانت أشياء ولا فلك.

ومن قال: الزمان مقارنة بين أمرين بـ «متى».

فلم يزل الزمان يصحب الأشياء.

فلا معارضة في الاصطلاح. فقد اجتمعت المذاهب. فقل للذاهب فيما لا يعنيه لجهله، هو فيما يعنيه لعلمي، وهو لا يعلم.

باب (٧) ترجمة الثبات

إشارة: العلم بالله مزية القدم إلّا من ثبته، أي: ثبته الله. ولا ثبات إلّا لأصحاب الحدود الموفين بالعهود، الموقنين بالوعد والوعيد.

إشارة: من طلبه بالفكر وقوة العقل لم يحصل من المعرفة بالحق على طائل.
كيف يطلب من يقبل المثل والنظير من لا مثل له ولا نظير؟! أفلح العقلاء إن اقتصروا على الوجود، ووقفوا مع السلب. ومن تجاوز منهم إلى الإثبات هلك. فإنك لا تثبت له إلّا ما أنت عليه.

هذه مزية الأقدام فتحفظ، وأعني معرفة الذات لا غيره.

لطيفة: واعلم أنه إذا وهبك من العلم به ما وهبك، فلا يهبط حتى يُعذك لذلك؛ فيصطنعك لنفسه، فتقبل منه ما يلقي عليك من العلم به. فقد أعطى وجود القبول منك لمواهبه أمراً يربطك به، لولا ذلك لم تعرفه من حيث الوهب، ولا قبلت منه فالعلم بالله اختصاص غير مكسوب، فلا تتعنى في طلب معرفته منك، واطلب الحق من الحق تجد الحق أقرب إليك منك كما قال.

باب (٨) ترجمة العدل

- إشارة: الحق يجازي العبد بما يكون منه فاشكر نفسك أو لفها.
- لطيفة: للمَوَاطِنِ حُكْمٌ.
- وفعلُ الحقِّ بحسبِ المواطنِ فإنه حكيم.
- لطيفة: ارحم من وافق الحق، ومن خالفه؛ رحمة له.
- فإن ذلك قَسِيه.
- فإن الكافر إذا رَجِمَ المؤمن خُفِّفَ الله عنه.
- وإذا رحم المؤمن الكافر وُقِيَ الله له.
- الْكُلُّ خلقُ الله، ومضاف إليه. فتعظيم خلقه تعظيمه فطوبى لمن رَجِمَ خلقه، ولا يلزم من رحمهم أن يُلقَى إلى أعداء الله بالموَدَّة.
- ارحمهم من حيث لا يعلمون.
- لطيفة: السعيد من نظر الحق في الخلق، لا من نظر قضاء فيهم، وإن كان سعيداً، فهو دون ذلك.
- قال بعض أئمتنا: من نظر الخلق بعين الحق رَجَمَهُمْ، ومن نظرهم بعين العلم مَقَّتَهُمْ.
- إشارة: لله أمرٌ، وإرادةٌ، فانظر أيُّ الطريق أنجى لك فاسلك عليها.
- إشارة: الرحمة من الله تتبع الرحماء حيث كانوا، وتتخلَّلهم وإن كانوا بين أطباق الثرى.
- إشارة: لو سَلَطَ على الخلق، من اسمه القاهر، أدنى شيء لتلاشوا.
- والمراد البقاء. والرحمة لها البقاء، فالرحمة تُبْقِيهم ولو كانوا في العذاب.

باب (٩) ترجمة التعظيم

إشارة: إذا تجلّت لقلبك العظمة، وقيدتك فلم تطرف فلا تتوقف عندها، واهرب إلى الله تعالى فإنها تملكك.

إشارة: غلط من بقي له رسم عنده، عند تجلّي العظمة إلى قلبه، فيقيده الأدب. ذاك تجلي الحضور فيقول هي العظمة.

إشارة: لا يهولك مخلوق فمن هاله مخلوق أهلكه، ومن أهلكه مخلوق فليس للحق، ولا يرى الحق.

وكيف يرى الحق من حكم على قلبه غير الحق؟

لطيفة: احذر الحق فإنه تاركك مع من تقف عنده ولا ييالي. فلا تقف إلاّ عند الحق، وبالحق.

لطيفة: المحامد تطلب الإنسان. والربوبية تطلب المحامد. والعالم يطلبون الربوبية.

ولو نظروا لرأوا الرحمن يطلبهم، والرحيم يسعدهم. فلما أعرضوا وُعدوا بالجزاء للمحسن والمسيء.

فالسعيد: تذلل إلى الرحمن، وسأل التأييد، وافتقر.

والشقي: ضلّ في تيه شهواته، وأظلمت عليه أقطار مسالكه، فاستفزّه الشيطان، ولجّج بالخسران المبين.

وانفردت الخلاصة من عباد الله بهدايته فيسألون ثبوتها، والرسوخ فيها. لأن دار التكليف دار تعذر المقام فيها على الصّفوة.

كتاب تاج التراجم

لأن الله تعالى جعلها طريقين، وجعلنا فريقين. كل طريق له فريق، فذا نعيم وذا حريق.

إشارة: اذكر الله قبل أن تذكر نفسك، إيثاراً. فمن أثر الحق على نفسه أثره الحق.

إشارة: سَمِعْ قبل أن تُسَمِّ نفسك. تُكْتَب في ديوان من تهَمُّم بالحق تهَمُّم به.

لطيفة: اطلب منه الإجابة إذا دعوته، فإنه لا يُجيب من لا يطلب منه الإجابة، وَلَوْ دعا، فإن دعاءه كـ «لا دعاء».

باب (١٠) ترجمة المنة

إشارة: البساط للأدباء، والأسرار للأمناء.

لطيفة: القائمون بالبساط: طائفتان:

طائفة سلكت، فوصلت، فمن شرطها: الإطراق والأدب. فمن فاته واحد من هذين الشرطين فقد فاته آخر، فلم يصل.

وطائفة جذبت: أخذهم إليه ابتداء، فتولاهم بنفسه، عناية. فلم يكن لغير الحق عليهم منة، فأذبههم كما قال ﷺ: (إن الله أذنبني فأحسن تأديبي)^(١)

ولا يترك ما ذكرناه. فإن أهل الشئنة معترفون بالوهب والكسب.

فبالوهب: يوصل إلى معرفة ذاته.

وبالكسب: الوصول إلى معرفة وجوده.

فالواصلون إليه بالوهب أصحاب حياة، ووقوف عند حدود ورسوم.

(١) حديث: (إن الله أذنبني فأحسن تأديبي)، أخرجه ابن السمعاني (بهذا اللفظ) بسند منقطع عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وزاد فيه (ثم أمرني بمكارم الأخلاق) فقال: ﴿خُذِ الْقَوَّ وَأَمْرُ بِالْأَمْرِ﴾ الآية. وهذا الحديث له روايات وطرق أخرى متعددة أوردها المجلوني في كشف الخفاء، ١/ ٧٠، حديث رقم (١٦٤).

باب (١١) ترجمة الغيرة

- إشارة:** صديقان لا يجتمعان: صادق وصديق. يجتمع.
- إشارة:** أنت ثلاثة. والواصل إلى الحق منك واحد.
- فإن وصل إليه بنفسه فتلك شبهة، وما وصل.
- وإن وصل إليه به وصل. وهو عنده صحيح.
- لطيفة:** الحق: إذا رام الوصول إليه مَنْ رأى أوصافه عليه نبذه بالعراء.
- قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (١).
- إشارة:** إذا دعاك الحق إليه، فما يدعوك إلا وأوصافه عليك فتعزى منها بما دعاك إليه.
- وادخل فإنه يهب لك ما ينفعك ويرفعك.
- إشارة:** لولا صفات الحق، التي أخذها الخلق وتحلوا بها قبل أن تُعَيَّن لهم مواطنها، لرأيت الكل سعيداً.
- لطيفة:** كلُّ مَنْ تنعم إنما تنعم بشاهده القائم بقلبه. وهو ما حصل من الحق عندك. وهو مُخَدِّثٌ مثلك.
- ولا يجوز التَّعَمُّمُ بالحق عند المشاهدة. لأن المشاهدة فناء ليس فيها لذّة. وهو العلوي الكبير.

(١) القرآن الكريم، سورة الدخان، الآية رقم (٤٩).

باب (١٢) ترجمة الوجود

- إشارة: لَمَّا وَكَّلَ الحقُّ إلى نَفْسِكَ ادَّعَيْتَ؛ فَكَلَّفَكَ. فانظر فقد أعذرك.
- لطيفة: شَأْنُ الْقِدَمِ والحدوثِ ضِدَّانِ، فَإِنْ سَعِدْتَ فَاشْكُرِ اللَّهَ وَإِنْ شَقِيتَ فَلَمْ نَفْسِكَ أَدْبًا.
- إشارة: مَا دَامَتِ الدُّنْيَا مَوْجُودَةً فَالْتَّعَبَ مَوْجُودٌ فِي السَّعْدِ. إِلَّا أَنَّهَا دَارُ السَّيِّئِ والتَّخْلِيفِ.
- فَأَنْتَ تَدُورُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَيَوْمَ السَّابِعِ هُوَ يَوْمُ دُخُولِكَ دَارِ الْأَبَدِ.
- إشارة: لَا يَزُولُ عَنْكَ مَثَرُ الْحَذَرِ مَا دَامَ الْخُطَابُ عَلَيْكَ.
- فَإِذَا ارْتَفَعَ الْخُطَابُ، فَانْظُرِ الْخَلْعَةَ الَّتِي تُحِلِّفَتُ عَلَيْكَ أَوْجِبَتْ لَكَ الْأَمْنَ فَأَمِنْ.
- لطيفة: اسْتَغْفِلْ بِالْحَقِّ فِي أَيَّامِ الْخَلْقِ، وَهِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ.
- وَلَوْ أَدْرَكَكَ الْجَهْدُ فَلَا تَغْتَر. فَإِنَّ الرَّاحَةَ أَمَامَكَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ.
- لطيفة: كُلْ مِنْ أَحَبِّكَ لَكَ فَاعْتَمِدْ عَلَى مُحِبِّهِ، فَإِنَّهُ الْحُبُّ الصَّحِيحُ.
- وَحُبُّ اللَّهِ لَخَلَقَهُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ أَحَبَّهُمْ لَهُمْ لَا لِنَفْسِهِ.

باب (١٣) ترجمة الجمع

لطيفة: قال الله تعالى: ﴿يَطْعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾^(١).

أليست هذه أسماءه تعالى؟

أليس المتكبرون بها في النار؟

أليس النار محل الحجاب؟

أليس الحجاب عدم الرؤية؟

أليس عدم الرؤية هو الخُشْران المبين؟

فما للإنسان لا يهرب إلى ربه، ليجود عليه بمشاهدة نفسه الذليلة الفقيرة؟

ألا ترى الصادق عليه السلام يقول: (وأعوذ بك منك)^(٢).

وقال «أبو يزيد»^(٣):

قلْتُ: يا رب بما أتقربُ إليك؟

(١) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية رقم (٣٥).

(٢) حديث: (وأعوذ بك منك). أورده العجلوني في كشف الخفاء، وقال: رواه الإمام مسلم والأربعة عن عائشة رضي الله عنها.

ونص الحديث: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك).

انظر العجلوني: كشف الخفاء، ١/١٩٠، حديث رقم (٥٧١).

(٣) تقدمت ترجمته.

فقال: بما ليس لي.

قلت: وما ليس لك؟

قال: الذلّة والافتقار.

إشارة: عليك بأمر الحق فأتبعه، ولا تَعْتَرِ بِكَوْنِكَ لَا تَرَى شَيْئاً إِلَّا تَحْتَ تَصْرِيفِهِ وَحَكْمِ إِرَادَتِهِ.

﴿مَنْ مِنْ ذَاكِبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخِذْ بِتَاصِيَتِهَا﴾^(١). هذا لا يَنْجِيكَ. والأخذ بأمر الحق يُنْجِيكَ لَكِنْ انْظُرْ ذَلِكَ عَقْداً وَتَصَرَّفْ بِالْأَمْرِ.

إشارة: إذا رفع الحق عنك الأسماء بالحق فما رفعها. لأنه باسمه الرفع رفعها. فالاسم يصحبك، فلا تغب عن الحضور معه. فإنك بعينه لا تزال.

(١) القرآن الكريم، سورة هود، الآية رقم (٥٦).

باب (١٤) ترجمة التقديس

لطيفة: المعلوم غير علمك به. فإن طلبته لتعرفه فلن تراه، وإن طلبته لتراه فلن تعرفه. وليس من عَرَفَ عِلْمًا.

فالمعرفة حجاب عن العلم. فلهذا هي الطريق إليه.
والعلم كشفٌ للمعرفة.

فالعلم والمعرفة حجاب عليه.

لطيفة: من كانت هُمته جمع المعارف والعلوم فقد شهد على نفسه بالبخل، وجمع فأوعى، ولا تجده إلا الكُرماء من عباده.

إشارة: الحُجبُ المانعة من إدراك الحق عظيمة، وأعظمها العلم. فإنك تقول: قد حصلت.

«هرقل»^(١): كان عنده العلم بالنبوة لا الإيمان فما نفعه!

اليهود: علموا أن محمداً رسول الله ﷺ حقاً ما نفعهم. ﴿وَرَحِمَدُوا بِهَا وَاسْتَفْتَنَهَا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢).

(١) هرقل: ملك الروم في زمن النبي ﷺ وقد أرسل إليه ﷺ دحية بن خليفة الكلبي بكتابه وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من أتبع الهدى أما بعد: فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين....) وجرى منه أن جمع أساقفة الروم وقال: (يا معشر الروم إني جائي كتاب أحمد وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر، ومجمل ذكره في كتابنا نعرفه) فابتدروا أبواب الدسكرة فخافهم وقال ردوهم....

انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٦٤/٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠٧/١، ٥٠٣/٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة النمل، الآية رقم (١٤).

إبليس: علم ما يستحق أمر الله تعالى من الامتثال لكن ما امتثل، حُرِمَ التوفيق. فلا تغترّ بالعلم.

العلم يطرد الجهل، لا يجلب السعادة. فأصحه الإيمان يكن نوراً على نور.

أُعرف لما هو العلم أعظم حجاب؟

لأنه يطلب أن يرى المعلوم على حدّ علمه.

وما كُلّ معلوم يتصوّر هذا الطلب عليه.

من لم يدع العلم بالحق، وعجز، وافترق، آمن بالحق في كل مقام يراه.

وقد جاء الحديث الصحيح بذلك. فانظر ما أشرنا إليه في هذه اللمع الأفقية.

إشارة: اعرف مواطن الآخرة في الدنيا قبل الوصول إليها، فإن للحق غداً تجليات متغايرة بحسب المواطن فالزم الإيمان، ولا تنكر. ولكن اسكت إن لم تقر.

باب (١٥) ترجمة الاستواء

لطيفة: عيسى روح الله، وكلمته، والرسل خلفاء الله في الأرض. فهم موضع نظر الحق، ومحل المعرفة، وأصحاب الولاية فاعرف قدرك.

لطيفة: من جهل قدر الحق عارفاً بجهله فهو المقرب ومن لم يعترف بجهله فهو المبعد هكذا المعاملة.

لطيفة: الولي: إذا كان وارثاً لسيدنا محمد ﷺ أنشئ له من علمه رفراً وبقراً يستوي عليه في الدار الآخرة.

وإذا وُثِرَ نبياً من الأنبياء ﷺ أنشئ له من عمله بحسب ذلك المقام مركباً يستوي عليه.

لطيفة: صُدُورُ المجالس حيث كان أميرها، فلا تُخَصَّ موضعاً دون غيره.

إشارة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١).

فإنه القائم على كل شيء القائم به كل شيء.

لطيفة: الأولياء إذا طلبوا الحق بالحق، فإنما هو انتقال من اسم إلى اسم باسم. ومن حال إلى حال بحال. ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(٢).

تحشروا من الاسم الذي يتقونه، إلى اسم الذي يلطف بهم، ويرحمهم.

(١) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية رقم (٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية رقم (٨٥).

ولا تنظر إلى قول «أبي يزيد» لنا سمع هذه الآية قال: يا عجباً! كيف يحشر إليه
من هو جليسه؟!
المتقي جليس الظاهر^(١)، والآمن جليس الرحمن^(٢).

(١) أي جليس الاسم الظاهر في كل شيء.

(٢) الاسم الرحمن الذي سبقت به الرحمة.

باب (١٦) ترجمة الباطن

إشارة: الحق سبحانه هو الباطن، فلا يظهر لشيء. لو ظهر للشيء لأحرقت الشبهات ما أدركه البصر^(١).

وهو الحافظ للأشياء فلا يظهر لها.

إشارة: إن سُئِلَ من الظاهر الذي لا يعرف، والباطن الذي لا يُجهل؟
فقل: هو الحق.

لطيفة: للحق ظهوران في العالم يفنى به، ويبقى. فالعالم بين فناء وبقاء.

لطيفة: العالم كله من حيث الذات واحد. فله البقاء والفناء في صور العالم وأشكاله.

(١) انظر في حديث النبي ﷺ: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه ما امتد إليه بصره من خلقه).

قال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار»: رواه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ (بين الملائكة وبين الله سبعين ألف حجاب من نور) وإسناده ضعيف. وفيه أيضاً من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: (هل ترى ربك؟ قال: إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور).

وفي الطبراني: من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: (دَوَّنَ اللهُ تعالى سبعين ألف حجاب من نور وكلمة). ولمسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه: (حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه). ولا بن ماجه: (شيء أدركه بصره).

انظر هامش: منارات السائر، بتحقيقنا، وانظر كتاب العظمة، لابي الشيخ الأصبهاني باب (ذكر حجب ربنا تبارك وتعالى)، وانظر هامش كتاب السير والسلوك إلى ملك الملوك، قاسم الخاني بتحقيقنا

ص ١٢١.

لطيفة: لا تصح المعرفة بالله لأحد حتى يتعرف إليه، ويعرفه بظهوره فيبصره من القلب عين اليقين، بنور اليقين.

وقد قال عليه السلام مُخبراً عن الله: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي)^(١).

(١) حديث: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن). قال العجلوني في كشف الخفاء أن شيخه السخاوي قال في المقاصد الحسنة: ذكره الغزالي في الإحياء، ١٥/٣. وقال مخرجه الحافظ العراقي: لم أر له أصلاً. وكذلك ابن تيمية: وهو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ. وأخرجه أحمد بن زاهد عن «وهب بن منبه» قال: إن الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش. فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال الله تعالى: إن السموات والعرش ضعفن أن يسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوداع، اللين. ورأيت بخط الزركش (على لسان مخرج الحديث) حديثاً باطلاً وله شاهد عند الطبراني عن أبي عتبة الخولاني رفعه: «إن له آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألبنها وأرقها». وفي سنده بقية «ابن الوليد».

انظر العجلوني: كشف الخفاء، ١٩٥/٢ حديث رقم (٢٢٥٦). د/سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، ٣٠/١٢٦٥. القاشاني: رشح الزلال، هامش ص ٧١ بتحقيقنا. السيوطي: جامع الأحاديث، ٤٤٤/٢ حديث رقم (٩ - ٦). وفي الجامع الصغير، قال: حديث ضعيف ٩٥/١.

باب (١٧) ترجمة الرحمة

لطيفة: من قرء به الحق كثر أعداؤه. ومن اعتنى به كثر حُشاده.

واعلم: أن الحق ما يُقَرِّب العبد إلّا على قدر تعلّق همته به. فهيمته أنزلته ذلك المنزل، وهمتك خلقها فيك عناية منه بك، فعنايته أنزلتك فلا شيء لك، فالكُلُّ منه وإليه.

إشارة: للحق سبحانه الجود المطلق، فمن أتى إليه اصطفاه.

ومن أعرض عنه دعاه.

فإن أجابه تلقّاه، وإن تمادى به الإعراض حتى يصل إليه، حيث تصير الأمور وجده مُعْرِضاً عنه وطلب أن يتلقّاه.

فقليل له: هذا إعراضك.

فهذه صورتك إلّا أنك تنكرها.

إشارة: من نظر إلى غير الله أخلسته نظرتة من الله فلا يقل الغير عدوي، أنت عدو نفسك.

لطيفة: ما أمرُ الحق إلّا واحدةً كلمجٍ بالبصر^(١).

فاحذر نظرة المقت.

إشارة: ما دامت الشمس لم تطلع من مغربها قبلت توبتك.

انظر حظك من طلوع الشمس من مغربها تجده رجوع سيرك إلى الحق من مغرب

(١) انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَحْدَةً كَلَمَجٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ سورة القمر، الآية رقم (٥٠).

ذاتك، فلهذا لا يقبل توبتك، لأن التوبة من عالم التكليف، وقد رحلت عنه.

(إن الله يقبل توبة عبده ما لم يُغرغ)^(١).

﴿قَلْبُكَ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾^(٢).

﴿الَّذِينَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾^(٣).

(١) حديث: (إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغ)، رواه الترمذي بسند حسن، ورواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم عن عمر رضي الله عنه رفعه. انظر العجلوني: كشف الخفاء، ٢٤٧/١، حديث رقم (٧٥٥). ورواه البيهقي في شعب الإيمان، عن ابن عمر والحديث أورده السيوطي في جامع الأحاديث، رقم (٥٦٣٦) ٣٥٤/٢. وانظر هامش كتاب السير والسلوك، بتحقيقنا ص ١١٩.

(٢) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية رقم (٨٥).

(٣) القرآن الكريم، سورة يونس، الآية رقم (٩١).

باب (١٨) ترجمة الموعظة

إشارة: من وعظك عَلمُك، ومن عَلمُك أثبت له الإمامة عليك.
ومن ذُكرَكَ أقوُ لك بأنك عالم. فهاتان منزلتان.
لطيفة: الموعظة تفرقك.

قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾^(١).
والذكرُ يجمعك.

إشارة: الموعظة مقرونة بالنفور، والذكرى توجب السكون والرجوع.

إشارة: الموعظة للمؤمنين، والذكرى للعارفين.

لطيفة: ما دمت واعظاً فأنت لافظ، وإذا كنت لافظاً فأنت صاحب حرف.

لطيفة: الواعظ: واعظان: صامت، وناطق.

• فالصامت بحاله. قُريء على «أبي العباس الخشاب»^(٢) بمدينة «فاس»^(٣) كتاب

(١) القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية رقم (٤٦).

(٢) «أبو العباس الخشاب»: ذكره الإمام النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء معتمداً على ما قاله عنه ابن عربي في محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار، فذكر عنه المعجائب منها يوم وفاته أنه ما بقي وليٌّ لله تعالى له حظوة إلا حضره.

انظر النبهاني: جامع الكرامات، ٤٦٠/١. وانظر: محاضرات الأبرار لابن عربي.

(٣) «فاس» مدينة مشهورة على برّ المغرب وهي الآن إحدى عواصم المغرب العربي قالوا عنها قديماً العمارة قد تصاعدت حتى بلغت مستواها وتفتجرت كلها عيوناً. من أعلام المغرب سيدي أحمد التجاني رحمته الله خاتم الأولياء ومؤسس الطريقة التجانية وانتشرت منه إلى سائر الآفاق وابن عربي الصوفي القطب الشهير، وغيرهما من الأولياء.

انظر القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٠٢.

فيما يتعلق بالدين الأخراوي، وهو ساكت.

فطلب منه الكلام على الكتاب فقال للقاريء: أقرأني وأترك الكتاب.

فقال لأبي مدين^(١)، عن قوله، فقال أبو مدين^{عليه السلام}: كان الكتاب حاله.

قالت «عائشة»^(٢) عليها السلام وقد شُملت عن خُلُق النبي ﷺ: (كان خُلُقُه القرآن)^(٣).

(١) (أبو مدين) شعب بن الحسين الأندلسي الفوت الشهير شيخ مشايخ العارفين وقُدوتهم، كان من أفراد الرجال، ومن صدور الأولياء الكبار، جمع بين الشريعة والحقيقة. خاض بحار الأحوال ونال من المعارف أسرار الكبار. توفي رحمه الله ٥٩٤هـ. ودفن ببيتا تلمسان وهو من أشياخ الشيخ أبي محمد عبد العزيز المهدوي.

انظر ترجمته في ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات، ٢٩٧. الحفناوي: تعريف الخلق برجال السلف، ١٨٠/٢. المناوي: الكواكب الدرية، ٦٦٥/١.

(٢) سيدتنا «عائشة» أم المؤمنين عليها السلام تزوجها ﷺ بعد سيدتنا (سودة بنت زمعة) عليها السلام بمكة ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنين، ولم يتزوج بكرة غيرها ﷺ وقبض رسول الله ﷺ وهي بنت ثمانين سنة. كناها بأُم عبد الله، وكانت أقرب زوجاته إلى قلبه. وبقيت عليها السلام إلى خلافة معاوية سنة ٥٨هـ، وقد قاربت السبعين.

انظر د/جيهان رفعت فوزي: السيدة عائشة وتوثيق السنّة. ابن تقيّة: المعارف. ابن قنفذ: كتاب الوفيات ٣٦.

(٣) حديث: (كان خُلُقُه القرآن)، أورده مُلاً علي القاري في «جمع الوسائل في شرح الشمائل»، بنصّه ٢/ ١٨٦، وزاد فيه: (يغضب بغضبه، ويرضى برضاه). وأورده البيهقي في «شعب الإيمان»، وقال: أخرجه مسلم في الصحيح، وله ثلاث روايات عن:

- سعد بن هشام بن عامر الأنصاري.

- ويزيد بن يابنوس.

- وأبي الدرداء (رضي الله عنهم جميعاً). وقيل: إسناده ضعيف.

انظر: شعب الإيمان، ٢٧/٤ - ٣٠.

• وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ١/٦٣، عن أبي الدرداء، وعن الحسن البصري بقوله: سئلت عائشة عليها السلام عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن) وذكر ابن كثير ما رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي، والنسائي، وابن جرير من حديث ابن وهب، كلاهما عن معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير قال: حججتُ، فدخلت على عائشة عليها السلام فسألته عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن).

انظر: البداية والنهاية، ١٣/٦٤١. هامش أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية (المختصر) بتحقيقنا ص ٤٤.

• والناطق ناطقان: ناطق بما يحمله، وناطق بما يعتقده.

فالناطق بما يحمله ما يقرؤه من كلام الحق.

والناطق بما يعتقده رسول الحق.

المذكّران: مذكر: يقصدك وهو رسول. ومذكر تقصده وهو الوارث. لطيفة:

والقاصد أبدأ يلزمه الدليل على دعواه.

ولهذا ألا يختبر المريد الشيخ، ويختبر الشيخ المريد. فإن الشيخ أبدأ مقصود.

باب (١٩) ترجمة الأنائية^(١)

إشارة: من قال: أنا، مطلقاً حاز. ومن قيّد الأنائية فينظر بماذا قيدها. فهي لما قيدها به. فإنما هلاك وإثا سلامة. والهالك سعيد وشقي بالأنائية.

إشارة: الشيء منك بالفناء هو. والشيء منك بالبقاء أنت. فانظر من يعزّ عليك فاستند إليه.

إشارة: أنت منك لا تصح بالغيبة عنك، فإن أنت تستدعي حضورك.

إشارة: أنت من الشيء تقضي بحجابك عن الشيء.

إشارة: أنا حيثما كانت مربوطة بأنّ. وأنت وقتاً مع الأنا، وهو أنت. ووقتاً مع نفسك وهو هو.

إشارة: «ك» حقيقتك أمام المخاطب، وكما أنت بك وبالمخاطب.

وكم أنت بعالملك، والأسماء، و«ك» نفسك المطلوبة في المشاهدة، وكن جماعة حقائقك الدنيا والقصوى كلّ ذلك بالحضرة.

فإن غبت عنها قام ها، وهما، وهم، وهنّ، وهو.

إشارة: الضمائر تُعطي الاتصال والانفصال.

فانظر بأي ضمير تخاطب، فتعرف عند ذلك أين أنت من المخاطب في محل قرب أو بعد.

(١) نسبة إلى كل الأقوال التي تقال في مفهوم: (الأنا).

باب (٢٠) ترجمة السيادة^(١)

- إشارة: مراتب السيادة على حسب عدد المسودين.
وكلما عدم مسود عدمت سيادة، ومراتب السيادة في السيد.
إشارة: للسيادة عنف ولين. فاسلك بهما مواضعهما.
لطيفة: المُلْك يبقى على اللين والقهر، ولا يبقى على العنف.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾^(٢).

لطيفة: ليس الرعية والأجناد في الحكم سواء.
لطيفة: الرعية حياتهم في الرفق والحجاب.
والأجناد حياتهم في الإحسان والقهر.
لطيفة: سياسة السيد لُطف، وقد تكون عن ضعف.
لطيفة: وعدم سياسته قوة أو خرق.
لطيفة: السيد اسم إضافي يحتاج إلى حافظ ومن احتاج إلى حافظ ثبت افتقاره، وهنا نظر فاسأل عن الخلاص.

(١) أي: مفهوم «السيد» ومراتبه، ومواضعه.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية رقم (١٩٩).

باب (٢١) ترجمة الوهب

- لطيفة: من طلب الحق وجده، ومن طلب منه أعطاه ولم يجده.
- لطيفة: ما كان للحق لم يدخل في عمل الغير، ولو استند إليه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١).
- لطيفة: لا تشكر المواطن ولا تحمدها، فمن حلَّ فيها يكن جاهلاً، ولكن اثن على المواطن، وعلى من حصل فيها. تكن من العلماء بمواقع الحق في الوجود.
- لطيفة: هل يصح لأحد الشاء التام إلا بوجود معرفتك بالحق أو شهودك. غير هذا ليس بشاء.
- لطيفة: البيوت، وإن كثرت، فهي بيتان.
- بيت للمعرفة: وهو النفس.
- بيت للمشاهدة: وهو السر.
- وكلُّ بيت يقرى عن هذين فهو خراب.
- إشارة: المشرك أثبت الحق وزاد الشريك فهو صاحب علم وجهل.
- فإن وقع الكشف ارتفع الجهل وبقي العلم. فإن العلم لا يرتفع فإنه وجود حق، والجهل يرتفع لأنه صورة وجود وليس بوجود حقيقته عدم.
- لطيفة: أخفى شيء في الوجود الشُّوك. قلَّ من يقرى عنه.

(١) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية رقم (٨٨).

كتاب تاج التراجم

وسبب قوة سلطانه الحجاب، والحجاب لا بد منه فالشرك موجود.
لكن من الشرك ما هو معفو عنه.
وهو ما لاح على ظاهر النفس. فهو سيال لا يثبت ولا ينقطع.
ومنه ما هو مأخوذ به، وهو ما ارتبط بالعقد.

باب (٢٢) ترجمة التَّبعة

إشارة: الإنسان قطب الفلك، وهو العُمد، ألاّ تراه إذا انتقل من الدنيا خربت، وزالت الجبال، وانشقت السماء، وانكدرت النجوم.

لطيفة: آدم أنبأ الملائكة بالأسماء، فهو إخبار بلسان مخصوص لمعلوم عندهم.

إشارة: إذا رأيت الفتح يتوالى عليك في باطنك فزّنه بحالك. واحفظ حدود الشريعة عندك.

فإن قام الوزن عندك بالحق، فاعلم أن تلك الفتوحات، والواردات بشائر السعادة والقبول. فإن كان غير ذلك فاحذر المكر ولا يُدّ.

لطيفة: يجب على الإنسان استعمال الذكر المنسوب إلى الحق وهو القرآن، وانظر بأي لسان تلوّه، فإن السكينة تنزل بالقرآن بحسب الألسنة.

إشارة: ما في الوجود ذات قائمة من جماد وغيره إلاّ ولها روح حافظ لها عن أمر الله، عاقل عن الله، وغير عاقل عن الله.

فالذي هو غير عاقل عن الله: فبعض الإنس والجن، ولهذا تصحّ المتابعة من جميع الخلق وفي الشرع من هذا كثير؛ من تسبيح الحصى، وسلام الحجر، وحنين الجذع.

وفي كرامات الأولياء من ذلك حكايات صحيحة كثيرة.

باب (٢٣) ترجمة الكمال

إشارة: ينبغي للإنسان أن ينظر في روحه؛ كيف توجه إلى مدينة جسمه المزخرف ودخله ليعاين ما أودع الحق فيه من الحكم والترتيب الأحسن، لأنه في أحسن تقويم.

فيذا شرعت في هذا النظر فأمعن فيه، ولا تترك زاوية من الإنسان حتى تدخلها وتعرف ما خزنت فإنها خزان الحق. فإنك تقف على علم عظيم.

﴿سَتْرِيهِنَّ ءِائِيَتًا فِي الْأَفَاقِي وَفِي أَنْفُسِهِنَّ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١).

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢).

(من عرف نفسه عرف ربه)^(٣).

(١) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية رقم، (٥٣).

(٢) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية رقم (٢١).

(٣) حديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، قال ابن تيمية: موضوع، وقال النووي قبله: ليس بثابت، وقال أبو المظفر السمعاني في القواطع: إنه لا يُعرف موضوعاً، وإنما يُحكى عن يحيى بن معاذ الرازي. وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله. قال: وذكر لنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محيي الدين بن عربي معدود من الحفاظ. وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محيي الدين قال: هذا الحديث، وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف. وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه (القول الأشبه) في حديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وهو من الكتب الموجودة في الحاروي للفتاوي له.

انظر: كشف الخفاء، للمجلوني حديث رقم (٢٥٣٢)، ٢/٢٦٢.

(أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)^(١).

لطيفة: لا يؤخذ من اللين سوى زبدة المخض.

عليك بروح الأشياء، ولا تأخذ من العسل سوى ما أذخره النحل لنفسه.

لا تشرب من خمر العلوم إلاّ الشلافة، التي لم يعصرها إلاّ رجل.

لا تشرب من المياه إلاّ ماء المطر فإنه ماء التقطير فيه مزيد علم.

لطيفة: إذا ضربت القفل على الصندوق، وامتنع المال من المصارفة وحياته فيها، فإنه خلق

لها. فهو مجبول على الحركة، وتداول الأيدي.

والدليل على ذلك ألقى سمعك إلى الثابوت المقفل تسمع المال يتحرك في جوانب

الثابوت، فإن استطعت أن تفتح القفل ولا تكسره، فإنك محتاج إلى أذخاره في

وقت ما. القفل لسانك. فافهم.

إشارة ولطيفة: الولي الشحيح يستبدل.

﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ﴾^(٢).

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(٣). بخلاء، أشحاء، بل

يكونوا كرماء، أسخياء، أجواداً. فاعلم ذلك.

(١) حديث: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)، قال النجم: قلت: وقع في كتاب «أدب الدنيا والدين» للماوردي

عن عائشة رضي الله عنها: مثل النبي ﷺ من أعرف الناس بربه؟ قال ﷺ: أعرفهم بنفسه.

انظر العجلوني: كشف الخفاء، الحديث السابق ٢٦٢/٢، حديث رقم (٢٥٣٢).

(٢) القرآن الكريم، سورة محمد، الآية رقم (٣٨).

(٣) وهذا هو الجزء الأخير من الآية ونصّها كاملاً هو: ﴿هَآأَنَتُمْ هَآؤَآلَآكُمْ تُدْعَوْنَ لِتُخْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخَلْ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ * وَإِن تَتَوَلَّوْا

يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾.

باب (٢٤) ترجمة الكتيب

لطيفة: الأقدام لا تثبت في الكتيب.

الناس يوم القيامة يكونون على الكتيب الأبيض عند رؤية الله تعالى.

لطيفة: ما علم إبليس أنه لم يُرد منه السجود إلا بعد وقوع الإبابة.

هناك موضع الأخذ فمن شاهد المقدور قبل الوقوع ثم وقع فهناك لأصحابنا واقع هل ينفعه ذلك أم لا؟

لطيفة: عالم الأنفاس، وهي نفحات الجود؛ إذا ورد على الإنسان أظهر عنده الاشتياق.

والانزعاج: أن نفس الرحمن يأتي من قِبَل اليمن.

(الإيمان يمان. والحكمة: يمانية)^(١).

(الرفق ههنا)^(٢).. وأشار إلى اليمن.

(١) حديث: (الإيمان يمان، والحكمة يمانية)، أورده السيوطي في جامع الأحاديث وقال: رواه الراهرمزي، والخطيب، وابن عساكر في تاريخه والدبلي في مسند الفردوس عن عثمان رضي الله عنه ورجاله ثقات ورواه ابن عساكر أيضاً عن أنس رضي الله عنه.

انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ٤٨١/٣، أحاديث رقم (٩٨٢٩) و(٩٨٣١).

(٢) حديث: (الرفق ههنا). لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولكن وردت أحاديث كثيرة عن الرفق منها: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله رفيق يجب الرفق من الأمر كله. رواه البخاري في الاستئابة (٤) والاستئذان (٢٢) والدعوات (٥٩) والأدب (٣٥).

انظر المعجم المفهرس مادة (رفق) ٣٨٣/٢ وما بعدها.

تعرضوا لنفحات ربكم هبتوا المحال له، ولكن هياكل الأنوار تحركها الأنفاس،
وهياكل الظلم تذهب بها الأنفاس.

﴿كَانَ خَشَبٌ مُسْتَدَةً﴾^(١).

إشارة: الحكم مودعة في الهياكل.

لطيفة: من وضع شكلاً فيضعه مستديراً، فإنه لا بدّ من الرياح تزعزعه فيدحرج، ولا ينكسر.
فالشكل الكري أبقى.

إشارة: ما ثمّ إلا حق وخلق، كل ما قبلت على شيء عرضت عن أمر آخر.

(١) القرآن الكريم، سورة المنافقون، الآية رقم (٤).

باب (٢٥) ترجمة الشريعة والحقيقة

لطيفة: تخيل من لا يعرف أن الشريعة تخالف الحقيقة. وهيئات لما تخيلوه. بل الحقيقة عين الشريعة، فإن الشريعة جسم وروح. فجسدها؛ علم الأحكام. وروحها؛ الحقيقة. فما نَم إلا شرع.

إشارة: الشريعة وضع موضوع. وضعه الحق في عباده. فمنه مسموع وغير مسموع. ولهذا من الأنبياء متبوع وغير متبوع.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(١).
﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقِي بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾^(٢).

لطيفة: ثم موطن يجمع فيه بين الشريعة؛ التي هي علم الأحكام بالدنيا، وبين الحقيقة التي هي علم الآخرة، وأحكام الحق بها فيكون علم الأحكام مسؤولاً.

إشارة: لا تأخذ من علم الأحكام إلا ما تعين عليك، واشتغل بنفسك وارغب في تحصيل العلم الذي يكون معك حيث كنت.

علم التكليف هنا تتركه. والعلم بالله معك تحمله.

العلم بطلب معلومه حيث كان.

إشارة: كل ما في الكون مستخر للإنسان، ومع ذلك كفر.

(١) القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية رقم (٢١).

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (١٧١).

﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ (١)

إشارة: ﴿وَاللَّهُ وَحْدَهُ﴾ (٢).

وهوى كل إنسان إلهه، وهو معبوده. ولو عبد الله. فإنما يعبد له حظّه.

فحظّه عبد. والهوى يناسب الحياة. فإن استحال هوى الإنسان ما سعد في نفسه، وسعد من رآه، وإن استحال ناراً سعد، ولم يسعد به.

إشارة: ليس الناطق من كلمك بصوته وحرفه، وإنما الناطق من كان في قوته أن يوصل إليك ما عنده من المعاني.

ولا تقل على هذا إن الوجود بذات الاعتبار ناطق، هذا فهمك لا نطقه، والذي قلناه نُطقه لا فهمك. فاعلم.

(١) القرآن الكريم، سورة عبس، الآية رقم (١٧).

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (١٦٣).

باب (٢٦) ترجمة خبيثة «ابن صائد»^(١)

إشارة: حملة العرش مع الملك تطلب الإنسان. فإن لها فيه سراً لا يعلمه كل إنسان.

لطيفة: جمع الإنسان من أشياء متفرقة، فلما سوي، وعدل، وصوّر الصورة الجسمانية، تطاولت إليه الحقيقة الواهبة روح التدبير، فنفخ فيه روح الحياة، فكان حيواناً. فالتفت إليه عن أمر الله فوكل به.

لطيفة: أخرى بها كان إنساناً، ثم توالى عليه الإمداد لبقاء العين. فلما ادّعى ما ادّعى أقمت في مقام التفريق لتعرف من أنت.

فخوطب الإنسان بالوعد والوعيد، وملكه إياه مثلاً منصوباً ليفهم ما قيل له.

إشارة: جسمك كرسي منصوب القدمين، ولطيفتك عرش محيط بك لوجود الرحمة.

فلماذا يتباعد الإنسان من عالم الجسوم، ولا بدّ له منها دنيا وآخره. فإنها صورة كمال وجود، لا كمال تشريف.

لطيفة: أما يسمع الإنسان إلى قوله تعالى:

(١) خبيثة (ابن صائد): أخرج البزار، عن زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد: إني خبأت لك خبيثاً فما هو؟ وخبأ له رسول الله ﷺ سورة الدخان. فقال ابن صياد: هو الرخ. فقال رسول الله ﷺ: أخساً، ما شاء الله كان ثم انصرف ابن صياد.

انظر السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٣٩٨/٧، تفسير سورة الدخان. وانظر ما قاله القطب الكبير سيد عبد العزيز الدباغ في هذا الموضوع وطرق متعددة للحدث كلها مذكورة في كتاب «الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز»، ص ٤٦٦ وما بعدها.

﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِّإِسَاءِ﴾^(١) وسكننا ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(٢).

فليس للطيفة راحة إلا في وجود الجسم، لأنها ملك.

إشارة: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾^(٣).

ألست بينهما لما كملت. ومنهما خلقت، فأنت حق.

إشارة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنزِلُ السَّمَاءَ بَيْنَهُنَّ﴾^(٤).

وأنت بينهما. فإثنا عين الأمر، وإثنا محل الأمر.

إشارة: لولا شجرة الزقوم لجُهل قدر شجرة طوى.

(١) القرآن الكريم، سورة النبأ، الآية رقم (١٠).

(٢) القرآن الكريم، سورة النبأ، الآية رقم (٩).

(٣) القرآن الكريم، سورة ص، الآية رقم (٢٧).

(٤) القرآن الكريم، سورة الطلاق، الآية رقم (١٢).

باب (٢٧) ترجمة التقلب

- إشارة: قوائم سريرك يطلبون منك أيها العريد علم أصل الأشياء فعرفهم تحمد ذلك.
- لطيفة: مشيمتك ما دمت فيها كانت على صورتك، فإذا انفصلت عنها لم تبقى على صورتك. فافهم اتصالك فليَمَ تحتاج وبانفصالك تعلق بك الحاجة.
- فالبعد سبب الحرمان، والقرب سبب الوجدان والاتصاف. وبقي «أبو عقال المغربي»^(١) بمكة^(٢) في مقام قرب المشيمة أربع سنين ما أكل ولا شرب حتى مات.
- لطيفة: ظلُّك على صورتك، وأنت على الصورة^(٣). فأنت ظلُّ.

(١) (أبو عقال المغربي): هو أبو عقال بن علوان المغربي من مشاهير المشايخ؛ صحب أبا هارون الأندلسي ومات في مكة سنة ٢٩١هـ وقبره هناك. وقيل عنه: ظل أبو عقال المغربي مقيماً في الحوّة اثنتي عشرة سنة، وكان يسمى حمامة الحرم لملازمته المقام فيه.

انظر الجامي: نفحات الأنس، ٢٤٨. القشيري: الرسالة، ص ٤. الزركلي: الأعلام، ٣١٤/٥.

(٢) (مكة): أم القرى، معروفة، مشهورة، بما حباها الله به من التكريم والتعظيم بوجود بيته الحرام قبله للناس.

(٣) انظر حديث سيدنا رسول الله ﷺ: (خلق الله آدم على صورته). يقول الإمام (صلاح الدين التجاني) في كتابه «الدرر السنية في شرح الأربعين التجانية» شرح الحديث رقم (١): «ما أعظم شرفك أيها الإنسان، خضعت لك الملائكة بالسجود وأدخل العالم أجمع تحت تسخير الإنسان. فما في الوجود كلمة حقيقة ولا دقيقة إلا ومنك إليها، ومنها إليك رقيقة فعدد الرقائق على عدد الحقائق والدقائق. ولولا ما صيغ لهذا الإنسان أحسن تقويم، وفطر على صورة القديم فما تعشقه الملائكة الأعلى والأدنى، ولا سكن إليه ودان له، ولا عنت لوجوده الأملاك، ولا دارت بنفسه أجرام الأفلاك، فاشكر الله تعالى أيها الإنسان على ما خصك به الجواد الرحمن من كمال هذه النسبة، وأوقفك على»

قام الدليل على أن التحريك للحق لا لك. كذلك التحريك لك لا للظُلّ، غير أنك تعترض فلم تعرف قدرك. وظلُّك لا يعترض فيأمن هو ظلّه.

اعلم بقدره منه.. متى تفلح!

لطيفة: الشخص وإن كان واحداً، فلا تُقَلُّ له ظِلٌّ واحد، ولا صورة واحدة في المرء. فعلى عدد ما يقابله من الأنوار يظهر للشخص ظلالات. وعلى عدد المرثي تظهر له صور. فهو واحد من حيث ذاته. متكثّر من حيث تجلّيه في الصور أو ظلالاته في الأنوار. فهي المتعددة لا هو. وليست الصور غيره!

إشارة: الحق هو واحد في ذاته.

يقبل الصور، والحدّ للصور لا للجوهر.

والجوهر لا يستحيل، والصورة لا تستحيل أخرى لكن تستحيل في نفسها.

أي: تذهب. فاعلم.

= معاني هذه الخلافة، فابحث عن وجودك، وابن مرتبتك من معبودك، ومير بينك وبين عبيدك. انظر كتاب «الدور المنيّة»، ضمن كتاب «المحارب» ص ١٩٣، طبعة سلسلة التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢.

باب (٢٨) ترجمة المشاورة

لطيفة: العصبي والقضبان إذا تفرقت تكسرت، وإذا جمعت لم تقو على كسرهما؛ فاجتمعوا ولا تتفرقوا.

إشارة: العلم في عين الجمع والوجود.
من اعتصم بغير الحق هلك، ولم تنفعه شفاعاة الشافعين.
قال العمل غير الصالح:

﴿سَآوَيْتَ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾^(١).

إشارة: الحق واحد في الوجود الإنساني. واحد في الكون.
إشارة: الكون مفلطور على الزوجين، فإن الأصل قبضتان ومن هنا ظهر.
لطيفة: يا أيها الإنسان إذا سافرت في بحر الكون، فارفع شراعك.

وإذا سافرت في بحر الحق فلا ترفع شراعاً.
سفينة نوح لما لم يكن لها شراع مرفوع قال فيها:
﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾^(٢).

لطيفة: الحق صفتح فيما كان له، وأخذ على ما كان في حق الغير فيا غير تخلق خذ للحق لا لك.

(١) هذه الآية بها تصحيح في النسخة المطبوعة (حيدرآباد). والصحيح أنها الآية رقم (٤٣) من سورة هود.

(٢) القرآن الكريم، سورة القمر، الآية رقم (١٤).

إشارة: من لم يتَّضع هنا اتَّضع هناك، ومن لم يخشع هنا خشع من الذلِّ هناك.
فلتبشِّر الخاشعين في هياكل الظلم^(١) بالسرور في هياكل الأنوار^(٢).

إشارة: تحقق أن المعلم هو الحق، فليس لأحد مِنَّة على أحد.
فليشكر الواسطة من حيث الأمر لا من حيث الفعل.
﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِيكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(٣).

إشارة: تحفَّظ أيها السالك من حجاب البشرية ما استطعت.

(١) أي: ذليلة نفوس الأجساد.

(٢) لأنه لا تراب ولا أجساد ظلمانية بل نورانية باقية بقاء نظر الحق لها.

(٣) القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية رقم (١٤).

باب (٢٩) ترجمة حمد الملك

لطيفة: ما ثمّ مقام جَمَعَ رحمتين تاليتين لرحمتين إلاّ هذا المقام، ومقام العظمة الجامعة. فرحمة الإجمال لها التّقدّم.

ورحمة التفصيل تالية.

وقد جاء التنبيه في القرآن على هذا المقام. فَبَشِّرْ في «الفاتحة»، ثم ذكر الرحمن الرحيم.

فَبَشِّرْ في «حم السجدة» ثم ذكر الرحمن الرحيم.

وكذا جاء قريب من هذا ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْمُخْتَصِرَ ۝ أَلَمْ يَخْلُقْ ۝ أَلَمْ يَخْلُقْ ۝﴾ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿١﴾. التّزول إلى قلوب عباده المؤمنين التي وَسِعَتْهُ، فهو نزول منه إليه. فافهم.

فانظر أيها السالك إلى الأعلام التي رفعها الحق لك على مدرجتك إليه فاقطعها علماً علماً حتى تصل إليه.

لطيفة: أكثر الخلق من الطائفة يتخيلون أن الحق ما دعا منهم سوى لطائفهم. فلم يروا قدر الظواهر. فاشتغلوا بتقديس اللطائف العلوية بالمعارف الفكرية، والحق على خلاف ما اعتقدوه لأنه دعاهم بكليتهم.

واختلف المدعوّ به باختلاف المدعو؛ فالذي دعا به البصر ما دعا به السمع، والذي دعا به كذا ما دعا به كذا. فمن أجابه بواحد دون غيره لم تُقبل إجابته.

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآيتان رقم (٢٠١).

قال رجال هذا المقام: ما نَمَّ إلا كبيرة. فإن المعصِي بها واحد فلا سبيل إلى مخالفة الأمر، فإن خرق الحرمة كبيرة، وإن خُفِّفَ الجزاء، وعُفِّي عنه.

إشارة: أيها السالك، ما منك جزء إلا وهو عالم ناطق، فلا يحجبك أخذ سمعك عن نُطقه.

فلا تقل يوماً: أنا وحدي.

ما أنت وحدك، ولكثك في كثرة منك^(١).

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾^(٢).

﴿وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾^(٣).

لطيفة: ما ألهمت لعلم الاختلاج إلا لتعلم أن النطق فيها ولا تشعر.

إشارة: كن مع كل أحد على خلقه يكن معك.

(١) فانت العالم كما ذكر ابن عربي في الفتوحات:

وتزعم أنك مجزوم صغير

(٢) القرآن الكريم، سورة النور، الآية رقم (٢٤).

(٣) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية رقم (٢١).

باب (٣٠) ترجمة المغفرة

إشارة:

لله ملائكة يستغفرون لمن في الأرض.

ولله ملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ﴾^(١).

جعل الله الاضطراب في العباد. فإذا رجعوا إلى الحق في حوائجهم من غير توبة التقرب كما قال: ﴿إِنكُرْ عَابِدُونَ﴾^(٢) في القرب؛ فعادوا كما قال.

فتعابن الملائكة ذلك الرجوع بالصورة؛ فيستغفرون لمن في الأرض، فيجاب الدعاء. فإذا كان الرجوع بتوبة التقرب: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٣) الذين يستغفرون للذين آمنوا.

فما أعمّ الرحمة في الدنيا، وما أخصّها في الآخرة.

(لله مائة رحمة، جعل منها واحدة في الدنيا)^(٤). فعمت هذا العموم على

(١) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية رقم (٧).

(٢) القرآن الكريم، سورة الدخان، الآية رقم (١٥).

(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم (١٥٩).

(٤) حديث: (لله مائة رحمة...)، هذا من الأحاديث الشهيرة متعدد الطرق وله روايات كثيرة جداً وقفت منها على ما يزيد من ثلاثين، يكفي أن نشير إلى أن الإمام أحمد بن حنبل وحده ذكر في مسنده ما يزيد عن عشر روايات منها. والإمام مسلم خمساً، والبخاري، والترمذي، والحاكم، وابن ماجه، والطبراني، والبيهقي، وابن عساكر. أما رواه فممنهم أبو هريرة، وسلمان، وسعد بن مالك، وجندب، وعبد الرحمن، ومعاوية بن حيدة، وبهز بن حكيم وغيرهم كثير. وقد أورد السيوطي في جامع الأحاديث بعضاً من هذه الروايات حوالي ٢٠ رواية تقريباً.

انظر: جامع الأحاديث، أرقام (٥٣٥٤، ٥٣٥٩، ٥٣٦٠، ٦١١١، ٦٧٣٦، ٦٧٣٨، ٦٧٣٩، ٧٧٥٨، ٧٧٦٥، ٦٧٤٣). المجلدات ٣، ٢، بأرقام هذه الأحاديث.

وانظر: كتب الصحاح التي أوردتها فيها روايات كثيرة جداً.

الانفراد، ورحم الناس بعضهم بعضاً. فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين ورحم بها الخلق. ووقعت بها الشفاعة وما عمت هذا التعميم. فانظروا هذا المعنى، وتحققوه، وكل الناس يحار فيه، إلا من عرف أن التصرف للرحمة وغيرها إنما هو بحكم الموطن لا بنفسها. فهنا السر الذي يحصل به العلم.

إشارة: إذا انكشف الغطاء تبيّت الأمور على ما هي عليه فيربح العالم ويخسر الجاهل.

فأدرك نفسك بالعلم قبل الموت، فإن الظلمة أمامك ما فيها نور إلا علمك. وأشرف أعمالك العلم.

إشارة: أيها السالك: لا تقل: ربي الله، فيتمكن منك أعداؤك، ولكن قل: الله ربي، فيقهرهم الاسم فلا يجدون إليك سبيلاً.

لطيفة: لا يغتر الإنسان بكونه روح العالم، فيقول: أنا أشرف منه. هو أخوك. العالم والإنسان توأمان فاعرف أباك وأهلك.

باب (٣١) ترجمة الإخلاص

- إشارة: الإخلاص لا يُقي في المنزل أحداً.
لطيفة: فرق بين ولد الطين، وولد الدين في الميراث.
الدين للعلم، والطين للمال.
ولد الدين وليك، وولد الطين عدوك.
أبوك من أنفق عليك، فإن أنفقت على أيك فأنت أبوه.
لطيفة: أنت الدار التي يسكنها السر، فنهاره ظهور السر فيه، وليله غيبة السر عنه. فتعبد بالليل وتحذث بالنهار.
إشارة: صورة الإنسان بعد الموت تتنوع بتنوع أحواله في الدنيا، فكن على أحسن الحالات، تكن على أحسن الصور.
إشارة: من جنى وعَلِمَ أن الحق غفّار غفّر له.
ومن لم يجن، ولم يعلم أنه غفّار فقد جنى.
إشارة: لا تلزم هنا أيها السالك أبواب الواو فتشقى.
فإن النار حُفَّت بالشهوات^(١).
والزم الأبواب التي لم تتقيد فتحها بالواو تسعد فإن الجنة محفوفة بالمكاره.
جنة في وسط نار، في وسط جنة. فاعلم ما أشرنا إليه.

(١) انظر حديث: (حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه وهناك رواية للبخاري: (حُجبت) بدل (حفت) وعزاه في الدرر للشيخين عن أنس رضي الله عنه والموجود فيهما عزوه لأنبي هريرة.

انظر المجلني: كشف الخفاء، ٣٦٢/١، حديث رقم (١١٥٢).

باب (٣٢) ترجمة انبعاث نور الصدق

إشارة: الصدق صفة جامعة للشرف. عليه دلت المعجزات كلها ولقد سألت عن صورة الإعجاز في القرآن ف قيل لي: كونه حق صدق.

والمعارض صاحب تزوير فالزم الصدق أيها السالك ترى العجب العجيب في الدارين.

إشارة: أمام أمام، فلا تتأخر، فإن الإنسان لا يتأخر إلا إذا رأى ما يسوءه.

النبي ﷺ تأخر في صلاة الكسوف لما رأى^(١).

وقال ﷺ فيمن يتأخر عن الصف الأول في الصلاة: (لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله في النار)^(٢).

(١) حديث: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ - يَجْرُو رَدَاؤُهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فَصَلَّى بِنَا رَكَعَتَيْنِ حَتَّى انْجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا وَادْعُوا حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بَكُمْ). وفي رواية عن أبي بكره رضي الله عنه أيضاً: (قال: قال صلى الله عليه وسلم): ولكن يخوف الله بهما عباده). وتكرر حديث الكسوف كثيراً. انظر رواية أبي بكر، والمغيرة بن شعبة، وعائشة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وأبي موسى، (رضي الله عنهم أجمعين). كلها روايات في صحيح البخاري.

انظر: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح. للزيدي: كتاب الكسوف من البخاري ٩٨/١.

(٢) حديث: (لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله في النار أي: يتأخرون عن الصف الأول. وأورد الإمام السيوطي هذا الحديث بلفظ: (لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار) وهذه رواية أبي دارود عن عائشة رضي الله عنها.

انظر: جامع الأحاديث، (٢٦٤٦٧) ٤١٩/٧.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِينَ مِنْكُمْ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرِينَ﴾^(١).

إشارة: اخلُ مع الحق، على قدم الصدق أسبوعاً، بل أقل من ذلك.

لولا أن أتألى على الله لحلفت أن الطير تظلك، والوحوش تصلي خلفك، وتأنس بك، ويخرج منك نور يضيء له المشارق والمغارب.

وأَيُّ شيء هذا في جنب ما يقول الله تعالى: (من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً)^(٢).

إشارة: إذا صدق الصادق، وانبعث منه النور، فلينظر إلى شمسهِ.

فإذا دلكت فلينظر هل يهتز تخطيطه أم لا؟

فإن لم يهتز فلينظر المانع فيجد سكون الريح، فلينظر ما أسكنه، ولينظر ما معه، وما فاته بالسكون، فليكن مع أعلاهما.

إشارة: عليك بإبراز القسم أيها السالك.

ولا تقسم على أحد في أمر. ولكن قل إن شاء الله.

فلنكن المشيئة هي الحاكمة وأنت مستريح.

إشارة: من خرج عن أصله فهو غريب، وعذاب الغربة شديد.

الشقي غريب في الآخرة، والسعيد غريب في الدنيا. فطوبى للغرباء.

(١) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية رقم (٢٤).

أخرج الطيالسي، وسعيد بن منصور، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن خزيمة، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في سننه من طريق أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: (كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِينَ مِنْكُمْ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرِينَ﴾ وقيل نزلت في صفوف الجهاد).

انظر السيوطي: الدر المنثور، ٧٣/٥.

(٢) حديث: (من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً)، هذه رواية الإمام البخاري للحديث عن أنس، وعن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الطبراني عن سلمان رضي الله عنه، وله روايات كثيرة. انظر المجلوني: كشف الخفاء، ١٠٢/٢، حديث رقم (١٨٩٧).

باب (٣٣) ترجمة الصف الأول (*)

- إشارة: من وقف في الصف الأول عاين صفوف الأرواح في غاية الاعتدال.
إشارة: الصُّحُفُ تجري مع الأنفاس.
صُحُفُ الكفَّار ممحوة حتى لا ينظروا ما تحت المحو، فتمادوا في غيهم.
إشارة: الصف الأول إمام متبوع فالزمه.

(٥) الصف الأول هنا هم أهل الله تعالى فلا يعاين صفوف الأرواح إلا أهل الله فكن معهم أو تفزب إليهم
بخصال الخير. فهم الإمام المتبوع الوارث من النبي ﷺ فالزمه كما يقول ابن عربي.

باب (٣٤) ترجمة الجمع والوجود

إشارة:

الإنسان قلب الوجود، ولُبه^(١)، والمؤمن جنانه وروحه.

إشارة:

القمر واحدة، والمنزلة واحدة، والحركة واحدة، والأثر مختلف. لمن ذلك؟

راجع للمؤثر.

إشارة:

زيادة القمر تؤذن بالبعد والمشاهدة.

ونقصه يؤذن بالقرب والحجاب.

إن هذا لشيء عجيب.

إشارة:

لك ظاهر إلى الخلق، ولك باطن إلى الحق.

فمتى ظهر الحق على ظاهرك سقطت حرمتك عند الخلق، وفيها سعادتك، لأنهم فوّغوك إليه.

إشارة:

إذا خرج العبد من عند الحق خُدم وعُظّم، وإذا دخل إليه جهل، وما احترم إلاّ عند خصوص الخلق.

لطيفة:

إذا صاحب الإنسان الخلق حقّروه، وإذا غاب عنهم اشتاقوا إليه.

إنهم جاهلون. إذا دخل حمار الوحش السوق فمدّ فمه إلى شيء يأخذه من دكان بائع يأكله ضحك له، وفرح به، وناولته بيده وما نفعه الحمار.

والحمار الإنسي إذا مدّ فمه لدكان البائع ليأخذ شيئاً ضربه صاحب الدكان بالعصا.

(١) في (ط): (وقلبه) وهي تجوز أيضاً لكن التكرار عند ابن عربي بهذا الشكل غير مقبول، واللّب: الجوهر.

وقد رفع أثقاله ودكانه. إنما يبني من على ظهره. وأسباب دكانه إنما سيقّت على ظهره، وما راعى هذه الخُزْمة.

أَيُّ جهل أعظم من هذا!

ما هو جهل، بل هو غفلة تعقبها حسرة.

إذا بحثت لم أُمّين هذا وقرب هذا؟ وجدته للصحة والخلطة.

وإن كانت معها المنافع، فابعد عن الخلق ما استطعت تكن عندهم عزيزاً.

لطفة: روث الدّواب التي تدوس الحنطة في التبن يبقى وهي تأكله، ويصفو الحب. كذا الداخل إلى الآخرة.

كلام الناس عليهم يرجع، ويخلص السالك ما ثبت.

باب (٣٥) ترجمة فتح الأبواب^(١)

إشارة: إذا رأيت باباً مغلقاً؛ فاعلم أنّ وراءه أمر فلتعمل في فتحه.
إشارة: من جُمعت له المحامد فُتحت له جميع الأبواب لجميع الخيرات^(٢).

- (١) (الفتح) هو ما يفتح على العبد من ربه تعالى بعدما كان مغلقاً عنه. وله أقسام هي: فتوح الظاهر: وهو الذي يصير صاحبه ممن يحسن منه العبارة عما يجده، وله مراتب أيضاً.
- فتوح الحلاوة: وهو ما يفتح على العبد في باطنه من أنواع العلوم والمعارف، وتقريب الحق له، وإن لم يظهر عليه شيء من ذلك.
- فتوح المكاشفة: وهو ما يفتح على العبد من المكاشفات والمشاهدات، التي لا مدخل لكسبه فيها.
- فتوح التوَلّد: أول مراتب الفتح الإنساني.
- فتوح الفهم: فتح باب الفهم والتمييز من ضيق أحكام السر والجهل إلى سعة أحكام الكشف.
- فتوح الإسلام: الذي يتميز به الإنسان عن الأنعام.
- فتوح العقل: ما يلي فتح الإسلام.
- فتوح النفس: الذي يعطي العلم التام عقلاً ونقلاً.
- فتوح الروح: الذي يعطي المعرفة وجوداً لا نقلاً ولا استدلالاً بل شهوداً وعباناً، يغني عن نظر العقل وتعمله.
- فتوح القلب: أعم الفتوحات نفعاً، وأشملها حكماً.
- الفتح المبين: أعلى الجميع وأكمل الفتوحات، وأولاهها، وأشرفها، وأتمها إذ ليس وراءه غاية من جميع الفتوحات ويعني به فتح التجليات الحقيقية، وكشف الأنوار الحقية، من ضيق سجن الخلقية، وهنالك الولاية لله الحق وعندما تحقق الإمام أبو حامد الغزالي بهذا الفتح المبين لم يزد على أن قال:
- وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن السبب وقال غيره:
- ومن بعد هذا ما تجلّ صفاته وما سَـرّه أولى لديّ وأفضل
- انظر القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، بتحقيقنا ١٩٩/٢.
- (٢) يقصد به هنا القطب الغوث.

باب (٣٦) ترجمة مالك المُلْك

لطيفة: مالك الملك الحق لأنه يسأله فيعطيه.

إشارة: ما خلع على أحد خلعة إلا خلع عليه، فإنه لا يعرى.

إشارة: يسبح في الأرض مُسَبِّحاً، ومَهْلَلاً حتى تسمع الإجابة منك أو من غير الناطق^(١).

لطيفة: إذا امتلأ القلب من المعارف فلتحذر النفس فإنها مخربة الديار، مبددة الشمل.

لطيفة: اخل قلبك من كل شيء إلا من ذكر الله، فإنه قرع الباب. مَنْ بالباب؟

قيل: فلان.

قيل: افتح.

حصل المقصود.

لطيفة: من سجد لله سجدة حق لم يرفع رأساً أبداً بعد السجود.

وكل من رفع رأسه بعد السجود، فإنما سجد للحجاب لا لله.

(١) أي: تصبح صالحاً لسماع كل شيء حولك يُسَبِّح الله ولا يُخرق له ذلك حتى تكثر من ذكر الله وهو

(يسبح في الأرض مُسَبِّحاً: سبحان الله، ومَهْلَلاً: لا إله إلا الله). فتفتح حواسك مع انفتاح قلبك ولا يكون ذلك إلا بكثرة الذكر.

قال «سهلُ بن عبد الله»^(١) «للعباداني»^(٢): أيسجدُ القلب؟
قال: إلى الأبد.
فَلَزِمَ خدمته.

(١) (سهل بن عبد الله) هو: أبو محمد سهل بن عبد الله التستري أحد الأعلام المعروفين في تاريخ التصوف الإسلامي، وصاحب المؤلفات المشهورة والهامة. ترك عدداً من المؤلفات منها: تفسير للقرآن وعدد من الكتب منها ما لا يزال مخطوطاً. كان صاحب كرامات. لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج، وتوفي رحمه الله، سنة ٢٨٣. ومن أقواله: الناس نيام، فإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم.

انظر ترجمته في: السلمي: طبقات الصوفية ٦ - ٢، أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٠/١٨٩. القشيري: الرسالة، ١٥. الهجویری: كشف المحجوب، ١٦٧. الجامي: نفحات الأنس، ٢١٣. المناوي: الكواكب الدرية، ٤٢٩/١. الشرنائي: الطبقات الكبرى، ١/٦٦.

(٢) (العباداني) شيخ (سهل بن عبد الله) وهو: أبو عبد الله العباداني، رحمه الله، كان من خاصة تلامذة سهل بن عبد الله التستري.

قال أبو عبد الله: كنت أسمع كلام الشبلي، وكنت أتمنى زيارته فلما مات أبي ذهبت إلى بغداد، ودخلت على الشبلي فرأيت أقواماً يخرجون من عنده وعرفوني. فقالوا: لأي حاجة جئت؟ قلت: لزيارة الشبلي! هل يجوز أن أدخل عنده؟ فقالوا: ادخل، ولكن بترك الدعوى. قلت: أجل. فدخلت عليه وكان ذلك يوم الجمعة فصدمتني عظمته وشوكته ثم قلت: السلام عليكم، فقال: وعليك السلام إيش أنت؟ أبداك الله؟ وكان من عادته أن يتكلم بهذه الكلمة. قلت: أنا النقطة التي تحت الباء! قال: أعرف مقامك فأين أنت؟ قلت في نفسي: إن رددت جواباً آخر فلعله لا يقبله، فبعدت عنه وكنت أتمنى أن أشتع نظري برؤيته. توفي في القرن الثالث الهجري رحمه الله.

انظر الجامي: نفحات الأنس، ٤٠٤.

باب (٣٧) ترجمة الاشتراك بين النفس والروح

إشارة: الولي يصرفه الحال، والنبى يصرفُ الحال.

يجتمع النبى والولي في ثلاث:

١ - في العلم اللدني.

٢ - ورؤية الخيال في اليقظة.

٣ - والفعل بالهمة

ويقع الانفصال بكون النبى متبوعاً، والولي تابعاً.

إشارة: ﴿يَتَأَهَّلَ يَرْبَ لَا مَقَامَ لَكَ﴾^(١).

المقام المحمدي مقام السيادة، وما سواه سُوقَة.

إشارة: العالم وسط، وهو الآن قَبْلُهُ ما لا يتناهى، وهو الأزل، وبعده ما لا يتناهى، وهو الأبد.

فاعطف الأبد على الأزل يتحد الأمر، ويتبين القديم من المحدث.

إشارة: القرب من الحق بحسب تقديس الذات، وتزكيته، ولا يختص بذلك ذكر دون

أنتى، بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء.

(وقد كمل من النساء مريم وآسية)^(٢).

(١) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية رقم (١٣).

(٢) حديث: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)، أورده هكذا الإمام السيوطي وقال: رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده واتفق عليه الشيخان في صحيحيهما ورواه الترمذي في شئنه، وابن ماجه، كلهم عن أبي موسى رضي الله عنه.

انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ١١٣/٥، حديث رقم (١٥٩٧٣). وانظر: الجامع الصغير، ٩٧/٢.

باب (٣٨) ترجمة القسمة

إشارة: إذا قرأت الكتب فاعرف حالك، وانظر ما خاطبك فيها.

فإن الأحوال محلّ الخطاب والذوات تحمله.

لطيفة: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي)^(١)، كذا قال تعالى على لسان نبيه ﷺ.

فالكون الأكبر مخلوق على قسمين:

- قسم للحق.

- وقسم لك.

والقسم الذي للحق لا يعرفك، ولا تعرف القسم الذي خُلِقَ لك. ولا ينبغي له أن

يُعرف. فإنه حين خلقهم أشهدهم فهماً^(٢)، ولم يحتجب، فلم يرجعوا بعد.

(١) حديث: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي)، أورده السيوطي في جامع الأحاديث وقال: رواه الأريفة والإمام أحمد بن حنبل في مسنده كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ٦٨٥/٤، حديث رقم (١٥،٤١).

(٢) (المُهمون) هؤلاء هم الملائكة الذين هاموا في شهود الحق سبحانه وتعالى. ويقال لهم: الكروبيون، أيضاً. وهم الملائكة الذين لا يعلمون أن الله خلق آدم لاشتغالهم بالحق تعالى عما سواه. فهم هائمون في شهود جماله والهُوَن تحت انقهار عظمة جلاله، بحيث لا يتسمعون معه لغيره. هؤلاء هم العالون الذين أشار إليهم التنزيل لكونهم ليسوا ممن توجه عليهم الخطاب، خطاب التكليف بالسجود لآدم، لأنه سبحانه وتعالى قال: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ يعني العالين الذين بلغوا هذا المقام. ولهذا يقال لمن كان من الأولياء في هذا المقام المهمون أيضاً وهم المستهلكون الذين يتلاشى كونهم الإمكاناني الخلقي عندما يفاجئه انقهاق النور الوجوبي فلا يبقى فيه مَنَسَع لغير الحق سبحانه وتعالى.

انظر القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، بتحقيقنا ١٢، ٣٠٤، ٣٤٠.

والقسم الذي تُخْلَقُ لك استخرج منه هيكل الأنوار، ونقش فيه العلوم والحقائق. ثُمَّ رُفِعَ الحجاب، فأشرقت عليه شمس الوجود؛ فأشرق، ونطق بالتمجيد، ثم نظر إلى نفسه فنطق بالتسبيح، ثم نظر إلى ظله فنطق بالتمجيد، ثم نظر إلى عمله فنطق بالتكبير. فنودي: عَرَفْتَ فالزم^(١).

ثم بعد ذلك توالى عليه الأعصار، فتخلخل البيت، واشتعل النور بالتلفيق، فأنحجب عن علمه.

﴿مَنْ يَرُدُّ إِلَا أَنْزَلَ الْمُصْرَ لَكَ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئًا﴾^(٢).

(١) ينبغي أن أذكر هنا بحديث حارثه عليه السلام حين قال له النبي ﷺ: (يا حارثة: عرفت فالزم) وهو حديث طويل بعض الشيء.

(٢) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية رقم (٧٠).

باب (٣٩) ترجمة السبب

إشارة: الوجود في الجود.

قال ﷺ: يقول الله تعالى: (أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ)^(١)

إشارة: إنفاق العبد مفتاح الجود الإلهي، فما تعمل في أول جود ما كان مفتاحه فمن أجرب الأول.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾^(٢).

﴿كُلَّمَا نَفَعَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(٣).

الإنضاج سبب التبديل، وهو مفتاحه الجود.

هنا على العذاب فتائل.

لطيفة: أهل السماع والوجد بالأشعار، التي أهلت لغير الله، هم أبعد الخلق عن الحق، فإنهم أكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه. ﴿فَكُلُّوا وَمَا ذَكَّرَ أَنتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾^(٤).

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٥).

(١) حديث: يقول الله تعالى: (أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ). قال العجلوني: متفق عليه عن أبي هريرة مرفوعاً. قال: قال الله تعالى: الحديث. وقال (يد الله ملأى لا يفيضها نفقة) الحديث.

انظر العجلوني: كشف الخفاء، ٢١٠/١، حديث رقم (٦٣٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم (٥٩).

(٣) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم (٥٦).

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم (١١٨).

(٥) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم (١١٩).

﴿وَلَا تُهْلِكُ الْبَاطِلُ وَالشَّيْطَانُ وَلَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْأُولَاءُ عَنْهَا لَبُذِّخُوا﴾^(١).

في مقابلة الوحي الحق فتفطن.

إشارة: العبد كُلُّ العبد مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الْحَقِّ بِالْحَقِّ، أَوْ بِكَلَامِ الْحَقِّ، وَهُوَ حَقٌّ.

إشارة: صاحب السماع عند النعمة لا عند الحق.

إشارة: وقع الفراغ من الذوات، وبقي العملُ في الصُّور.

إشارة: الكلمات هي الموجودات، وكل جوهر فرد من البحار كله، فلا تكتب بالنقطة سوى نفسها. فأين كلمات الأقلام وغيرها؟

إشارة: - ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٢).

- ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٣).

فالأجسام من جسم واحد، والأرواح من روح واحدة.

تنبيه على أن العالم وَجِدَ من واحد لا إله إلا هو العليم القدير.

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾^(٤).

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم (١٢١).

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم (١).

(٣) القرآن الكريم، سورة الحجر الآية رقم (٢٩).

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (١٦٣).

باب (٤٠) ترجمة الأقصى

إشارة: القِبْلَةُ الأولى دليلٌ على شرف الثانية، بنقله التوجّه مع وجودها.

قال ﷺ: (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر)^(١).

فاستقبل التشريف الشريف.

لطيفة: الفرح من صفات المؤمنين، لأنهم أهل انتظار لما آمنوا به، فإذا لقوه فرحوا.

(للصائم فرحتان)^(٢).

والعارفون المحقّقون لا يجوز عليهم الفرح مع المعرفة، بل لو جاز عليهم الغم لاغتصموا.

(١) حديث: (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر)، أورده السيوطي في جامع الأحاديث وقال: رواه أحمد بن حنبل في مسنده، والترمذي في سننه، وابن ماجه في سننه كلهم عن أبي سعيد رضي الله عنه. ورواه أيضاً الترمذي وابن خزيمة عن أبي سعيد أيضاً بطريق آخر. ومتفق عليه من البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وهو عن أحمد بن حنبل والترمذي من حديث أبي هريرة أيضاً.

انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ١٨٩/٢، أحاديث أرقام (٤٧٦٩، ٤٧٧٠، ٤٧٧١، ٤٧٧٢).

وانظر العجلوني: كشف الخفاء، ٢٠٣/١، حديث رقم (٦١٦، ٦١٧).

(٢) حديث: (للصائم فرحتان)، وتكملة الحديث: (فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربّه) الحديث رواه البخاري، وأحمد، والنسائي، وابن ماجه كلهم عن أبي هريرة بلفظ: (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله. قال عزّ وجلّ: إلّا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهواته وطعامه من أجلّي. للصائم فرحتان...). بقية الحديث. ورواه الترمذي عن أبي هريرة بلفظه (للصائم...) وورد بروايات كثيرة.

انظر العجلوني: كشف الخفاء، ١٤٢/٢، حديث رقم (٢٠٤٤).

إذا سمعوا رُدُّهم إلى تصورهم، فلولا مشاهدة الشاهد فيهم لحزنوا. فلا فرح عندهم بالمشاهدة، لاستيلاء العظمة التي أفتتهم، وهي تمنع من الحركة. والفرح حركة. ولا فرح له بالنعيم لأن مرتبته أعظم، والخلق إلى جانب ما حصل له في مشهده كلا شيء.

فالعارفون بالحق عليهم هبة وسكينة من الحق. بها يُعرفون عند كشف الغطاء.

إشارة: الآيات كثيرة؛ لأن الموجودات كلها آيات على الحق لقوم يعقلون. فمن وقف مع آية دون غيرها فما عرف من الحق سوى ما تعطيه الآية.

إشارة: إذا عم الفساد البر والبحر، فارحل عن الأرض، واجعل همتك سماوية علوية مخافة الهلاك.

إشارة: المؤمن منصوب بلا شك غير مخذول. فمن خذل فليُنظر من أين خذل. فسيعدم من ذلك الأين الإيمان.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

قول صدق.

(١) القرآن الكريم، سورة الروم، الآية رقم (٤٧).

باب (٤١) ترجمة أرض العبادة

لطيفة: الأرض أرضان: أرض عبادة. وأرض نعمة.

فمن خرج من إحدى الأرضين وقع في الأخرى. وهو لمن وقع فيها.

إشارة: أرض العبادة التي يرثها الصالحون من عباد الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١). يرثها في الطاعة.

﴿قَالَا أَأَنبَأُ طَائِعِينَ﴾^(٢).

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾^(٣).

إجابة الحق للعبد فيما سأل. قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: (ما أرى ربك إلا يسارع في هواك)^(٤) الإجابة عقب الطلب طاعة.

فمعناها من عين المنة، وهي: إجابة الحق فضل منه.

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (١٠٥).

(٢) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية رقم (١١).

(٣) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية رقم (٤٠).

(٤) حديث: (ما أرى ربك إلا يسارع في هواك)، رواه البخاري في تفسير سورة ٧/٣٣ والنكاح ٢٩. ورواه مسلم في الرضاع، ٤٩، ٥٠. ورواه النسائي في النكاح (١). وابن ماجه في النكاح ٥٧. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ١٣٤/٦، ١٥٨، ٣٦١.

انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ٤٥٢/٢.

ومنها من الذلة والافتقار، وهي: إجابة العبد.

لطيفة: الابتلاء مقرون بالدعوى، لا تدّعي ما تُبتلى، ولا تُطالب.

إشارة: عمارة البيت ساكنه، ولو كان من أوهن البيوت، وخرابه بالخلاء.

لطيفة: خلق الله الدنيا، وما نظر إليها ففנית.

ووقعت الكفاية بنظر الخليفة فكانت إلى أمد. وخلق الآخرة ونظر إليها فبقيت، لأن
نظر الباقي ثمرته البقاء.

فما وقع الإعراض عن الدنيا لحيوانها، وكيف وهي منزل الخلفاء؟!

ولأنما كان لما ذكرنا من الفناء والبقاء، والإنسان هنا خليفة وفي الآخرة إنسان لا
غير.

لطيفة: أياها الإنسان بيتك بيت ضعيف، تؤثر فيه تصارييف الأزمان فيُخلق وينهدم، ولو
جذّذته ورقّعته لا بد أن ينهدم.

فإن الأساس يضعف ولا يمكنك تبديل الأساس. فإنها تكون عند ذلك داراً أخرى.
فارحل عنها قبل الهدم كما رَحَلَ السُّعْدَاء، وإن لم ترحل تهدمت عليك. فيث في
غم تربتها، وليس موتك في غير هذه الحالة بشهادة.

لطيفة: الإنسان خَلِيقٌ وَأُخْلِقَهُ الزمان. ولا بد أن يخلق الزمان. فرد النفس بالنفس.

إشارة: موطن الرحلة ليس بموطن.

باب (٤٢) ترجمة الأدب

إشارة: الرمز ليس من شأن الأمر، فإنه يقابل البيان، وأصحاب الرموز رمزوا الأمرين لتوقع الضرر، أو لعدم الاحترام.

لطيفة: ينبغي للإنسان أن يتأدب بآداب الحق.

إذا رأى فُحشاً يكنى عنه، ولا يُسمِّيه إلا أن يضطر لقوله ﷺ: (إن الله أَدَبني فأحسن تأديبي)^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَسَمُ الْنِسَاءُ﴾^(٢).

كناية كنتها حالة ضرورية ما فعل بغيرك الشارد كناية فأجابه قيده الإيمان برسول الله ﷺ.

(١) حديث: (إن الله أدبني فأحسن تأديبي)، قال المجلوني: رواه العسكري عن علي بن أبي طالب.

• قال: قدم بنو نهد بن زيد على النبي ﷺ فقالوا أتيناك من غوري تهامة وذكر خطبتهم وما أجابهم به النبي ﷺ قال: فقلنا: يا نبي الله نحن بنو أب واحد، ونشأنا في بني سعد بن بكر، وسنده ضعيف جداً، وإن اقصر ابن حجر على الغرابة، وجزم به ابن الأثير.

• وأخرج ابن السمعاني بسند منقطع عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله أدبني فأحسن تأديبي. ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: ﴿حُذِ الْقَوَّ وَأَمْرُ بِالْعَرَفِ﴾ الآية...

• وأخرج ثابت السرقسطي في الدلائل بسند وإو أن رجلاً من بني سليم قال للنبي ﷺ: (يا رسول الله....) الحديث.

انظر المجلوني: كشف الخفاء، ٧٠/١ حديث رقم (١٦٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم (١٣).

لطيفة: اجعل قلبك مثل مكة^(١) يُجيبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدن ربك. هذا من الشام^(٢)، هذا من مصر^(٣)، هذا من اليمن^(٤)، هذا من نجد، هذا من كذا، نعم كذا وجد ظاهر الصورة عطلها الحق في الحقيقة فقال: ﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾^(٥) لا من هذه الجهات.

ولكن أكثرهم لا يعلمون. نسبوها إلى الجهات، وما ذكروا الحق. فإذا جعلت قلبك مثل مكة تجبى إليه الثمرات حقائق الأسماء، وحقائق الأكنان، فلا تقل هذا كون فلا أقبله. الكل من لدنه، وما بعثه إليك إلا لحقيقة فيك تطلبه، وإن لم تشعر في الوقت صورة الكمال في العلم والعمل.

(١) (مكة): (تقدم الكلام عنها).

(٢) (الشام) كانت تمتد من الفرات إلى العريش طولاً ومن جبلي طيبى إلى بحر الروم عرضاً. وعن رسول الله ﷺ قال: (الشام صفوة الله تعالى من بلاده وإليها.. يجتبي صفوته من عباده). والشام هي الأرض المقدسة التي جعلها الله مهبط الوحي ومنزل الأنبياء ومحل الأولياء. هواؤها طيب، وماؤها عذب. انظر تفاصيل كثيرة حول ذلك في: القزويني: آثار البلاد، ٢٠٥.

(٣) (مصر) سميت بمصر بن مصرام بن حام ابن سيدنا نوح عليه السلام وهي أطيب الأرض تراباً، وأبعد خراباً، ولا يزال فيها بركة ما دام عليها إنسان. ومن أهم ما فيها زيادة النيل عند انتفاص جميع المياه في آخر الصيف حتى يمتلئ منه جميع أرض مصر. انظر القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ٢٦٣.

(٤) (اليمن) معروف يقول القزويني عن تاريخها القديم: بلاد واسعة من عمان إلى نجران، تسمى الخضراء لكثرة أشجارها وزروعها وأهلها أرق الناس قلوباً ونفوساً وأعرفهم للحق، وقال ﷺ: (إني لأجد نفس الرحمن من صوب اليمن). انظر القزويني: آثار البلاد، ٦٥.

(٥) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية رقم (٥٧).

باب (٤٣) ترجمة البهائم

لطيفة: سيرو العارف، وسيرو المعروف. فإذا التقيا في العالم تصادما وإذا التقيا في غير العالم لم يتصادما.

إشارة: بالحق تجد الحق فلا تطلبه بك فإنك ما تجد سواك أيها الطالب.

لطيفة: أيها العبد. بما ليس لك تَغْتَرَّ على مثلك. لما لا تكون كما قال الكليم ﷺ: ﴿إِنِّي لِمَا أُنْزِلَتْ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(١)

لطيفة: هذا أوان الساعة قد اقترب.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢).

لو أزالوا الغفلة لتنبهوا، ولو انتبهوا لسمعوا خطاب البهائم.

قال الحمار: دعه فإنه على رأسه يُضرب.

قالت البقرة: لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث^(٣).

إشارة: من طلب السلطنة على الخلق ملأ الله قلبه شغلاً، ولم يعرف قدره.

وإن أُعطيها نفذ فيها صفر اليدين، وقد عَرَفَ قدره.

(١) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية رقم (٢٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (١).

(٣) حديث: قالت البقرة: (لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث)، رواه البخاري في فضائل الصحابة (٥)، والحَرث (٤)، والأنبياء (٥٤)، ورواه مسلم في فضائل الصحابة (١٢)، والترمذي في المناقب (١٦)، وأحمد بن حنبل في مسنده ٢٤٥/٣، ٣٨٢.

إشارة: يا وليّ: الضحك متى رأيت شيئاً يقول لك: أنا الحق

قل له: أنت بالحق.

فإنه يفنى ولا يُدّ. فاحفظ وصيتي تنتفع بها في سلوكك.

باب (٤٤) ترجمة السُّعْر

لطيفة:

عليك أيها المذكر بأن تبلغ ما تحقق في علمك.

ما عليك أن تهديهم، فلماذا تقتل نفسك؟ إذا لم تر القبول فيما تقول من السامعين. أما لك في الرسول ﷺ أسوة.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾^(١).

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٢).

﴿لَمَّا بَلَغَ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

إشارة:

فَرِّ إِلَيْهِ مِنْكَ تَعْرِفَ مَوَاضِعَ الْقَضَاءِ.

فَإِنْ فَرَزْتَ إِلَيْهِ مِنْهُ رَدَّكَ بِهِ لَتُخْبِرَ عَنْهُ.

وَأَنْ لَمْ تَفَرَّ وَبَقَيْتَ وَاقِفًا مَحَى عَنْكَ ظِلُّكَ، وَبَقَيْتَ نُورًا كَلَّكَ.

قال ﷺ: (واجعلني نوراً...) ^(٤).

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (٢٧٢).

(٢) القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية رقم (٢٢).

(٣) القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية رقم (٣).

(٤) حديث: (واجعلني نوراً...) ونص الحديث كما ورد هو: (اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقني نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً). رواه الإمام أحمد والشيخان والنسائي كلهم عن ابن عباس رضي الله عنه.

انظر المجلوني: كشف الخفاء، الحديث رقم (٥٦٩) ١/١٩٠، والسيوطي: جامع الأحاديث، ٢/٢٩٢، حديث رقم (٣٩٩٦)، ورواه الترمذي، والطبراني، والبيهقي، الحديث رقم (٤٠٤٢).

هذا عين محو الظل. فإنه ظلام الجسم.

إشارة: من سألك عن خد ما لا يُخد فهو الجاهل.

فأجب بنتائجه وأثره تكن عالماً.

لطيفة: فصلت الأغراض من بين مكروه ومحبوب، وقُرر الشرع منها ما قُرر.

فإذا كنت في عين الجمع والوجود فقل: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١).

وإذا كنت في عين التفرقة فقل: ﴿وَمَا أَسْئَلُهُ إِلَّا الشَّيْءَ﴾^(٢).

وكل قول في موضعه أدب مع الحق.

إشارة: إذا ساعدتك جوارحك على إقامة الطاعة، فلا تلتفت لقول المدعين في الترواحن.

﴿وَمَا زَيْنَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا﴾^(٣).

﴿الَّذِينَ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾^(٤).

نظروا إلى عالم التراب.

الزم ما أنت عليه، ولا تلتفت فسيندمون، ويبين أنهم كانوا جاهلين.

إشارة: قيل لأبي السعود^(٥) ببغداد^(٦)، وكان محققاً في شأنه: الرجل من يقعد أربعين لا يأكل.

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم (٧٨).

(٢) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية رقم (٦٣).

(٣) القرآن الكريم، سورة هود، الآية رقم (٢٧).

(٤) القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية رقم (١١١).

(٥) (أبو السعود) بن شبل البغدادي: إمام وقته في الطريق، وشيخه الغوث عبد القادر الجيلاني رحمته الله قال أبو السعود: كنت بشاطئ دجلة ببغداد فخطر في نفسي هل لله عباد يعبدونه في الماء؟ فما تم الخاطر إلا والنهر قد انفلق عن رجل فسلم عليّ وقال: نعم يا أبا السعود لله رجال يعبدونه في الماء وأنا منهم. وقد أنسى عليه سيدي محيي الدين رحمته الله. كان يقول: الرزق في طلب المرزوق، وليس المرزوق في طلب الرزق، حائر وبسكون أحدهما يحرك الآخر.

انظر السناري: الكواكب الدرية، ٦٤٣/١. التيهامي: جامع كرامات الأولياء، ٤٥٥/١.

(٦) (بغداد): ذكرها القزويني في آثار البلاد وبعبارة غاية في الحسن متحدثاً عن أرضها وهوائها ومائها =

قال آخر: الرجل من يأكل قوت أربعين يوماً في أكلة واحدة.
فقال أبو السعود: الرجل من يأكل كما يأكل الناس فلا يتميز عنهم.
وكان «مقلد» الصالح يقعد أربعين يوماً لا يأكل. ويأكل أربعين في أكلة واحدة.
﴿هَٰذِهِ نَافَةٌ هَٰذَا يَتَرَبُّ وَيَكْثُرُ يَتَرَبُّ﴾^(١).

- إشارة: من يزرع الحب في السباخ يندم زمان الحصاد.
- إشارة: ضع ميزانك بينك وبين ربك، وبينك وبين الخلق، فطَقَّف إذا أعطيت، واخسر إذا أخذت، وإن لم تقدر فاعدل ووفَّ كل موجود حقّه.
- إشارة: إذا تعيَّن للحقِّ عليك حقٌّ فقمْ به من حينك. وأظهر التبرّي من الحول والقوة، ولا تجعل لنفسك جاهاً عند الحق فيضعف. قابل النصيحة اتكالاً عليك.
- (يا فاطمة بنت محمد انظري لنفسك فأني لا أغني عنك من الله شيئاً)^(٢).
وهي قُوَّة عينه ﷺ.

= وترتبتها. وقال: بناها المنصور أبو جعفر وجعل داره وجامعها في وسطها. وعليها قصص كثيرة انظرها في القزويني: آثار البلاد، ٣١٣.

(١) القرآن الكريم، سورة الشعراء، الآية رقم (١٥٥).
(٢) حديث: (يا فاطمة بنت محمد، انظري....). أورده السيوطي وله بقية طويل بعض الشيء، وقال: رواه البزار في سننه عن السناك بن حذيفة: جامع الأحاديث، الحديث رقم (٢٨٠٢٨) (٢٣٤/٧).

باب (٤٥) ترجمة إِيَّاكَ أعني فاسمعي يا جارة^(١)

إشارة: إذا حضر الرقيب والحبيب، فخطب الرقيب بلسان الحبيب. يسمعك الحبيب وتفهم لسانه فتأمن غوائل الرُقباء.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(٢). فوقع البيان.

فما رمز نبي شيئاً قط، لأنه بعث للبيان.

إشارة: لا تقع الغيرة عليك إلا إذا عشقت مثلك؛ من جارية أو غلام. فإنك تأتيه بكُلِّك للمماثلة.

(١) التَّنْكِ: (إِيَّاكَ أعني فاسمعي يا جارة)، أول من قال ذلك «سهل بن مالك الفزاري»، وذلك أنه خرج يريد النعمان فمرَّ ببعض أحياء طيبى، فسأل عن سيد الحي. فقيل له: حارثة بن لأم. فأُمَّ رَحْلَهُ فلم يُصِبه شأهداً، فقالت له أخته: انزل في الرحب والشَّفة. فنزل فأكرمته ولاطفته، ثم خرجت من خبايتها فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم، وكانت عقيلة قومها وسيدة نساها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يدري كيف يرسل إليها، ولا ما يوافقها من ذلك. فجلس بفناء الخباء يوماً، وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد ويقول:

يا أخت خير البدو والحضارة
أصبح يهوى حُرَّةً مِعْطارة
فأجابته شراً قائلة:

إنني أقول يا فتى فزارة
ولا فراق أهل هذي الجارة
لا أبتغي الزوج ولا الدعاره
فأرحل إلى أهلك باستخاره

انظر الميداني: مجمع الأمثال، ١/٨٠/١٨٧.

(٢) القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية رقم (٤).

فإذا عشقت غير الجنس فإنما تعطيه منك ما يُناسبه ويبقى منك للحق نصيب.
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

إشارة: لا راحة مع الخلق، فارجع إلى الحق فهو أولى بك.

إن عاشرتهم على ما هم عليه بعدت من الحق، وإن عاشرتهم على ما أنت عليه
قتلوك. فالستر أولى، وأيسره أن تكون كائناً بائناً.

إشارة: تحفظ من صاحب فهو العدو الملازم، فدلّه على الحق واشغله به، فإنه سيشكر
لك ذلك عند الله. وأقرب أصحابك إليك نفسك.

لطيفة: ما مُدّت الظلال للاستظلال، وإنما مُدّت لتكون سُلماً إلى معرفة الله معك. فأنت
الظل وسيقبضك إليه.

إشارة: «لا إله إلا الله» يكون^(٢) عن علم، ويكون عن إيمان. فمن دخل منهم النار خرج
بشفاعة الشافعين. فأهل الإيمان يخرجون لشفاعة الرُّسل. وأهل العلم يخرجون
بشفاعة أرحم الراحمين. فإن نار الخلود لا تقتل إلاّ المشرك. والعالم الذي يخلق فيه
خاصة.

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية رقم (١١).

(٢) أي: (قول لا إله إلاّ الله يكون...).

باب (٤٦) ترجمة الظُّلْمة والنور

إشارة: من نظر إلى الدنيا نظرةً فإن فيها^(١) نزل عن مائة درجة، من الجنة، ودخل في مائة درك من النار، فإن تاب تاب الله عليه.

إشارة: أمسك عليك لسانك قبل أن يُختم عليك بغير إذنك فتقوم السنة منك كثيرة بلغة تفهم عنها ما تقول.

إشارة: ما من نور إلا في مقابلة ظُلْمة، وكُلُّ ظُلْمة على قدر نورها، والأنوار متميزة، وكذلك الظُّلْم، ما من شيء إلا له مقابل.

(١) (فإن فيها): هي نظرة العاشق أو المتعشق لها لأنه بذلك ترك القلب يمتلئ بصور الأكوان والحق سبحانه وتعالى حرم على نفسه دخول القلب ما دام فيه غيره. فلا مكان فيه للحق. لأنه امتلأ بظلمة الأكوان عن عشق.

باب (٤٧)

ترجمة ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنَهَىٰ﴾^(١)

إشارة: إلى الحق انتهائوك. فإن عليه صلاحك، وعظيم صلاحك حفظ وجودك. وحفظ وجودك باعتدالك. واعتدالك بحفظ الحق، ويده. فأنت راجع إليه.

لطيفة: لا يحجبك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنَهَىٰ﴾^(١).

فتقول: ليس هو معي في البداية.

بل هو معك في البداية، وفي طريقك إليه. وإليه نهايتك، لكن تختلف أفعاله فيك، وهي اختلاف أحوالك.

ففي البداية يُسوِّيك.

وفي الطريق يهديك.

وفي الغاية يملكك، ويخلع عليك خلعة الخلافة.

فلما كان المنتهى - المطلوب - ذلك. قال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنَهَىٰ﴾.

إشارة: من اعتزَّ بالحق سَعِدَ، ومن اعتزَّ بغيره شقي، وإن نُصِرَ في الوقت.

لطيفة: ضرب الحق حجابَه بينه وبين كل من رأى اسمه عليه في حضرته.

(١) القرآن الكريم، سورة النجم، الآية رقم (٤٢).

باب (٤٨) ترجمة العالم

إشارة: خف من له الاقتدار على نفوذ الحكم.

إشارة: كتابه علمه، وله تنفيذ الحكم فيك، وفي الخلق. فما حكم عليك به فأنت له.

لطيفة: قَبِلَ الْمَلِكُ مَا أَعْطَاهُ اللَّوْحُ. وَقَبِلَ اللَّوْحُ مَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ. وَجَرَى الْقَلَمُ بِتَصْرِيفِ الْيَمِينِ. وَتَصْرِيفِ الْيَمِينِ سُلْطَانُ الْإِرَادَةِ. وَسُلْطَانُ الْإِرَادَةِ تَرْجِمَانُ الْقَوْلِ. وَأَنْفَقَ الْكُلُّ مِنْ خَزَانَةِ الْعِلْمِ. وَالْعِلْمُ الْحَقُّ. وَالْحَقُّ الْعِلْمُ.

باب (٤٩) ترجمة العناية

- إشارة: إذا كُنْتُ للحق لم تُعْرِف. وإذا لم تُعْرِف لم يدر القادم على ما يقدم منك. فتكون محفوظ الذات.
- إشارة: إذا كنت بالحق لم تتطرق إليك أيدي العداة فإنك تحت حياطة العِزَّة.
- لطيفة: من كان لغير الحق فقد يكون بالحق وبغير الحق.
- وإذا كان بالحق فقد يكون صاحب عقد، أو صاحب حال.
- فإذا كان صاحب عقد: فنوره مُذْخَر عند الحق إلى يوم القيامة.
- وإذا كان صاحب عقد وحال: فهو على نور من ربه، وأُخِر له نوراً أعلى من نوره.
- وإن لم يكن بالحق فله الظُّلْمَة.
- لا تغتر بنور الشُّبُهات في صدره، فإنها مثل السراج تطفئها الرياح والأنفاس.
- إشارة: مَذَلَّةُ الولي في الدنيا ليس بذلّ، فإنها مشاهدة عن الحق في قلوبهم.
- وإنما ذلك تصفية، وحكم الموطن.

باب (٥٠) ترجمة القضاء

إشارة: لا تسأل فإن السؤال لا يُبدل ما كُتب، إلا أن يكون السؤال مِمَّا كُتب. فقف عليه في الكتاب. فحيثُ تسأله على بصيرة.

قال عز وجل: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾^(١).

إشارة: إن لم تعرف ما يُرادُ بك، فلماذا تنتسب إلى الحق؟
وأين العناية التي حصلت بالمجاورة؟

إشارة: العبادُ في قبضة الحق.

قال تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾^(٢).

لِمَ هي مصروفة فيه.

فالكلُّ في قبضته من قضاائه، وفي قضاائه.

إشارة: قُدِّرَت المقادير، ووُزِنَت الموازين. ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٣).

فمن سأله ما خرج من قضاائه. ومن لم يسأله ما خرج من قضاائه.

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية رقم (١٠٨).

(٢) القرآن الكريم، سورة هود، الآية رقم (٥٦).

(٣) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية رقم (٢١).

باب (٥١) ترجمة المنة

إشارة:

حجاب العزة لا يُرفع، ولا يمكن أن يرفع.

وأخر حجاب يُرفع رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.

كما جاء الخبر عن النبي ﷺ^(١).

لطيفة:

رؤيتك للحق حجاب عليك من الحق.

إشارة:

وما يعرف المؤمنون أنهم رأوا الحق، حتى يرجعوا إلى قصورهم ضابطين لما رأوه.

والحق لا ينحصر فينضب، فهناك يعرف العارف من رأى.

إشارة:

لا يرى من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) إلا من ليس كمثله شيء. قاله أبو طالب المكي^(٣) رحمة الله عليه.

(١) انظر الحديث: (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن...)، والحديث طويل اقتطنا منه ما يناسب السياق.

انظر صحيح البخاري ١/١٦٣، ٦/٢٧١٠، والترمذي، ٤/٦٧٣. ومسنند أحمد بن حنبل، ٤/٤١١، ٤١٦. وصحيح مسلم، ١/١٦٣.

وانظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ٢/٢٥٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية رقم (١١).

(٣) (أبو طالب المكي) هو: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب. من الوعاظ الزهاد، من أهل الجبل بين بغداد وواسط. سكن مكة فُنسب إليها. كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة له مصنفات مشهورة منها: قوت القلوب وقد حققه مؤخراً على نسخ عديدة الأستاذ الدكتور عامر النجار وسينشر بالهيئة قريباً وله أيضاً (علم القلوب) وغيره توفي رحمه الله سنة ٣٨٦هـ.

إشارة: رؤيتك للحق مشهود وشاهد. فالحق المشهود والشاهد ما حصل عندك من رؤيته، وهو الذي ينقلب معك.

إشارة: رؤية القلوب على قدر صفاتها ونورها. ورؤية الأبصار على مقدار قلوبها. فالبصر أتم، ولهذا كان الغاية رؤية البصر. ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾^(١).

بالبصيرة ترى الحق في الدنيا.

وبالبصر تراه في الآخرة. وأنت نصير.

= انظر ابن قنفذ القسطنطيني: كتاب الوفيات، ص ٢٢٢. ابن العماد: شذرات الذهب، ١٢٠/٣. الخطيب:

تاريخ بغداد، ٨٩/٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٣٠/٣.

(١) القرآن الكريم، سورة الملوك، الآية رقم (١٤).

باب (٥٢) ترجمة العبادة

لطيفة: للحق ذكرٌ ودُعاء، وللخلق ذكرٌ ودُعاء. فإن ذكرت الحق ذكرَكَ. وإن قلت له: يا رب. قال لك: يا عبد. وإن قلت له: اعطني. قال لك: اعطني.

فاختر الذكر، أو الدُعاء.

الدُعاء قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾^(١).

والذكر قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٢).

إشارة: الدعاء عبادة، والذكر سيادة. فمن دعاه وصل إليه، ومن ذكره فهو عنده. (أنا جليس من ذكرني)^(٣).

إشارة: الدعاء نداء، والنداء عين البُعد.

إشارة: لنفسك عليك حق، ولعقلك عليك حق.

فاذكر الحق لعقلك، وادعه لنفسك بالجنة لا لهُ.

لطيفة: لولا الشاردون من بابيه ما أرسلت الرُّسُلَ يمسكون عليهم الطُّرُقَ، حتى يرجعوا إلى الحق.

الشارد؛ هو: الفارُّ من النور إلى الظلمة.

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (٤٠).

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (١٥٢).

(٣) حديث: (أنا جليس من ذكرني)، رواه الديلمي - بلا سند - مرفوعاً عن عائشة رضي الله عنها وعند البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أقرب أنت فأناجيك، أو بعيد فأناديك. فقيل له: يا موسى أنا جليس من ذكرني. ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب عن كعب.

انظر اختلاف الروايات عند العجلوني في كشف الخفاء، ٢٠١/١ حديث رقم (٦١١).

باب (٥٣) ترجمة الغيب

إشارة: عين الوجه لا يدرك إلا بعد نفوذ سبع طباق:

المشيمة، والصلبة، والشبكية، والعنكبوتية، والعننية، والقرنية، والملتحمة.

قال الحكماء: فهذه طبقات العين.

وهو من ورائها محفوظ بها، فكَذلك عين القلب تنفذ بسبع طباق مثل: البصر: فالمشيمة كونه. والصلبة: وصفه. والشبكية: تعلُّقه. والعنكبوتية: تداخل الخواطر عليه. والعننية: تخليصه. والقرنية: زمانه. والملتحمة: وصلته بمن عرف. فإذا نفذ هذه الأطباق، وتصفح هذه الأوراق حينئذٍ ينفذ إلى أول منزل من منازل الغيب، وهو منزل الضياء.

إشارة: عين القلب وإن أُعطي العلم فلا يزال خلف الحجاب، حتى يؤيده البصر.

لطيفة: في الحسّ يترّ في الخلق لم يُطلع الله عليه إلاّ المصطفين من عباده.

باب (٥٤)

ترجمة الوفاء

إشارة: من ترك حقاً له عند الحق في الدنيا ليأخذه منه في الآخرة فما تركه.

ومن ترك حقاً له لا ليأخذه منه فقد عاند.

لطيفة: قال الله تعالى: «وكان حقاً على الله نصر المؤمنين»^(١).

وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٢).

فللعبد على الحق حق. وللحق على العبد حق.

(١) أوردها صاحب النسخة (ط): قال تعالى: «وكان حقاً على الله..» وهذا تحريف.

ولكن النص القرآني أهم ما دام يقول المؤلف: قال الله تعالى.. ففي هذه الحالة يجب إيراد نص الآية لا معناها كما حدث هنا. كما أن المعنى بهذه الصيغة قد يدخل في باب المساءلة عافانا الله من ذلك. ونص الآية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَانْتَفَعْنَا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧). وهي الآية رقم (٤٧) من سورة النور.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم (٥٤).

باب (٥٥) ترجمة الفهوم

- إشارة: ليس مع المشاهدة فهم.
- لطيفة: الفهم يريد العجب، والعجب يريد الكبرياء، والكبرياء رداء الحق. فمن تردى به قصم.
- إشارة: سلُّ الفهم فإنه يُنجيك.
- لطيفة: الفهم تفتيش، والتفتيش تبديد، والتبديد لا يكون إلا في الأسماء والأغيار، كما أنَّ الحيرة لا تكون إلا فيمن لا يتكيف.
- إشارة: ليس العجب من طلب كيفية من لم يعرف، وإنما العجب من أين علم أنَّ نَمَّ كيفية؟!
- لطيفة: الحقُّ له حقيقة ولا تُحدُّ.

باب (٥٦) ترجمة التوقيع

- إشارة: توقيع الربوبية تخضع تحت سلطانه لطائف الأرواح.
- تنبيه: قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾^(١).
- إشارة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٢).
- لولا انتظار الآمال ما فرح بالتوقعات.
- إشارة: توقيع روح القدس يخالف توقيع الكون.

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (٤٠).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم (٥٤).

باب (٥٧) ترجمة التسخير

- لطيفة: الحق يطلب الإنسان، والمقامات تطلبه، وهو لمن أجب.
- إشارة: الإنسان محجوب عن الحق في الأحوال، مشهود له في المقامات.
- لطيفة: المقام يحجبك إن نظرت في الحق، أو نظرت الحق فيه.
- قالت الملائكة: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا لَمْ يَكُنْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾^(١). وكذلك كل موجود.
- لطيفة: الحال مُهلكة، والمقام مُنَجِّج، غير أن الدعوى في المقام مهلك، والدعوى في الحال غير مأخوذ بها صاحبها.
- إشارة: كن في الحال يكن الحق معك، ولا تكن في المقام تكن مع نفسك.
- إشارة: صاحب الحال سكران، ويصحو. ومن صحا شهد على نفسه بالتغيير. وصاحب المقام ينتقل فهو مثله. فالحجاب موجود على كل حال ووجه.

(١) القرآن الكريم، سورة الصفات، الآية رقم (١٦٤).

باب (٥٨) ترجمة السلب والتنزيه

إشارة:

لا أقول لك: تجرّد عن هيكلك، ولا انسلخ من ظلمتك ولا اسبح في بحار
شبهات روحانيتك، ولا تجلّ في ميادين التقديس لترى الحق، أو يهب عليك نسيم
جود مشاهدته، أو اجعل ذلك تعرضاً لنفحاته.

لا أفعل ذلك مطلقاً فإن فيه نسبة عجز، وتعظيم كون في جناب الحق. والحق لا
يقاومه شيء.

فمتى سمعت داعي الحق إلى مقام ما، فاعلم أنه معك في المقام الذي يدعوك منه.
فلا يحجبك الخطاب بالدعاء عن وجوده فيما عندك.

لطيفة:

رُوحُ القُدُس تطلب الحق على عزّيته عندك كما تطلبه أنت على حبسك في ظلمة
هيكلك.

فالكُلُّ عاجز، وليست رؤيته في نور القُدُس عند المحقق بأظهر ولا أوضح من رؤيته
في ظُلمة الطين.

لطيفة:

الحق لا يعزّب عنه شيء فهو مع كل شيء، فلا يعزب هو عن كل شيء.

باب (٥٩) ترجمة القدرة

إشارة: إذا تنقّلت بالخيرات أشهدك أنه كأن يدك عند البطش، وسمعتك عند الاستماع، وبصرك عند النظر. فهو السميع البصير الباطش. فالعناية بك في كشفك ذلك.

إشارة: الوضعيات لا تؤثر في الحقائق، وهي من الحقائق.

لطيفة: هو القائل: ﴿أَخْسَرُوا فِيهَا﴾^(١).

وهو القائل: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾^(٢).

فاشتركا في سمع الكلام، فليس المطلوب سماع الكلام.

إشارة: من تجرّد عن غرضه أَمِنَ سطوة مرضه.

(١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية رقم (١٠٨).

(٢) القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية رقم (٧٠).

باب (٦٠) ترجمة الذكر

إشارة:

من أحبَّ الحقَّ وغار عليه فهو مع حُبِّه لا مع الحق.

العارف لا يغير على الحق بل يعشقه إلى عباده، ويحبِّه إليهم.

إشارة:

من غار على الحق من نفسه فما عرف نفسه، فما عَرَفَ ربُّه.

لطيفة:

الكون يحبِّه المذكور عن الذكر، والذكر عن المذكور.

والحق يذكرك مع مشاهدته إِيَّاك، فثبت أنه ليس كمثله شيء.

إشارة:

لا تَغِزْ عليه ولكن غِزْ له.

لطيفة:

لا يُحجب بالغيرة إلّا من ادّعى المعرفة، فمن لم يدّع المعرفة فربما قرب على غيرته.

وبرهان التقريب: رفع الغيرة عنه عند الرجوع إلى نفسه.

باب (٦١) ترجمة المحبة

إشارة: كل مُحِبٍّ مشتاق ولو كان موصولاً.

لطيفة: إذا دُعِيَ الأسرار بلسان الأمر، أدبرت للعزّة التي هي عليها.

وإذا دُعِيَ بلسان اللُّطف من غير أمر أقبلت فقيرة، إلّا المحبُّون العارفون فإنهم يُقبلون عند كل دعاء.

يقول حاجب الباب: حيّ على الصلاة.

فيقول المحب: وعبت لما فيه قوّة عيني.

ويقول الغير: جاء التكليف.

لطيفة: ما دُعِيَ الخلق من باب الحُبِّ، ولكن من باب الجود على الأسماء حتى تظهر حقائقها.

فهو حُبٌّ للأسماء جود للعَيْنِ.

باب (٦٢) ترجمة الصرف

إشارة: من طلب العلم طلب الحجاب، إلاّ من طلبه من باب العين.

ومن ترك العلم فهو جاهل.

إشارة: من قال: الرؤية تابعة للعلم «كأبي حامد»^(١).

فقل له: العلم تعلّق بالوجود. وما ضبط غيره.

والرؤية تعلّقت بالموجود، لا من كونه موجوداً. والعلم لا يضبط ذلك. فكيف تكون الرؤية تابعة للعلم؟

لطيفة: من قال لك: لا تبرح من العلم، فقد قتلك بسيف الأبد.

قالت طائفة: العلم حجاب، وذلك لأنه يعمر منك ما ينبغي أن تفرغه للرؤية.

فلا تتعلم. أي: لا تقف مع العلم.

لطيفة: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢).

علم العين. وهو الحاصل من الدليل. إذا علمت فلا يخلو علمك بالحق، أو يستوي الحق. تعلقه بالحق مُحال وتعلقه بالسوي حجاب. فأنت بعيد مع العلم على كل حال.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) القرآن الكريم، سورة طه، الآية رقم (١١٤).

إشارة: العلم ليل لا صُبْح له، ومن قطع المفاوز في الظلمات وهو غير خَرَّت زاد تيهاً على تيه.

الدليل للعلم يطلب معلومه، وذات الحق لا تُعَلَّم، فليس عندك ما تطالبه.

إشارة: لو كانت الرؤية نتيجة العلم لكانت كسباً.

والرؤية من عين المنَّة الأولى، والجود المطلق.

باب (٦٣) ترجمة النوراني

إشارة: الرؤية حجاب. وكانت الدار حجاباً. فإنها ظلمة، والظلمة حجاب.

إشارة: ظلّ. والرؤية ضياء.

فالناس بين ظلّ وضياء. فإنهم بين حقّ وخلق.

إنه نوراني. يرى أيّ حجاب دون الإبصار. فكيف يرى الأبصار؟

باب (٦٤) ترجمة قدر القُرب

إشارة: الحق أقرب إليك منك إليك، وهو القريب البعيد.
خرج رجال الحق يسمعون منه، وله خطاب أمر وخطاب ابتلاء.
فامثل خطاب الأمر. واقبل خطاب الابتلاء من غير امثال.
واسجد عند الخطايين: سجود شكر، وسجود إقالة.
إشارة: المقدار منك ظهر، وإليك يعود.
فلا تنسبه إلاّ إليك تُصب.

باب (٦٥) ترجمة الاستفهام

إشارة: الاستفهام عن الإثنية يؤذن بالمكر.
والاستفهام عن الإيتيين يؤذن بالاستدراج.
والاستدراج: من حيث لا تعلم.
والمكر: من حيث لا تشعر.
وترك السؤال يؤذن بالبعد. فأين الراحة؟!

باب (٦٦) ترجمة الجزاء

إشارة: نَعْتُكَ مردود عليك، وعلى ما تكون مع الحق يكون معك.

باب (٦٧) ترجمة الهادي

إشارة: الحيرة قبل الوصول.

والحيرة في الوصول.

والحيرة في الرجوع.

كيف لا تحار العقول والأسرار فيمن لا تُقَيِّده البصائر والأبصار؟

إشارة: لو جُلِّي الحق نَفْسَك لك لِحْزَت.

لطيفة: الواصل إليه من لا يصل إليه.

إشارة: عين روح القدس دعى منه ليصل إلى نفسه.

عسى تجد الحق عند وجوده في السراب فيلف في بحار غيبه.

وتوغرت عليه المسالك، وتداخلت عليه الطرق تداخل خيوط الرقم في ظاهر الثوب
فاستغاث بالإقالة عن طلب المعرفة. فأجاب الاسم المغيث: يا هذا فيك بهت، ولم
تقو على مشاهدتك لك فتأدب، ولا تطلب ما لا يمكن تحصيله.

باب (٦٨) ترجمة الحجاب

- إشارة: الحجاب في الحجاب لأن عيونهم ناظرة إلى من يطلب الدخول.
- لطيفة: الرسل حجاب بين يدي الحق، دعاة إليه فمن أجابهم دخل فخلع عليه خلعة الحجابة، والوفادة، والسقاية.
- فهو: يدعو القلوب خاصة.
- والرسل: حجة تدعو القلوب والجوارح.
- والملائكة: حجة بين يدي الحق.
- والرسل والأنبياء حجة لذواتهم.
- إشارة: الحجاب لا يؤذن بالعذاب في آخرة إلا في حق من طلب الرؤية فخرمها.
- لطيفة: من شرط الالتذاذ بالرؤية المعرفة.
- الرؤية التي يجتمع فيها المنافع والمؤمن لا تكون معها المعرفة لا تقع بها اللذة وإلاّ التشريف.

باب (٦٩) ترجمة معرفة الرداء

إشارة:

ال خليفة نائب الحق في خلقه فلذلك تظهر صفاته.

ليس العجب ميّاً قلت فهكذا خلقك، وإنما العجب منك كيف لا تعرف ذلك؟!

ليس العجب منك كيف لا تعرف ذلك، وإنما العجب كيف أقول لك: كيف لا تعرف ذلك؟! والحق ما عرفك، وأنت لا تُعرف حتى يعرفك؟!

لطيفة:

الرداء والإزار فمن خُلِعَا عليه معاً فهو النائب وال خليفة.

من كان رداء فهو سعيد، ومن كان إزاراً فهو شقي.

إشارة:

من عرف الحق قبل نفسه لم يعرفه حقاً لكن عرفه ذاتاً.

لطيفة:

لولا الألوهية لما تنوعت التجليات.

لطيفة:

التنوعات حقائق الأحكام فما ثمَّ وثمَّ.

والحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده المرسلين، والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد
وأله وصحبه وسلم

كتاب حلية الأبدال

وما يظهر عنها من المعارف والأحوال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَنْعَمْتَ فَرِّدْ

الحمد لله على ما ألهم، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله علينا عظيماً، وصلى الله على السيد الأكرم، المعطي جوامع الكلم في الموقف الأعظم، وسلّم تسليمًا.

أما بعد

فإني استخرتُ الله تعالى ليلة الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمنزل الميه بالطائف^(١) في زيارتنا عبد الله بن عباس^(٢) ابن عم رسول الله ﷺ وكان سبب استخارتي سؤال صاحبي أبي محمد عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي^(٣) عتيق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحرّاني رحمه الله، وأبي عبد الله محمد بن

(١) (الطائف) بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً. قال عنها الأصمعي: دخلت الطائف وكأني أبشر، وقلبي ينضج بالسرور، ولم أجد لذلك سبباً إلا انفساح جوّها وطيب نسيمها بها «وج الطائف» وإذ نهى النبي ﷺ عن أخذ صيدها واختلاء حشيشها. ينسب إليها عبد الله بن عباس^(٢)، والحجاج بن يوسف الثقفي، وغيرهما.
انظر القزويني: آثار البلاد، ٩٩.

(٢) (عبد الله بن عباس) هو: أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي، الحبر، البحر، الصباحي الجليل. ابن عم رسول الله ﷺ وأبو الخلفاء العباسيين. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ونشأ في بدء عصر النبوة. فصحب النبي ﷺ وروى عنه الأحاديث ودعا له ﷺ: (اللهم علّمه الحكمة وتأويل القرآن) ولذا يقال عنه: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. توفي ﷺ سنة ٦٨ هـ بالطائف.
انظر ترجمته في ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات، ٧٦. أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣١٤/١. ابن العماد: شذرات الذهب، ٧٥/١. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة رقم (٤٧٧٢).

(٣) (عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي) من تلاميذ الإمام محيي الدين بن عربي ونشاخ كتبه، وسامعي آثاره. سمع الكثير عن ابن عربي، وكتب الكثير أيضاً، وترك تأليفات منها: (الإنباه على طريق الله) وقبل: =

خالد الصديقي التلمساني، وقفهما الله أن أقيد لهما في هذه الأيام؛ أيام الزيارة ما ينتفعون به في طريق الآخرة.

فاستخرت الله في ذلك، وقيدت لهما هذه الكؤاسة التي سميتها: «حليّة الأبدال وما يظهر عنها من المعارف والأحوال»^(١) تكون لهما ولغيرهما عوناً على طريق السعادة، وباباً جامعاً لفنون الإرادة.

ومن موجد الكون نسأل التأيد والعون.

= هو ما سمعه من شيخه ابن عربي، توفي رحمه الله سنة ٦٣٨ هـ نفس العام الذي توفي فيه ابن عربي.
انظر كحالة: معجم المؤلفين، ٣/٣٩٩. الجزء الثاني من رسائل ابن عربي: تاج الرسائل ومنهاج الوسائل، المطبوع بمؤسسة الانتشار العربي. وكذا المجلد الثالث ص ٢١٠.
(١) (حلية الأبدال) أولاً: الحليّة: ما يتحلّى به، أو يتزَيّن به من مصاغ الذهب والفضة. وفي نص الآية: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَاجِرٍ رَاحِمًا مِثْلَ بَيْعَاتِهِمْ﴾. وفي الحديث أنه ﷺ قال: ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟ عندما جاءه رجل وعليه خاتم من حديد.

أما (الأبدال) فهم: سبعة من رجال القطب. من سافر منهم من موضع، أي موضع كان، وترك جسداً على صورته حياً بحياته، ظاهراً بأعماله بحيث لا يعرف أحد أنه فقيد، وذلك هو البديل لا غير. وتقريب معنى البديلة في تعدّد ظلّ شخص واحد في الأنوار المتعددة على الأنحاء المختلفة. وهو؛ أي: البديل في قلبه الآحاد، والصور. صورته على قلب إبراهيم عليه السلام فإن البرزخية الكبرى الجامعة بين الأحدية المسقطّة للاعتبارات، والواحدية المشبهة لها، بحكم الإحاطة، واشتمال كل الحقائق الكامنة فيها على الكل حقيقة محمدية. وبحكم التمييز الحقي بين ما اشتملت عليه هذه البرزخية من كليات المراتب والأمهات السبع الذاتية الثبوتية، مع بقاء حكم أحدية الجمع عليها حقيقة إبراهيمية.

وبحكم غلبة التفضيل والتمييز منشأ حقائق الأنبياء وورثتهم على سبيل البديلة. فمن انتهى إلى هذه البرزخية أوقف، أو غلبت عليه مطالعة حكم التمييز والتفضيل فيها فكان على قلب نبي غلبت حكم نسبته عليه.

ومن انتهى إليها وطالع منها التمييز الحقي بين الأمهات السبع الكلية مع مطالعته أحدية جمع الجمع وطالع الإحاطة والاشتمال. ووجد أن كل شيء منه كل شيء. وتحقق في البرزخية بمشرف عبر عنه بـ «أو أدنى» فهو على قلب محمد (صلى الله عليه وسلم) ولما كان إبراهيم عليه السلام أول من قام بمظهرية الأمهات السبع على حكم التمييز الخفي بينهما نسبة البدلاء السبعة إليه وراثته. فإن كلاً منهم متحقق بمظهرية واحدة منها ومع مطالعة أحدية جمع الجمع في تحقّقه.

انظر القاشاني: رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال، بتحقيقنا ص ٦٣. ومعجم المصطلحات والإشارات الصوفية، بتحقيقنا أيضاً ١/٢٧٤. وفيه تفصيل أكثر.

فصل

الحُكْمُ نتيجة الحكمة، والعِلْمُ نتيجة المعرفة، فمن لا حكمة له، لا حُكْمُ له، ومن لا معرفة له، لا علم له.

فالحاكم العالم لله قائم، والحكيم العارف بالله واقف، فالحاكمون العالمون لاميون^(١)، والحكماء العارفون باميون^(٢).

(١) ينبغي أن أشير هنا إلى أن حرف «اللام» يقول عنه ابن عربي: إن اللام من عالم الشهادة والجبروت. مخرجه: من حافة اللسان، أدناها إلى منتهى طرفه. عدده: في الاثنى عشر فلماً ثلاثون. وفي الأفلاك السبعة ثلاثة. بسائطه: الألف والميم، والهمزة والفاء والياء. يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة. له الغاية مرتبه الخاصة سلطانه: في البهائم. طبعه: الحرارة واليبوسة والبرودة. عنصره الأعظم: النار. ممتزج، كامل، موحش، مفرد... ويقول فيه:

اللام للأزل السنني الأقدس	ومقامه الأعلى البهي الأنفس
مهما يقيم تبدى المكون ذاته	والعالم الكوني مهما يجلس
يعطيك روحاً من ثلاث حقائق	يمشي ويرفل في ثياب السندس

انظر: الفتوحات، لابن عربي، ٣٠٧/١، من طبعة الهيئة العامة للكتاب.

(٢) أما «الباء» فقد كتب عنها ابن عربي كتاباً، وستجده إن شاء الله قريباً في أجزاء هذه السلسلة من رسائل ابن عربي يقول فيها:

الباء للعارف الشبلي مُغْتَبَرٌ	وفي نُقِيطَتِهَا للقلب مُذَكَّرٌ
يسر العبودية العليا مازجها	لذلك ناب مناب الحق فاعتبروا

اعلم أن «الباء» من عالم الملك والشهادة والقهر له الحقائق والمقامات والمنازلات. يشيرون به إلى أول الموجودات، وهو في المرتبة الثانية من الوجود، وبه قامت السموات والأرض وما بينهما، قال الشيخ أبو مدين: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الباء عليه مكتوبة». يعني به قام كل شيء. وقال الشبلي: أنا النقطة التي تحت الباء.

انظر ابن عربي: الفتوحات، ٣٢١/١، كتاب الباء. القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، بتحقيقنا ٢٦٥/١، باب «الباء».

فصل

لما شغف الزاهد: بترك دنياه. والمتوكل: يَكِلُ أمره إلى مولاه. والمريد: بالسمع والوجد. والعايد: بالعبادة والجهد. والحكيم العارف: بالهمة والقصد. وغاب العالمون الحاكمون في الغيب فلم يعرفهم عالم، ولا مُريد، ولا عايد. ولا شهدهم متوكل ولا زاهد.

فَتَرَكُ الزاهد للِعَوَض، وتَوَكَّل المتوكل لِنَيْل الغرض، وتَوَاجَد المريد لِنَفْي الكُزْب، واجتهاد العايد رغبة في القُرْب، وقَصْدُ العارف الحكيم بهمته الوصول. وإنما يتجلى الحق لمن انمحي رسمه، وزال عنه اسمه. فالمعرفة حجاب على المعروف، والحكمة باب عنده يكون الوقوف، وما بقي من الأوصاف فأسباب كالحروف، وهذه كلها تُشَقَّى عِلَلُ الأبصار، وتطمس الأنوار.

فلولا وجود الكون لظهر العين، ولولا الأسماء لبرز المستقى، ولولا المحبة لاستمر الواصل، ولولا الحظوظ به لملكت المراتب، ولولا الهوية لظهرت الإثنية، ولولا «هو» لكان «أنا»، ولولا «أنت» لبدا رسم الجهل قائماً ولولا الفهم لقوي سلطان العلم. فإذا تلاشت هذه الظلم وطارت بمرهفات الفناء هذه التثهم

تَجَلَّى لِقَلْبِكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ
بِهِ قَاطِئاً فِي غُيُوبِ الْأَزَلْ
وَمَا حَجَبَ الْعَيْنُ عَنْ ذِكْرِهَا
يَوَاكَ وَلَكِنْ بِضَرْبِ الْمَثَلِ
تَبَيَّنَ لِنَقْلِ أَنْ الَّذِي
رَأَاهُ بِهِ دَائِماً لَمْ يَزَلْ
وَحَاءَ الْخِطَابُ بِمَنْ الْكَلَامِ
وَيُنْبِدي سَنَاءَ زُشُومِ الْمَحَلِ

فصل

كان لنا بمرشاة الزيتون ببلاد الأندلس صاحب من الصالحين يعلم القرآن. وكان فقيهاً مُجيداً، حافظاً، ذا ورع وفضل وخدمة للفقراء اسمه «عبد المجيد بن سلمة». أخبرني وفقه الله، قال:

«بينما أنا ليلة في مُصلاي، قد أكملتُ حزبي، وجعلتُ رأسي بين رُكبتَي أذكر الله تعالى؛ إذ تحسّستُ لشخص قد نقد مُصلاي من تحتي، وبسط عَوْضاً منه حصيراً حصيفاً وقال: صلّ عليه. وباب بيتي عليّ مُغلق. فداخني منه جزع. فقال لي: من يأنس بالله لم يفرع.

ثم قال لي: اتق الله في كل حال.

ثم إني ألهمتُ فقلْتُ له: يا سيدي، بماذا يصير الأبدال أبدالاً^(١)؟

فقال لي: بالأربعة التي ذكرها «أبو طالب»^(٢) في «القوت»^(٣): الصمت، والعزلة، والجوع، والسهر.

ثم انصرف عني، ولا أعرف كيف دخل، ولا كيف خرج. غير أن بابي على حاله مغلق، والحصير الذي أعطانيه تحتي».

(١) انظر ما تقدم حول الكلام عن الأبدال أثناء الحديث عن عنوان الكتاب.

(٢) (أبو طالب) هو: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي نسبة إلى مكة لأنه سكن بها كثيراً.

انظر ترجمته في رسالة «تاج التراجم»، من هذا المجلد.

(٣) «القوت» هو كتاب «قوت القلوب».

وهذا الرجل هو من الأبدال، واسمه «معاذ بن أشرس» عليه السلام. فهذه الأربعة التي ذكرها هي عماد هذا الطريق الأسنى، وقوائمه. ومن لا قَدَمَ له فيها، ولا رسوخ فهو تائه عن طريق الله تعالى.

وغرضنا في هذه الكُراسة الكلام في هذه الفصول الأربعة وما تعطيه من المعارف والأحوال.

جعلنا الله وإياكم مِمَّنْ تحقق بها، وداوم عليها.

إنه على ذلك قدير.

فصل في الصمت

الصمت على قسمين:

صمتٌ باللسان عن الحديث بغير الله تعالى مع غير الله تعالى جملة واحدة.

وصمتٌ بالقلب عن خاطر يخطر له في النفس في كون من الأكوان البتة.

فمن صمت لسانه، ولم يصمت قلبه خف وزرُهُ.

ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سيره، وتجلّى له ربه.

ومن صمت قلبه ولم يصمت لسانه، فهو ناطق بلسانه الحكمة.

ومن لم يصمت بلسانه ولا بقلبه كان مملكة للشيطان، ومسخرة له.

فصمتُ اللسان من منازل العامة وأرباب السلوك، وصمتُ القلب من صفات المقربين

أهل المشاهدات، وحال صمتُ السالكين السلامة من الآفات. وحال صمت المقربين مخاطبات التأنيس.

فمن التزم الصمت في جميع الأحوال كلها لم يبق له حديث إلا مع ربه. فإن الصمت

على الإنسان محال في نفسه، فإذا انتقل من الحديث مع الأغيار إلى الحديث مع ربه كان نجياً مقرباً، مؤيداً في تطيقه. إذا نطق بنطق بالصواب؛ لأنه ينطق عن الله تعالى، قال تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١). فالنطق بالصواب نتيجة الصمت عن الخطأ، والكلام مع غير الله خطأ بكل حال. وبغير الله شرٌّ من كل وجه.

(١) القرآن الكريم، سورة النجم، الآية رقم (٣).

قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

ولكمال شروطها قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٢).

ولحال الصمت مقام الوحي على ضروبه.

والصمتُ يورث معرفة الله تعالى.

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم (١١٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة البينة، الآية رقم (٥).

فصل في العزلة

العزلة سببٌ لصمت اللسان، فمن اعتزل عن الناس لم يجد من يحادثه فأداه ذلك إلى الصمت باللسان.

والعزلة على قسمين:

عزلة المريدين: وهي بالأجسام عن مخالطة الأغيار.

وعزلة المحققين: وهي بالقلوب عن الأكوان. فليست قلوبهم مجالاً لشيء سوى العلم بالله تعالى، الذي هو شاهد الحق فيها الحاصل من المشاهدة.

وللمعتزلين ثيأت ثلاث:

نية اتقاء شر الناس.

ونية اتقاء شر المتعدي إلى الغير، وهو أرفع من الأول. فإن في الأول سوء ظن بالناس، وفي الثاني سوء ظن بنفسه. وسوء الظن بنفسك أولى، لأنك بنفسك أعرف.

ونية إثارة صحبة من جانب الملاء الأعلى.

فأعلى الناس من اعتزل عن نفسه إثارة لصحبة ربه. فمن أثر العزلة على المخالطة فقد أثر ربه على غيره، ومن أثر ربه لم يعرف أحد ما يعطيه الله تعالى من المواهب والأسرار.

فإنه لا تقع العزلة أبداً في القلب إلا من وحشة تطرأ على القلب من المعتزل عنه وأنس بالمعتزل إليه، وهو الذي يسوقه إلى العزلة فكانت العزلة تغني عن شروط الصمت. فإن الصمت لازم لها. فهذا صمت اللسان. وأما صمت القلب: فلا تعطيه العزلة. فقد يتحدث الواحد في نفسه بغير الله تعالى مع غير الله تعالى. فلهذا جعلنا الصمت ركناً من الأركان في الطريق، قائماً بنفسه.

فمن لازَمَ العزلة وقف على أسرار الوجدانية الإلهية. هذا ينتج له من المعارف، ومن الأسرار أسرار الأحدية، التي هي الصفة، وحال العزلة التنزيه عن الأوصاف البشرية سالكاً كان أو معتزلاً، أو محققاً.

وأرفع أحوال العزلة الخلوة. فإن الخلوة عزلة في العزلة، فنتيجتها أقوى من نتيجة العزلة العامة. فينبغي للمعتزل أن يكون صاحب يقين مع الله تعالى، حتى لا يكون له خاطر متعلق خارجاً عن بيت عزله. فإن حُرِمَ اليقين فليستعد لعزله قوته زمان عزله، حتى يتقوى يقينه بما يتجلى له في عزله.

لا بدّ من ذلك. هذا شرط محكم من شروط العزلة. والعزلة تورث معرفة الدنيا.

فصل في الجوع

الجوع هو الركن الثالث من أركان هذا الطريق الإلهي. وهو يتضمن الركن الرابع، الذي هو السهر. كالعزلة تتضمن الصمت.

والجوع جوعان:

جوع اختيار: وهو جوع السالكين.

وجوع اضطرار: وهو جوع المحققين.

فإن المحقق لا يجوع نفسه، ولكن قد يقلل أكله إن كان في مقام الإنس. فإن كان في مقام الهية كثر أكله.

فكثرة الأكل للمحققين دليل على صحة سطوات أنوار الحقيقة على قلوبهم بحال العظمة من مشهودهم

وقلة الأكل دليل على صحّة المحادثة بحال المؤانسة من مشهودهم. وكثرة الأكل للسالكين دليل على بُعدهم من الله، وطردهم عن بابه، واستيلاء النفس الشهوانية البهيمية بسلطانها عليهم. وقلة الأكل لهم دليل على نفحات الجود الإلهي على قلوبهم فيشغلهم ذلك عن تدبير جسومهم.

والجوع بكل حال ووجه سبب داعٍ للسالك والمحقق إلى نيل عظيم الأحوال للسالكين، والأسرار للمحققين ما لم يفرط تضجر في الجائع، فإنه إذا أفرط أدى إلى الهوس وذهاب العقل، وفساد المزاج. فلا سبيل للسالك أن يجوع الجوع المطلوب لنيل الأحوال إلا عن أمر شيخ، وأما وحده فلا سبيل.

لكن يتعين على السالك إذا كان وحده التقليل من الطعام، واستدامة الصيام، ولزوم أكلة

واحدة بين الليل والنهار، وإن يغيب الإدام الدسم فلا يأندم في الجمعة سوى مرتين إن أراد أن ينتفع به حتى يجد شيخاً. فإذا وجده سلّم أمره إليه، وشيخه يدبر حله وأمره إذ الشيخ أعرف بمصالحه منه.

وللجوع حالٌ ومقامٌ.

فحالة: الخشوع، والمسكنة، والذلة، والافتقار، وعدم الفضول، وسكون الجوارح، وعدم الخواطر الرديئة. هذا حال الجوع للسالكين.

أما حاله في المحققين: فالزفة، والصفاء، والمؤانسة، وزهاب السكون، والتنزّه عن الأوصاف البشرية بالعزة الإلهية والسلطان الرباني.

ومقامه: المقام الصمداني، وهو مقام عالٍ له أسرار وتجليات، وأحوال ذكرناها في كتاب «مواقع النجوم»^(١) في عضو القلب. ولكن في بعض النسخ فإني استدركته فيه بمدينة «الجابية» سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وكان قد خرجت منه نسخ كثيرة في البلاد، لم يثبت فيها هذا المنزل. فهذه فائدة الجوع لصاحب الهمة. لا جوع العامة. فإن جوع العامة جوع صلاح المزاج، وتنعيم البدن بالصحة لا غير. والجوع يورث معرفة الشيطان عصمنا الله وإياكم منه.

(١) كتاب «مواقع النجوم» من أهم الكتب لابن عربي طبع عدة مرات وإن شاء الله سوف يتم تحقيقه ونشره قريباً ضمن سلسلة (رسائل ابن عربي) التي تتولّى نشرها دار الانتشار العربي. المحقق.

فصل في السَّهر

السَّهرُ: نتيجة الجوع. فإن المعدة إذا لم يكن فيها طعام ذهب النوم.

والسهر؛ سهران: سهرُ العين. وسهر القلب.

فسهر القلب: انتباهه من نومات الغفلات طلباً للمشاهدات.

وسهر العين: رغبة في بقاء الهمة في القلب لطلب المسامرة.

فإن العين إذا نامت بطل عمل القلب. فإن كان القلب غير نائم مع نوم العين فغايبته مشاهدة سهره لمتقدم لا غير. وأما أن يلحظ غير ذلك فلا.

ففائدة السهر: استمرار عمل القلب، وارتقاء المنازل العلية المخزونة عند الله تعالى.

وحالُ السهر: تعمير الوقت خاصة للسالك والمحقق. غير أن المحقق في زيادة التخلق الرباني لا يعرفه السالك.

وأما مقامه: فمقام القيومية. وربما بعض أصحابنا منع أن يتحقق أحد بالقيومية، وبعضهم منع من التخلق بها. لقيتُ إذاً «أبا عبد الله بن جنيد» فوجدته يمنع من ذلك. وأما نحن فلا نقول بذلك. فقد أعطتنا الحقائق أن الإنسان الكامل، لا يبقى له في الحضرة الإلهية اسمٌ إلا وهو حاملٌ له. ومن توقف من أصحابنا في مثل هذه المسألة فلعدم معرفته بما هو الإنسان عليه في حقيقته ونشأته. فلو عرف نفسه ما عسر عليه مثل هذا.

والسَّهرُ يورثُ معرفة النفس.

تَمَثُّ أَرْكَانِ الْمَعْرِفَةِ

إِذِ الْمَعْرِفَةُ تَدُورُ عَلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مَعَارِفَ:

معرفة الله، والنفس، والدنيا، والشيطان. فإذا اعتزل الإنسان عن الخلق، وعن نفسه، وصمت عن ذكره بذكر ربه إياه، وأعرض عن الغذاء الجسماني، وسهر عند موافقة نوم النائمين، واجتمعت فيه هذه الخصال الأربع بدلت بشريته ملكاً، وعبوديته سيادة، وعقله حساً، وغيبه شهادة وباطنه ظاهراً، وإذا ترحل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة روحانية، يجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن، الذي رَحَلَ عنه هذا الولي.

فإن ظهر شوق من أناسي ذلك الموطن شديد لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله فكلما وكلَّمته وهو يتخيَّل أنه مطلوبه، وهو غائب عنه، حتى يقضي حاجته منه.

وقد تتجسّد هذه الروحانية، إن كان من صاحبها شوق، أو تعلّق همّة بذلك الموطن. وقد يكون هذا من غير البدل.

والفرق بينهما أن البدل يرحل، ويعلم أنه ترك بدله. وغير البدل لا يعرف ذلك؛ وإن تركه، لأنه لم يحكم هذه الأربعة الأركان التي ذكرناها.

وفي ذلك قلت:

يَا مَنْ أَرَادَ مَآزِلَ الْأَنْبِدَالِ
مِنْ غَيْرِ قَضْدٍ مِنْهُ لِلْأَعْمَالِ
لَا تَطْمَعَنَّ بِهَا فَلَنْتَ بِأَفْلِيهَا
إِنْ لَمْ تُزَاجِمْهُمْ عَلَى الْأَخْوَالِ
وَاضْمُثْ بِقَلْبِكَ وَاعْتَزِلْ عَنْ كُلِّ مَنْ
يُذْنِبُكَ مِنْ غَيْرِ الْخَبِيرِ الْوَالِي
فَإِذَا سَهَرْتَ وَجُفْتَ نُلْتَ مَقَامَهُمْ
وَصَحِبَتْهُمْ فِي الْحَالِ وَالْتَّزْخَالِ

بَيْتُ الْوَلَايَةِ قُسِّمَتْ أَرْكَانُهُ
سَادَاتُنَا فِيهِ مِنَ الْأَبْدَالِ
مَا بَيْنَ صَمْتٍ وَاعْتِزَالٍ دَائِمٍ
وَالْجُوعِ وَالشُّهُرِ النَّزِيهِ الْعَالِي

نهاية الكتاب

والله يوفقنا وإياكم لاستعمال هذه الأركان وينزلنا وإياكم منازل الإحسان. إنه هو الولي
المثان.

والحمد لله وحده.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتاب الوصايا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الذي أوصيك به أيها الأخ الإلهي أَيْدَكَ اللَّهُ بروح منه، حتى تخبر به عنه: أن تعرف الحق، سبحانه وتعالى، من حيث ما أخبرك به عن نفسه أنه عليه. مع اعتمادك على ما اقتضاه البرهان الوجودي، مما ينبغي أن يكون الحق عليه سبحانه من التنزيه والتقدیس.

فتجمع بين العلم الذي أعطاك الإيمان، وبين العلم الذي اقتضاه الدليل العقلي. ولا تطلب الجمع بين الطريقتين.

بل خُذْ كل طريقة على انفرادها، واجعل الإيمان لقلبك، بما أعطاك من معرفة الله، بمنزلة البصر لحسّك، بما أعطاك من معرفة ما تقتضيه حقيقته. واحذر أن تصرف نظرك الفكري فيما أعطاكه الإيمان، فتُحرم عين اليقين، فإن الله أوسع من أن يقيد عقله عن إيمان، أو إيمان عن عقل.

وإن كان نور الإيمان يشهد العقل من حيث ما أعطاه فكره بصحة ما أعطاه من السلوب. ولا يشهد نور العقل من حيث فكره لصحة ما أعطاه نور الإيمان والكشف. لكن نور العقل به يكون القبول الخارج عن الفكر يشهد بصحة ما أعطاه الكشف والإيمان.

لِلشَّرْعِ نَوْرٌ وَلِلْأَلْبَابِ مِيزَانٌ

والشرع للعقل تأييد وسلطان
والكشف نور ولكن ليس تدركه

إِلَّا عَقْلٌ لَهَا فِي الْوِزْنِ رَجَحَانٌ

واعلم يا أخي أن العقول بأسرها الملكية والبشرية؛ بل العقل الأول الذي هو أول موجود في عالم التدوين والتسطير قد علمت قصورها وجهلها بحقيقة ذات بارئها. وأنها ما تعرف من هذه الذات المنزهة إلا قدر ما يطلب العالم منها من المناسبة. وتلك صفات الإله. فما عرفت

سوى المرتبة. فاشتركت العقول البليغة والقاصرة في هذا الجهل والقصور وما عدا هذه المعرفة فهو العلم بما سوى الله.

والعلم بما سوى الله لا حاجة لنا به - أعني الحاجة المهمة التي بحصولها يكون كمال النفس. فإن الصفة النفسية التي لهذه الذات المنزهة من المحال أن تكون سوى واحدة. وهي عين الذات، وتعيينها من حيث الإثبات محال. فالعلم بها محال فإنها ذات لا تقبل التركيب. فتعالى عن الفصول المقومة لها.

فإذا كان الأمر على ما ذكرناه فلم يبق إلا التهيؤ لما يكون منه من حيث الوهب الإلهي، فإن القوى لا تعطى إلا ما فيها، وجميع ما فيها تابع لها في الخلق. فمحال أن تعلم موجودها علمه بنفسه.

فإذا هيأت المحل للتجلي الإلهي فهو أكمل ما يحصل من العلم، وهو علم عقول الملائكة والأنبياء والخواص من عباد الله من المجزدين والهيكل النورانية فلا تتعب خاطرك في التفكير في العلم بالله. قال الله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ تَفَكَّرُوا﴾^(١).

وقال ﷺ: (لا تفكروا في ذات الله)^(٢).

فالشغل بما لا يوصل إليه تضييع لما يستحقه الوقت.

واعلم يا أخي أنه ما انتقش من العلم الإلهي في العالم إلا قدر ما هو العالم عليه، إلى يوم القيامة.

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم (٢٨).

(٢) حديث: (لا تفكروا في ذات الله)، رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله). ورواه ابن أبي شيبة في كتاب العرس له من قوله عن ابن عباس بلفظ (تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في الله). ورواه الأصبهاني في الترغيب بهذا اللفظ. ورواه أبو نعيم عن ابن عباس أيضاً أنه رضي الله عنه خرج على أصحابه فقال: ما جمعكم؟ فقالوا: اجتمعنا نذكر ربنا، وتفكر في عظمته فقال: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره. ورواه أبو الشيخ في كتاب العظمة. ورواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس أيضاً وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله ممن خلق الله، فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل آمنتم بالله. ومن شاهده، ما رواه الحكيم الترمذي، وابن لال عن ابن مسعود: (رأس الحكمة مخافة الله).

انظر المجلوني: كشف الخفاء، ٣١١/١، حديث رقم (١٠٠٥).

عُلُوءًا: وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾^(١).

وشَفَلًا: وهو قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا...﴾^(٢).

فإذا صَفَّتْ النَّفْسُ وصقلت مرآتها فلا تقابل بها العالم ليحصل فيها، وينتقش فيها ما في العالم بأسره، فإنه لا فائدة فيه ولكن قابل بها الحضرة الذاتية من حيث ما تعلم نفسها مقابلة افتقار وتعريه ليهبها الحق من معرفته ما لا يمكن حصوله إلا بهذه الطريقة.

وهذا القدر من العلم ما هو مما ينتقش في العالم الخارج عنك فإن قيل لك: فقد انتقش في اللوح المحفوظ جميع ما يكون إلى يوم القيامة، وقد علمه القلم؛ الذي هو العقل الأول، وهذا الحاصل لك هو مما في العالم فكيف الأمر؟

قلنا: ما انتقش في اللوح المحفوظ^(٣)، ولا سطر القلم فيه إلا العلوم التي تنقال، ويأخذها النقل. وأما ما لا ينقال، مما يعطيه التجلي الذي أردناه هنا فما انتقش في العالم أصلاً.

وحصوله في الإنسان إنما هو من الوجه الخاص الإلهي، الذي لكل موجود، وهو خارج عن علم العقل الأول^(٤)، وغيره مما هو دونه فاعلم ذلك.

واعلم أن السبب الموصول إلى نيل ما ذكرناه تفرغ الخاطر والقلب من كل علم، ومن الفكر المطلوب لاقتناء العلوم، ومحو ما كتب، ونسيان ما علم. والجلوس مع الله على الصفاء،

(١) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية رقم (١٢).

(٢) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية رقم (١٠).

(٣) (اللوح المحفوظ) عبارة عن نور إلهي حَقِّي متجلٍّ في مشهد خلقي، انطبعت الموجودات فيه انطباعاً أصلياً. ثم اعلم أن النور الإلهي المنطبع فيه الموجودات، هو المعبر عنه بالنفس الكلّي، ثم الإدراك لما كتبه القلم الأعلى في ذلك النور، المعبر عنه باللوح المحفوظ لا يكون إلا بوجه من الوجوه ذلك النور. وذلك الوجه هو المعبر عنه عندنا بالعقل الكلّي. كما أن الانطباع في النور، هو المعبر عنه بالصفاء، وهو التفصيل الأصلي الذي يقتضي الوصف الإلهي. وقد عبرنا عن مجلّاه بالكُرسِي. ثم التقدير في اللوح هو الحكم بإبراز الخلق على الصورة المعينة بالحالة المخصوصة في الوقت المفروض. وهذا هو المعبر عن مجلّاه بالقلم الأعلى. ثم اعلم أن اللوح المحفوظ نبذة من علم الله تعالى أجراه الله على قانون الحكمة الإلهية، حسب ما اقتضته حقائق الموجودات الخلقية. ولله علم وراء ذلك هو حسب ما تقتضيه الحقائق الحقية.

انظر عبد الكريم الجبلي: الإنسان الكامل، ٩/٢. القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات، ٢٥٩/٢.

(٤) (العقل الأول) وهو أول جوهر قَبْلَ الوجود من ربه. انظر أول كتاب تاج التراجم، من هذه الرسائل (الهامش).

وتجريد الباطن من التعلّق بغير ذات الحقّ جلّ جلاله، على ما هو عليه من الإطلاق لا تجالسه على شيء معين. فإن فعلت، وعيشت، وفتّحت عليك لم يحصل سوى ما عيّنت. وليكن هجيرك في جلوسك بباطنك الله الله، من غير تخيل، بل بتعلّق الحروف لا بتخيّلها، ولا تنتظر الفتح الإلهي بواسطة هذا الجلوس وهذا الحال، بل اذكره مثل هذا الذكر، لما يستحقّه جلاله من إشارك إياه من حيث هو، لا من حيث علمك به، أو عقيدتك، بل بجهل عام.

ثم إنه إن فتح لك باباً من أبواب العلم به، مما لم يتقدّمك فيه ذوق، وأتاك بلسان روح قدسي، فلا تردّه ولا تقف عنده، واشتغل بما كنت عليه.

فإن اختلفت الأذواق بلسان الأرواح المجردة، فلتكن حالك معها حالك مع الروح الأول^(١)، إلى أن يقدح لك في باطنك ما هو خارج عن أذواق الملاء الأعلى، ولم تشم في ذلك رائحة واسطة روح القدس.

فانظر أيضاً ذلك الذوق^(٢) الغريب، فإن دلّ على اسم إلهي من هذه الأسماء التي بأيدينا سواء كان اسم تنزيه أو غير تنزيه. فليكن حالك مع هذا الذوق حالك مع أذواق الأرواح ولا فرق. فإن وجدت ذوقاً يحثّرك ولا تقدر على دفعه، وتجد مع تلك الحيرة تفريقاً. فلتكن حالك مع تلك الحيرة حالك مع الأرواح والأسماء سواء.

فإن وجدت ذوقاً يحثّرك وتجد مع الحيرة سكوناً لا تقدر على دفعه فذلك المطلوب فعليه فليعتمد.

فإن وجدت قدرة على دفع ذلك السكون، فلا تعتمد على ذلك السكون. فإن تقيّد لك ذلك الذوق في نفسك مرتين بينهما تمييز حتى تعلم أن قد كان ذلك مرتين فما هو المطلوب فلا تعتمد عليه، فإذا تخلّصت من كل ما ذكرناه، فإن رددت إليك وإلى عالم الحس علمت من أين نطقت الرُّسُل، وتنزّلت الكتب والصحف، وعلمت ما بقي من الأبواب مفتوحاً، وما سُدّ

(١) (الروح الأول) هو: روح العقل، إذ ليس قبله روح. انظر ما قاله القاشاني في معجم المصطلحات، ١/ ٥٠٠. وما قاله الجيلي في الإنسان الكامل، ١٣/٢.

(٢) (الذوق): يطلق، ويراد به أول التجليات، والشرب أوسطها، والزي نهائنها. واعلم أنهم يعبرون عن حال العبد الواصل في سيره في منازل القرب إلى منزل البرق بأنه ذاق منه قطرة. واعلم أن الأذواق التي يشيرون إليها هي علوم لا تنال إلا لمن كان خالي القلب عن جميع العلائق والعوائق.

انظر تفاصيل كثيرة عن الذوق، من القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، بتحقيقنا ١/ ٤٧١.

منها، ولماذا شُدَّ ما شُدَّ منها؟! وعلمت ما تقول وما يقال لك،. ورزقت الفهم عن كل شيء، وأنكرت المعروف، وعرفت المنكور، وأنكرت المنكور وعرفت المعروف، وكنت أعلم الخلق بأنك أجهل الخلق. ولم يبق لك من الهجير إلا ﴿زَيْدِي عَلَمًا﴾^(١) فيه تحى، وفيه تموت. فقد دلّلتك على ما فيه سعادتك في الدارين وما يؤول إليه نفوس العارفين في النشاطين والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

تمت الوصية والحمد لله رب العالمين

(١) القرآن الكريم، سورة طه، الآية رقم (١١٤).

كتاب القَسَمُ الإِلَهِيّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام العالم الصدر الكامل المحقق المتبحر محيي الدين، شرف الإسلام، لسان الحقائق، علامة العالم، قدوة الأكابر، محل الأوامر، أعجوبة الدهر، فريدة العصر أبو عبد الله: محمد بن علي بن محمد (بن العربي الطائي الحاتمي) ثم الأندلسي، ختم الله له بالحسنى: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله عزَّ وجلَّ اسمه أقسم في كتابه العزيز على أمور في مواضع شتى بأنواع من المخلوقات، من الحروف، والرياح، والملائكة، والجبال، والشجر، والكواكب، والساعات، والليل، والنهار، واليوم، والشمس، والقمر، والسماء، والأرض، والنفس، والشفع، والوتر، والبلد، والقرآن، والقلم، والبقاء، والسفن، والبهاائم، والكتاب، والسقف، والبحر، والبيت، ومواقع النجوم، وما تدركه الأبصار وما لا تدركه الأبصار^(١).

وفي هذه الآية^(٢) أقسم بجميع الموجودات قديمها وحديثها وما أقسم بنفسه من كونه

(١) قد لا يخفى على فطنة القارئ اللبيب المواضع ونصوص الآيات في القرآن الكريم التي أقسم الله بها
 مثل: ﴿وَالْقُسُوفِ﴾ و﴿مِنْهَا﴾ و﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ و﴿وَالْقَمَرِ﴾ و﴿لَيْلٍ عَشْرٍ﴾ و﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَلَ﴾ و﴿بَتَّ﴾ و﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُنَّ﴾.

ولولا الإطالة لاستخرجت هذه الآيات وقدمت شروحاً على تفسير القسم الإلهي فيها. ولكن تكفي هنا الإشارة.

(المحقق)

(٢) يقصد المؤلف أن هذه الآية جامعة لقسم الحق سبحانه بكل شيء وهي الآية رقم (٣٨، ٣٩) من سورة الحاقة ونصهما:

﴿لَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا يُبْصِرُونَ﴾. وحين يقول الحق سبحانه لا أقسم: فهذا يعني أنه أقسم.

«الرَّبِّ» إِلَّا فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ: فِي سُورَةِ النِّسَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

وَفِي سُورَةِ الْحَجَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ عَنَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وَفِي سُورَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾^(٣).
وَفِي سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾^(٤).

يَعْنِي الْمَذْكُورُ، وَهُوَ الرِّزْقُ وَالْجَنَّةُ.

وَفِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ السَّعْيِ وَالْقَرِيبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾^(٥).

وَفِي أَحْوَالِ هَذَا الْمَقْسُومِ عَلَيْهِ بِالْأَسْمِ الرَّبَّانِيِّ سِرَائِرَ وَلَطَائِفَ وَحَقَائِقَ.

وَالْغَرَضُ أَنْ أَذْكَرَ مِنْهَا - فِي هَذِهِ الْعِجَالَةِ - قَدْرَ مَا يُعْطِيهِ وَارِدَ الْوَقْتُ، فَإِنْ مَوَارِدُهَا كَثِيرَةٌ، مُتَشَعِّبَةٌ، وَسَمِيتَ هَذِهِ الْعِجَالَةُ: (الْقِسْمُ الْإِلَهِيُّ بِالْأَسْمِ الرَّبَّانِيِّ).
وَجَعَلْتُهَا خَمْسَةَ أَبْوَابٍ، لِكُلِّ بَابٍ قِسْمٌ يَخْصُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، سُورَةُ النِّسَاءِ، الْآيَةُ رَقْم (٦٥).

(٢) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، سُورَةُ الْحَجَرِ، الْآيَتَانِ رَقْم (٩٢، ٩٣).

(٣) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، سُورَةُ مَرْيَمَ، الْآيَةُ رَقْم (٦٨).

(٤) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ، الْآيَةُ رَقْم (٢٣).

(٥) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، سُورَةُ الْمَعَارِجِ، الْآيَةُ رَقْم (٤٠).

فصل

اعلم وفقنا الله وإياك أن أسماء الله الحسنى ليست بألفاظ مجردة عن المعاني لتعريف المسمى خاصة، كزيد، وعمر، وجعفر، وخالد، الموضوعات لتمييز الأشخاص.

ولكنها جلت وعظمت: دلائل في معاني في الألوهية تقتضيها، تطلق من أجل تلك المعاني - في علم الألفاظ - لفظ ما يتوصل السامع المتعلم بذلك اللفظ والحروف - إن كان مرقوماً - إلى المعنى الذي ربط به، وليس عندنا من أسمائه إلا ما عرفنا به، على لسان رسوله خاصة، وفي كتبه. وعنده أسماء ما عرفنا بها.

ألا ترى أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) كيف قال في دعائه: «اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم غيبك»^(١).

وما حصل عندنا من معاني الأسماء إلا ما دلّ عليه العقل والشرع والكشف: لا غير.

ومع كثرة أسمائه التي عندنا فما أقسم منها إلا باسم «الرب» خاصة دون غيره من الأسماء، وما أقسم به مطلقاً، إلا قيده بالإضافة إلى محمد (عليه الصلاة والسلام)، والسماء والأرض، والمشارق، والمغارب.

(١) حديث: (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك....)، رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده. وابن حبان في صحيحه، وأبو يعلى في كتابه.. وابن السني كلهم عن ابن مسعود رضي الله عنه. أورده السيوطي في جامع الأحاديث، ٤٠/٢. وانظر أيضاً ٦٢٣/٥ الحديث رقم (١٩٠١٣) وفيه زيادة؛ ورواه الطبراني في معجمه الكبير، والحاكم في المستدرک، وابن أبي شيبة في مصنفه، عن ابن مسعود أيضاً رضي الله عنه.

فصل

اعلم أن أسماء الله الحسنى - وإن كثرت - ما عرف منها وما لم يعرف، على ثلاث مراتب:

منها: ما يدلّ على الذات، مثل الأول، الآخر، وما أشبه ذلك.

ومنها: ما يدلّ على الصفة، كالعليم، والخبير، والشكور، والقادر، وما أشبه ذلك.

ومنها: ما يدلّ على الفعل، كالخالق، والرزاق، وما أشبه ذلك.

وثم أسماء - بل أكثرها - لها مرتبتان، وثلاثة، بحكم الاشتراك كالرب، بمعنى الثابت للذات، وبمعنى المصلح للفعل، وبمعنى المالك للصفة.

وقد أفردنا لمعرفة مراتب الأسماء باباً من كتاب «الجدال والدوائر»^(١) وذكرنا كيفية التخلّق بها، والتوصّل إلى معانيها فليُنظر هناك. ومع كثرة الأسماء الحسنى، فما أقسم سبحانه من القرآن باسم منها سوى اسم الرب، من هذه الخمسة مواضع التي نبيّها عليها. وذلك لأسرار عظيمة يحتوي عليها مقام هذا الاسم، تنبّه على سر واحد منها أو سرّين من هذه العجالة. لأنها كتاب ساعة.

ولهذا الاسم «الرب» في عينه أمر الله، سبحانه وتعالى، أن يقسم به نبيّه ﷺ حين استنبأه قومه: أحقّ «هو»؟ فقال له سبحانه: قل يا محمد: «أيّ ربي إنه لحق»^(٢). وليس غرضنا في هذه العجالة قسم المخلوقين، وإنما الغرض قسم الله ولا كل أقسامه، إلا ما أقسم عليه بنفسه، وهو الذي ذكرناه، وغرضنا إن شاء الله، أن نفرد كتاباً لطيفاً فيما أقسم الله به من كتابه العزيز،

(١) كتاب (الجدال والدوائر) طبع هذا الكتاب مرة واحدة وهو: (إنشاء الجدال والدوائر).

(٢) انظر إلى الآية رقم (٥٣) من سورة يونس ونقشها: ﴿يَسْتَفْتِيكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّ إِنَّمَا لِحَقِّ وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزِينَ﴾.

مما ذكرناه، لا مما حذفه مثل قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ﴾^(١) ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ
الرُّسُلَا﴾^(٢). والله يهب العلم كما وهب العقل.

(١) القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية رقم (١٨).

(٢) القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية رقم (٢٧).

فصل

واعلم

أن هذا الاسم «الرب» له في اللسان^(١)، على ما وصل إلينا، خمسة أوجه:

يقال: بمعنى الثابت. يقال: رب المكان إذا ثبت وأقام.

ويقال: بمعنى المصلح. يقال: ربيت الثوب إذا أصلحت ما فيه من خرق وغيره.

ويقال: بمعنى المربي، من ربيت الصغير أربيته.

ويقال: بمعنى السيد.

قال امرؤ القيس^(٢):

فَمَا قَاتَلُوا عَنْ رَبِّهِمْ وَرَبِّهِمْ

وَلَا أَذْنُوا جَاراً فَيَظْمَنَ سَالِماً

أي: سيدهم، وأميرهم.

ويقال: بمعنى المالك، يقال رب الدار، ورب الدابة.

وقال (عليه الصلاة والسلام): (أن تلد الأمة ربتها)^(٣). أي: مالكتها، في أشراف الساعة،

(١) أي: اللسان العربي، ويعني به اللغة العربية.

(٢) (امرؤ القيس) بن حجر بن الحارث الكندي، شاعر، يمانيّ الأصل، وله ديوان شعر مشهور جداً في

التراث العربي توفي سنة ٨٠ قبل الهجرة، مختلف في اسمه ونسبه.

انظر ترجمته في: ابن عساکر: تاريخ دمشق. الزركلي: الأعلام، ٣٥١/١. أبو الفرج الأصبهاني: كتاب

الأغاني، ٧٧/٩. كحالة: معجم المؤلفين، ٣٢٠/٢.

حديث: (أن تلد الأمة ربتها)، رواه البخاري في التفسير سورة (٣١)، ورواه مسلم في الإيمان (١). ورواه

أبو داود في السنن (١٦). ورواه النسائي في الإيمان ٦٠٥. وابن ماجه في المقدمة ٩، والفتن ٣٥. وأحمد

بن حنبل في مسنده ٣١٩/١.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ٢٠٩/٢.

لما يكون من الهرج والمرج، فيفترق بين المرأة وابنها كثرة الفتن وهو صغير، فينشأ ويمتلك أمه بما وقع من الفتن، فتقع لهذا الابن ويشتريها. فيصير مالكةا وسيدها، بحكم الشراء. نعوذ بالله من الفتن.

وهذه المعاني كلها يوصف بها الله تعالى:

- فإنه الثابت في وجوده، وملكه، وسلطانه، وعزّه، وكبريائه، وعظمته.
- وهو: مصلح العالم العلوي والسفلي، والكون، والمخلوقات، والمبدعات.
- وهو سبحانه أيضاً: مربيهم، ومغذيهم على حسب ما تعطيه حقائق المغذي، والمربي. والجوهر يتغذى بعرضه، والجسم بأدوائه، وحفظها عليه، وحفظ قواها. والأرواح يربّيها بالعلوم واللطائف والأسرار. وهكذا جميع العالم من أوله إلى آخره.
- وهو سبحانه أيضاً: سيد العالم، وجميع الموجودات بأسرها فإنه غني عنها، وهي مفترقة إليه.

فله العزة ولنا الذل. وله الغنى، ولنا الفقر. وله أيضاً سبحانه الملك، ونحن المملوكون. فإنه خالقنا وموجدنا، ولهذا يفعل ما يشاء، مما يوافق أغراضنا ومما لا يوافقها، ولا يتصف في حكمه علينا بما لا يوافق غرضنا ولا تعطيه عادتنا بالجور، والحيث، والظلم، والاعتداء. فإن هذه الأوصاف إنما تتوجه على من يتصرف في غير ملكه. وأما من تصرف في ملكه، يفعل ما يشاء كيف يشاء، وسواء عقلنا سبب ذلك الفعل وعلمته أو لم نعقل. ولهذا قال جل ثناؤه: ﴿لَا يَسْتَلُ عَنَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾^(١). لأنه ما تصرف في غير ملكه ولا ملكه. والجور والحيث والظلم على ما يعطيه البرهان أمور شرعية ليست إلا للشرع، لا لنفسها.

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (٢٣).

فصل

ثم لتعلم أن الاسم الجامع لحقائق الأسماء^(١) والموجودات ورئيسها وسلطانها، والمهيمن عليها: إنما هو الاسم «الله». وهو دليل الذات والصفات والأسماء.
ويليه في المرتبة الاسم «الرب».

فلما كانت مرتبة الربوبية تلي مرتبة الألوهية أقسم بالاسم «الرب» الذي لهذه المرتبة، ولم يعد إلى غيره من الأسماء. وكان القَسَم بهذا الاسم للألوهية على نفسها أمراً لا يتصور غيره، إذا عامل سبحانه الحقائق بما تقتضي مراتبها وحقائقها. فإذا تجوَّز في هذا المقام الذي ينبغي للربوبية، فللمقسم أن يُقسم بما شاء، فإن «الله» أعني هذا الاسم - كالنقطة من الدائرة، وكالمحيط منها، وإن الأسماء تليه على وجوها، كالخطوط من النقطة إلى المحيط.

وكل اسم يقول: أنا ثاني مرتبة من الاسم «الله» لهذا المعنى، أنطقنا في عالم الكون إذا جاع الجائع يقول: يا رزّاق وقد يترك هذا الاسم، ويقول: يا الله.

فلهذا يقول الاسم «الرزّاق»: وأنا في المرتبة الثانية.

● وإن قال: «يا رب». فليس معناه يا رزّاق، وإنما معناه: يا مُربّي. أو يا مغذي، أو يا مصلح.

فتفطن لما ذكرناه في مراتب هذه الأسماء ولا أحب الاستقصاء في ذلك لكوني أريد الإيجاز فإنه أنفع وأقرب وأيسر للوقوف عليه.

فإن الإطالة تورث السامة والملل، ولا سيما والهمم ناقصة ذاهبة في طلب الفوائد، والأسرار غير منبعث لها، ولا متعطّش إليها.

(١) عن حقائق الأسماء الإلهية انظر هامش كتاب «تاج التراجيم»، من أوله في هذا المجلد من رسائل ابن عربي.

ثم إنه سبحانه ما أقسم بهذا الاسم مطلقاً، وإنما أقسم به مضافاً إلى مخلوق.

فإن القصد في القسم بالشيء تنويه المقسوم به، وتشريفه بشرف من يضاف إليه ذلك القسم، وإن كان هذا الاسم يعتم مراتب الأسماء التي هي:

الذات، الصفة، الفعل، فالاسم في هذا القسم الإلهي في هذه الخمسة المواضع إنما يرجع إلى مرتبة الصفة أو الفعل.

وأما إلى مرتبة الذات فلا إجلالاً للذات، ولكونها لا يُطاق حمل تجليها في حضرة القسم، لأنها حضرة الخصومات والحركات ويستدعي الأغيار والحضور معهم، فلا يتمكن أن يبدل هذا الاسم في القسم على الذات، هكذا تعطى الحقائق.

فأشفق سبحانه على القلوب الطالبة نفحات جود الربوبية الذي قال (عليه الصلاة والسلام) أمراً لنا: «تعرضوا لنفحات ربكم»^(١).

فلو أقسم به مطلقاً غير مقيد بإضافة إلى مخلوق، ونظر إليه العارفون لتلاشوا وما بقي لهم رسم، ولا يعقلوا الفائدة التي جاء لها القسم، وإنما أشهدهم الحق لمعرفة ما أروع في هذا القسم من الأسرار.

فكانه يقول في قوله سبحانه (فوربك). أي: فو مصلحك ومريبك وسيدك ومالكك. وكذلك - فورب السماء والأرض - ورب المشارق والمغرب -.

وأما الرب الثابت، فمختص بالذات، لا تصح فيه الإضافة البتة فافهم ما أشرنا به إليك في تعظيم هذا الاسم ومرتبه، والله يهب الفهم والعقل بمنه.

(١) حديث: (إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها)، قال العجلوني: ذكره في الإحياء وقال فيه الحافظ العراقي: رواه الترمذي الحكيم في النوادر، والطبراني في معجمه الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولا بن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واخلّف في إسناده. وعزاه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس. ورواه الطبراني في الكبير أيضاً.

انظر العجلوني: كشف الخفاء، ٢٣٢/١، حديث رقم (٧٠٨).

الباب الأول

في قسم الله جلّ ثناؤه بالربوبية على صورة تحصيل الإيمان.

أقسم سبحانه على نفسه باسمه «الرب» المضاف إلى نبيه محمد (عليه الصلاة والسلام) في سورة النساء من القرآن العزيز، على أقصى غاية مراتب الإيمان، فقال عز من قائل:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

لما لم يتوقف الكلام على هذه الأقسام على أسباب نزول هذه الآيات المقسوم عليه، لهذا لم نذكر سبب نزولها، ولا فيمن نزلت، وإنما نرتب الكلام على مرتبة الوصف المقسوم عليه خاصة، إذ الأسباب والقضايا والقصص موجودة في التفاسير والمصنفات.

وهذا الفن الذي نحن بصده: عزيز وجوده، ولا سيما في هذا الزمان، فأقول:

اعلم أن الإيمان لما كان من أعمال القلوب - لأن معناه التصديق - اشترط رفع الحرج من النفس عند وقوع الحكم عليها مما لا يوافق غرضها، ولا ينبغي للمأمور المحكوم عليه أن يطلب علة معنى الحكم عليه، وعلة الأمر، لأنه لم يمثل الأمر حتى يعرف علة الأمر، كالواقفية فهو مع الذي وقف من أجله لا مع الذي أمره وحكم عليه، وإذا وقف مع علة الأمر، فقد وقف مع نفسه.

فأين هو ذلك الموطن من مرتبة الإيمان وكمال الصديقية.

وأين منه تعظيمه لأمر الله وحكمه فيه، بسرعة الامتثال مع طيب النفس وشرح الصدر وقبول الحكم والالتذاذ والهيبة.

ألا تنظر إلى الصديقين كيف حكم (عليه الصلاة والسلام) لهما بالإيمان في المجلس

(١) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم (٦٥).

الذي وقع فيه حديث البقرة التي تكلمت في بني إسرائيل، فقال الحاضرون: البقرة تتكلم؟ فقال النبي ﷺ (أمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر^(١)) فقطع عليهما بالإيمان لتحقيقهما بمقامه^(٢)، وحلولهما في ذروة سنامه.

ومن شرط قوة الإيمان وتحصيله أن لا ننتظر حكم من آما به، بل نحكمه علينا ابتداء منا، تثبيتاً لإيماننا ونرضى بقضائه فينا، ولا نبالي بما حكم علينا بما يهون علينا حمله، أو ما لا يهون.

فإذا قضى بما قضى به علينا، مما تعظم مشقته ويصعب حمله: طابت به نفوسنا، وعظمت اللذة بذلك في قلوبنا، وزال عن النفس ما كان شجر بينها وبين خصمها وانقادت بحكم الله علينا سهلة ذلولة.

ومتى لم نجد ذلك في نفوسنا فليس عندنا راحة من حقيقة الإيمان في جميع حكمه كله علينا، كما اتفق لبعض المحققين، وكان قد تحقق باحترام الشرع والانقياد إليه في كل حال مثلذذاً بذلك مستبشراً به خفيفاً عليه ستين سنة.

فلما كان يوماً قالت له والدته اسقني شربة ماء، فبادر إلى ذلك ووجد في نفسه ثقلها لذلك الأمر، فقال: يا ويلاه، يا أسفاه، مضى العمر باطلاً، أنا أدعي أن حكم الله علي خفيف للذتي به، ويُرَى بأُتي من حكم الله. فلم ثقل عليّ هذا الأمر؟

هذا أول دليل على أن كل ما التذذت به من حكم الشريعة كان للنفس فيه غرض، ولو كنت مع الحاكم لا مع الحكم لم يثقل علي أن أسوق الماء إلى الوالدة.

ثم ينبغي للمؤمن إذا التذ بحكم الشرع عليه أن لا يغلب سلطان الشهوة عليه، حتى يتأخر عن إنفاذ الحكم، فتكون تلك اللذة عند أهل الحقائق لذة مشؤومة، لكونها أورثت التثبط زماناً، ولو كانت حركة واحدة، بل ينقاد بظاهره على الفور انقياداً كلياً على الانقياد ما وقع به الحكم من الشرع.

(١) ونص الحديث هو: (بينما رجل راكب على بقرة التفت إليه وقالت: إني لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث. فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلبه حتى استقذها منه فقال له الذئب: هنا استقذتها مني، فمن لها يوم السبع لا راعي لها غيري. فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر). رواه أحمد بن حنبل في مسنده، واتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم. ورواه النسائي، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ٥٣٣/٣، حديث رقم (١٠٠٥١).

(٢) أي حلولهما في أعلى مقامات الإيمان.

ولهذا قال: - تسليمًا - فأكد به المصدر، للتفرغ في الانقياد إليه، وعلى قدر ما يتوقف أو يجد في نفسه حرجاً أو أمراً ينافي وجه اللذة والحب والعشق في ذلك الحكم: ينتفي منك التصديق ضرورة.

ولو كنت ذا فطنة وحضور: ما جعلت علم الشريعة والأخبار الواردة من الشارع من باب التقليد، مع كون هذا الضعف من العلم من دائرة التقليد، لأنه من باب السمع.

ولكن العاقل يحصر في نفسه مع الدليل والبرهان الذي قام له على صدق هذا الحاكم عليه، ويجعله منسجماً على ما حكم عليه به فكان عنده مقبولاً، فذلك: الدليل العقلي.

والأدلة العقلية إذا حصلت مدلولاتها في النفس حتى التذت بحصول العلم، وانشرت وطابت لأنها مجبولة على اللذة بعثورها على العلم بالأشياء من كونها عالمة مثلها، والحكم الذي توجّه عليها من جملة الأشياء، فيلزمها الفرح به، إن كان مؤمناً، لانسحاب ذلك البرهان الذي دلّت به على صدق الحاكم عليه.

هذا إذا كان الأمر هو الرسول (عليه الصلاة والسلام) أو ما صبح عنه من النقل.

وله مندوحة في غير الرسول من العلماء لاختلافهم وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١).

فتأمل هذه الآية فإن لها وجهين كبيرين قريبين، خلاف ما لها من الوجوه، أي خفت عنكم في الحكم، وما أنزلت عليكم ما يحرّجكم.

وينظر إلى هذا قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا أَتَتْهَا﴾^(٣).

وقوله عليه الصلاة والسلام: (بعثت بالحنيفية السمحاء)^(٤).

(١) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية رقم (٧٨).

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (٢٨٦).

(٣) القرآن الكريم، سورة الطلاق، الآية رقم (٧).

(٤) حديث: (إنما بعثت بالحنيفية السمحاء)، رواه الخطيب عن جابر رضي الله عنه، وفيه زيادة (ومن خالف سني

فليس مني). انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ٥٠٨/٣، حديث رقم (٩٩٥٠). ورواه ابن سعد عن

حبيب بن أبي ثابت مرسلًا للدليمي عن عائشة ٥١٢/٣ حديث رقم (٩٩٧١).

وقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الدين يسر)^(١).

والوجه الآخر: رفع الحديث من النفس عند توجه الحكم بما لا يوافق الغرض وتمجده النفس، فكأنه خاطب المؤمنين ومن وجد الحرج ليس بمؤمن، وهذا صعب جداً، فإذا قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٢)، فلإنسان إذا توجه عليه حكم بفتيا عالم من العلماء وتصعب عليه ذلك: أن يبحث عند العلماء المجتهدين، هل له في تلك النازلة حكم من الشرع أهون من ذلك؟ فإن وجده عمل به، وارتفع الحرج، وإن وجد الاجماع في تلك النازلة على ذلك الحكم الذي صعب عليه، قبله - إن كان مؤمناً - طيب النفس، وعادت حزونه سهولة ودفعه قبولاً لما حكم عليه به الله، فيصح بذلك عنده إيمانه، وهي علامة له على ثبوت الإيمان عنده.

ولما كان هذا المقام الشامخ عسيراً على النفوس نبهه أقسم بنفسه جلّ وتعالى عليه، ولما لم يكن المحكوم عليهم يسمعون ذلك من الله، وإنما حكم عليهم بذلك رسول الله، الثابت صدقه، النائب عن الله، وخليفته في الأرض، لذلك أضاف الاسم إليه، عناية به وشفراً له ﷺ فقال: (فلا وربك) وجعله بحرف الخطاب إشارة إلى أنه حاضر معنا: يقول الله، ولم يجعلها إضافة عينية، فافهم.

(١) حديث: (إن الدين يسر...)، وفيه زيادة (ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستمعينا بالقدوة والروحة، وشيء من الدلجة)، رواه البخاري، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، الحديث رقم (٥٠٣٩) ٢/٢٤٢، من جامع الأحاديث للسيوطي.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية رقم (٨٧).

الباب الثاني

في قسم الله جلّ ثناؤه بالربوبية على إنفاذ سؤال التقرير على المشركين يوم القيامة، أقسم سبحانه على نفسه باسم «الرب»، المضاف إلى نبيه محمد (عليه الصلاة والسلام) في سورة الحجر في القرآن العزيز، فقال عزّ من قائل:

﴿قَرَّبَكَ لَسَلَّهَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ فَأَصَدَّعَ بِمَا تُؤْمَرُ وَاعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْهِيكَ السُّنْهِيُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ يَصِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٢١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٢﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَقَّ يَأْنِكَ الْيَقِينُ ﴿٢٣﴾﴾^(١).

أقسم سبحانه باسمه لنبئه، وأضافه إليه إضافة الحضور والمشاركة تفرجاً لغته، وطرداً لهم، وتلجاً لفؤاده وشرحاً لما ناله من الضيق والحرَج مما سمع في سيده ومرسله، وحبيبه من ردّ أمره وخطابه وتكذيبه.

وهذا هو المقام العالي الذي لا أعلى منه، ولا أسنى.

ويقع فيه التفاضل بين المرسل، وبين الأنبياء، وبين الأولياء.

وهذه حضرة الغيرة الإلهية، ويسمى هذا الحال «العمل الإلهي» وما سواه فهو العمل النفساني.

فليس في الأعمال عمل فوق هذا، ولا في الأعمال عمل يجاريه ولا يضاهيه.

روينا في الخبر المسند إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (يقول الله تعالى يوم القيامة: يا عبدي هل عملت لي عملاً قط، فيقول: يا رب صليت، وصمت، وتصدقت - ويذكر أعماله - فيقول: يا عبدي كل ذلك لك، هل عملت لي عملاً قط؟ فيقول: يا رب، وما هو هذا

(١) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآيات رقم (٩٢ - ٩٩).

العمل الذي هو لك؟ فيقول الله تعالى: يا عبدي هل واليت في ولياً، أو عادت في عدواً، هذا العمل هو لي).

وفي الأحاديث الصحيحة في الحب في الله والبغض في الله من التنويه بأهل هذا الوصف^(١) ما أغنى عن إيراد، لتداوله بين الناس.

ولأجل هذا المقام: فتن قوم موسى من بعده فناله، وكانت كرامة الله له في حضرته التي ناجاه فيها، إذ لكل قادم كرامة، وذلك لأنه من باب القيام بحق الغير، فيقع الفضل فيه على قدر مقام من يقام في حقه.

ولما خرج موسى (عليه الصلاة والسلام) في حق أهله نُوجي.

فلهذا ضاقت صدور الأنبياء على أمهم، وما كانت ترجع إلى نفس النبي ﷺ عفا عنه، كما ندب إليه ودعا فيه بالهداية والرحمة تخلقاً إليها.

ألا ترى رسول الله ﷺ لما جرح قال ﷺ: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون).

وليعلم أن الواحد الذي غلب عليه حال التوحيد، لا يتألم في هذا المقام ولا يغار، لأنه في حضرة الجمع، لا يشاهد تفرقاً البتة.

وهذا المقام لا يتصور فيه ألم ولا إنكار، ولو عاقب وأقام الحدود في الظاهر وأغلظ، فالباطن رحمة مجزدة وتسليم خالص لا يشوبه شيء.

ولكن ناقص المشاهدة عند صاحب المقام العالي، فإن الفائدة إنما هي في الجمع والوجود، وصاحب هذا الحال في الجمع، لا في الوجود المطلوب، بخلاف الكامل، فإن له الوجود والجلال والهيبة.

لأن موطن الحكم عند المتحقق الكامل لا ينبغي أن يلحظ فيه الإرادة العاصية وإنما ينبغي أن يلحظ فيه الإرادة الآمرة ومرتبة الأمر من كونه أمراً لا من كونه مريداً.

(١) الحديث: (يقول الله تعالى: قد حَقَّتْ محبتي للذين يتحابون من أجلي، وقد حَقَّتْ محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وقد حَقَّتْ محبتي للذين يتأذلون من أجلي، وقد حَقَّتْ محبتي للذين يتصادقون من أجلي، وقد حَقَّتْ محبتي للذين يتناصرون من أجلي. ما من مؤمن ولا مؤمنة يقدم الله له ثلاثة أولاد من صلبه لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان، ورواه الطبراني عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه.

انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ١٤٨/٨، حديث رقم (٢٨٧٥٩).

ويتعلّق بهذا الباب مسألة كبيرة عظيمة الفائدة، وهي كون الله لم يغفر للمشرّكين، ولا لأهل التّباعات، بل ضمن التّباعات وجعل مغفرتهم موقوفة على رضا المظلومين، فيصلح بينهم يوم القيامة.

ثم أمرنا أن نغضب من أجله، ولا نصبر إذا قدرنا وأمرنا بالعفو والصفح فيما كان من أجلنا.

وهذا من أخلاق الله، ونحن مطلوبون بالتخلّق بأخلاق الله، فكيف أخذ المشرّكون، وهو باب يرجع إليه، وفي نفسه فكيف انتصر لنفسه؟ والقواعد الإلهية مبنية على غير هذا. وقد جاء في الخبر أن الله تعالى يقول يوم القيامة لأهل الحشر: «يا عبادي ما كان بيني وبينكم فقد غفرتهم لكم، فانتظروا فيما بينكم، فإنه لا يجاوزني ظلم ظالم».

ويظهر في الشرك أنه فيما بينه وبينهم، فلماذا أخذ به ولم يغفره؟.

فاعلم وفقك الله أن الشرك بالله باب من التّباعات، وظلم الغير، ولهذا أخذ به، فإن التّباعات على ضروب: في الدماء، والأموال، والأعراض.

والشرك من باب تباعات الأعراض، وهو من باب الغربة وأن يقال في الشيء ما ليس فيه، وهو البهتان، وليس في الشرك من الأمور التي بين الله وبين العبد وهو أكبر الكبائر، فإذا كان يوم القيامة، وحشر الناس في صعيد واحد، وضجّ المظلومون لإنصافهم من الظالمين عند معاينة ما لا طاقة لهم بحمله من الأموال، ضجّت الانصاف الذين اتخذوا آلهة دون الله، من حجر، وشجر، وحيوان، وإنسان، وكوكب، وقالوا: يا ربنا خذ لنا حقنا ممن افترى علينا ونسب إلينا ما ليس فينا، وقال إنا آلهة، فعبدونا ونحن لا نضر ولا ننعف، وليس لنا من الأمر شيئاً، فخذ لنا حقنا.

وهنا يقع تفصيل.

فأما كل من عبد من دون الله من حجر وشجر، وإنسان مشرك أشرك نفسه مع الله، وحيوان، وروحاني مشرك أيضاً، فإنهم يدخلون مع الذين عبدوهم في نار جهنم، ليكون أنكى لهم إذا عاينوهم.

ومن كان ارتضى منهم ما ينسب إليه كفرعون وغيره، فهو مشارك لهم في عذابهم. ومثل الأحجار والأشجار، فلم تدخل للعذاب، ولكن دخلت لنكايتهم أن تكون معهم

آلهتهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُّونَ﴾^(١).

ويقول المشركون هناك: ﴿كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَا رَدُّوهُمَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٣).

وهم الأصنام المعبودون من دون الله، ونفي الأصنام الذين سبقت لهم منا الحسنى^(٤)، وكانوا عن النار مبعدين.

فاعلم أن الذين عبدوهم، لما فقدوهم اتخذوا أمثلة على صورتهم عبدوها، كالصليب للنصارى والصور التي يصورونها المشركين.

ف تلك الأمثال تدخل معهم النار التي صنعوها على صورة هذا المعصوم السعيد، كائناً من كان، وهذا ينكيهم جداً.

ووجه آخر من نكايه الله لهم: أن لأهل الجنة اطلاع على أهل النار: يعاين هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء فيزيد نعيم هؤلاء، ويزيد عذاب هؤلاء، يقول الله تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ۖ قَالَ تَأَلَّهْ إِنْ كِدَتْ لَتُرِينَ ۖ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾^(٥).

وقد بانت مسألة أخذ الشرك واتضحت.

وأما الخلود فراجع إلى النيات، كما الدرجات راجعة إلى الأعمال والاختصاصات، كما الدخول راجع إلى الرحمة والعذاب في النار والجنة.

وكذلك الدكات في مقارنة الدرجات بالأعمال، فافهم.

وأن في هذا الفصل تفصيلاً طويلاً، تضيق هذه العجالة عنه فلنرجع إلى مسألتنا ونقول:

فلما كان عند النبي ﷺ سؤال الحق عباده عن أعمالهم بالتقرير، والإنكار، والتوبيخ،

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (٣).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (٤).

(٣) القرآن الكريم، سورة التحريم، الآية رقم (٦).

(٤) انظر نص الآية من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۖ لَا يَسْمَعُونَ حَيِّثُهَا هُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾. وهي الآيتان رقم (١٠٢، ١٠١) من سورة الأنبياء.

(٥) القرآن الكريم، سورة الصافات، الآيات أرقام من (٥٥ - ٥٧).

والتقريع، من المشتقات الكبيرة والآلام العظام، أقسم له سبحانه بنفسه ليشتفي من أعدائه في ذلك الموطن، فقدّم له أخبار هذا وأقسم عليه تأكيداً لينقص عنه من ذلك الضيق الذي يجده بعض شيء.

ولما علم أن نبيه ﷺ في المقام الذي أوصله إليه سبحانه بعنايته التي يقتضي له أن يعامل الوقت كما ينبغي، بما ينبغي، لما ينبغي، بخلاف صاحب الحال، فإنه يعامل وقته بما لا ينبغي، كما لا ينبغي، لما لا ينبغي، لأنه أمر إلهي: خير، وإنما هو كذلك بالنظر إلى المقام المطلوب بالهمم، أمره بالتسييح الرباني ليشغله به عن ضيقه وألمه وحرجه.

وزواله بالكلية محال من أجل الموطن، ولهذا قال له في هذا الموطن في آية أخرى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(١).

فجعل من باب الإشارات واللطائف قولهم «حكم الله عليه»، كما جعل قوله: حكم الله علينا.

وفي هذه الآية تأنيس وبشارة لنا بأن أمر نبيه بالصبر في هذه الآية على الحكم الرباني عليه في ذلك فأخبر بوجود الضيق والمشقة لذلك الحكم، فكذلك إذا جاء الحكم منه علينا بما لا يوافق غرض النفس فيأخذ المؤمن عن مشقة وجهد وعناء، فإنه لا يسقط عن مرتبة الإيمان كما لم يسقط وكأن هذه الآية تنفس عن الشدة التي في الآية في الباب الأول، قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوكَ﴾^(٢).

وإن كان الحكم النبوي من مقام النصّ الاعتصامي^(٣)، وهذا الحكم الذي على النبي (عليه الصلاة والسلام) من المقام الإلهي على الكشف، ومن مقام التضمين، فهو ممتاز بضروب توحيد عينه بكونه.

ولكن لا يضر هذا القدر في هذه المسألة، فإنه يؤيدنا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾^(٤). وقوله: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾^(٥).

(١) القرآن الكريم، سورة الطور، الآية رقم (٤٨).

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم (٦٥).

(٣) أي قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَتَّبِعُكَ مِنَ الْغَائِبِ﴾ وهي الآية رقم (٦٧) من سورة المائدة.

(٤) القرآن الكريم، سورة النكبات، الآية رقم (٦٩).

(٥) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم (٢٠٠).

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾^(١).

فقد وصف المقام بالمجاهدة والصبر، وتلك المشقة عينها، ثم أمره سبحانه بالاشتغال بالرب من مقام التذلل.

فالرب هنا بمعنى السيد وفي التسبيح بمعنى الثابت، فأراد سبحانه - بما أمره به من التسبيح الرباني والعبادة الربانية - أن يفنيه عنهم إلى يوم يلقاه.

ولما كان القسم بالرب جعل الحكم بالتسبيح، لهذا جعل الاسم والعبادة له، حتى لا يكون لاسم آخر سلطان عليه في هذه النازلة على هذا المقام، فقال له تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾^(٣).

وكان الغرض أن أجعل في آخر كل باب من اللطائف الروحانية والإشارات الإلهية فصلاً كالروح، يكون لجسم ذلك الباب، لأن الأبواب من المعاملات، والمعارف للمعاملات كالأرواح للأجسام، فأخذت ذلك إلى منتهى الأبواب، فأجعلها هناك بعد آخر كل باب فصلاً خمسة قصاراً فيما ذكرناه من حقيقة كل آية قسم رباني، والله المؤيد.

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآيات رقم (١٥٥) و(١٥٦).

(٢) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية رقم (٩٨).

(٣) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية رقم (٩٩).

الباب الثالث

في قسم الله جلّ ثناؤه على الحشر الروحاني والجسماني.

أقسم سبحانه على نفسه باسمه الرب، المضاف إلى نبيه محمد (عليه الصلاة والسلام) في سورة مريم (عليها السلام) من القرآن العزيز، فقال عزّ من قائل:

﴿قَوْلِكَ لِنَحْشُرَهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لِنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ۖ ثُمَّ لَتَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ مَا يَمَسُّكُمْ﴾^(١).

اعلم وقفك الله أن الإنسان لما قال منكراً - أنذا ما مت لسوف أخرج حياً - أحاله الله تعالى على نشأته الأولى، فقال: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾^(٢).

وهذا فيه وجهان:

الوجه الواحد: أن هذا الذي يقال له الإنسان: لم يك قبل ذلك إنساناً، فشيئاً هنا معناه: إنساناً، كما تقول في جسد الإنسان إذا مات إنه إنسان بحكم المجاز، أي: قد كان إنساناً فإنه لا يتغذى، ولا يحس، ولا ينطق، ومتى بطلت الأوصاف الذاتية: بطل الموصوف.

فقد كان الإنسان قبل أن ينطلق عليه اسم إنسان: تراباً، وماء، وهواء، وناراً، وروحاً قدسياً «الهيأ». وقد كان دماً، ثم انتقل «نطفة» وهي نشأة الأئین.

وقد كان ذلك الدم برأ، ولحمأ، وشحمأ، وفاكهة، وغير ذلك من المطعومات.

وقد كان الإنسان أشياء، لكن لم يكن إنساناً.

والوجه الآخر: أن يكون قد أحاله على حقيقته الأولى التي هو فيها إنسان بالقوة، وهو أول البدء، وهو شيء، لا من شيء، ولا كان شيئاً.

(١) القرآن الكريم، سورة مريم، الآيات رقم (٦٨ - ٧٠).

(٢) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية رقم (٦٧).

وأحاله في هذه الآية على النظر الفكري الذي يستدلّ به على معرفة الفاعل.

ثم إن النبي (عليه الصلاة والسلام) لما سمع من الإنسان هذا الإنكار وتكذيبه فيما قال الله من حشره الأجساد بعد موتها - ولهذا ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى يقول الله تعالى: «شتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم، ولم يكن ينبغي له ذلك، أما شتمته إياي فقلوله إن لي صاحبة، وولداً، وأنا الواحد الأحد لم أتخذ صاحبة ولا ولداً وأما تكذيبه إياي فبقوله إني لا أعيدّه كما بدّأته، وليس أول الخلق علي بأهون من إعادته»^(١).

فلما كان في إنكار الحشر والإعادة تكذيب لله جلّ علاه - شقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فإن الصفوة الخالصة من عباد الله تعالى لما أطلعهم الله - كشفاً وتحقيقاً بسرّائهم وحقائقهم - على جلال الحضرة الإلهية وقدها وكبريائها وعظمتها ملأت العظمة والجلال قلوبهم وأسرارهم.

ثم نظروا في عالم الكون والفساد، فرأوا ما هم عليه من عدم احترام خالقهم، وكلامهم فيه بما لا ينبغي، ونسبتهم إليه بما لا يليق به، وشقّ عليهم سماع ذلك وودوا لو يملكوهم لينتقموا منهم على ما كان منهم.

ولما لم تكن الدنيا دار انتقام مطلق، وتقلق الخالصون من عباده لإيقاع النعمة بهم، أقسم الباري باسمه جلّ ثناؤه، والمضاف إلى نبيّه، بحشر الجميع الصالح والطالح، في مقابلة الإنكار الروحاني والتراخي وجعل الطريق - الذي هو الصراط - على النار حتى لا يبقى أحد إلاّ ويرد عليها، فمنهم السوي، ومنهم المكبوب ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٢) فقال تعالى: ﴿فَوَرَيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾^(٣).

- من أنكر الحشر - والشياطين - فهم الذين يوحون إليهم ليجادلوا أهل الحق، وقد كشف ذلك لرسول الله ﷺ وأهل الكشف، ولهذا ذكروا له في المقسوم عليهم حتى يسكن ما يجده من الألم بالوعد الذي وعده الله للانتقام المطلق.

فافهم ما قررناه، والله الهادي الموفق للإصابة.

(١) حديث: (شتمني ابن آدم، ولم يكن ينبغي له ذلك...)، وتوجد رواية: كذبني ابن آدم انظر البداية والنهاية ج ٢، ص ٧٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم (٩١).

(٣) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية رقم (٦٨).

الباب الرابع

في قسم الله جلّ ثناؤه بالربوبية على ضمان الرزق والجنة، والضمير يعود على المذكور. أقسم سبحانه بنفسه، من اسم الرب المضاف إلى السماء والأرض على نفسه، أن الرزق قضاء وعد به أوليائه في السماء، ومثله بالنطق منا الذي لا يرتاب فيه، لتمييز المؤمن الكامل من غيره فقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَوْرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾^(١).

اعلم أن الإنسان موجود في برزخ كالخط بين الظل والشمس، والبرزخ الذي بين البحرين، فهم في العالم بين العلو وهم الروحانيات، والعقول جميع العلويات، وبين العالم السفلي، وهي الحيوانات والنباتات والمعادن والأرض.

فأخبر الله أنه رب العالم العلوي والسفلي، وهذا البرزخ الذي هو الإنسان مركب من العلوي والسفلي، ليس شيئاً زائداً، فهو أيضاً ربه سبحانه، ومعنى ربه: سيده ومالكه ومربيّه ومصلحه ومثبته، فأثبت افتقار العالم إليه في هذا القسم بهذا الاسم. فالكل صنعه، وخلقه، وفعله.

ولما كان العالم العلوي لا مناسبة بينه وبين العالم السفلي إلا بالاستعداد والاستفادة، وكان العالم العلوي يستحق اسم الرب لإفادته، والسفلي اسم الاستفادة، وكان العالم العلوي متعدداً متباين الحقائق، وكان العالم السفلي كذلك، ولهذا قالت الملائكة: ﴿وَمَا يَنبَغُ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٢) والسر الذي أودعه في فلك ما غير الذي أودعه في غيره من الأفلاك.

وكذلك العالم السفلي مثله، فما من حقيقة في العالم العلوي إلا وقد جعل الله في مقابقتها حقيقة في العالم السفلي، وهذا الموجود [الإنسان] جامع لهذه المعاني كلها، فلهذا

(١) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآيات رقم (٢٢، ٢٣).

(٢) القرآن الكريم، سورة الصافات، الآية رقم (١٦٤).

صحت له الخلافة وحده دون غيره من العوالم، فهو روح العالم.

ألا ترى الدنيا باقية ما دام هذا الشخص الإنساني فيها، والكائنات تتكوّن، والمسحرات تتسخّر، فإذا انتقل إلى الدار الأخرى: مارت هذه السماء، وسارت الجبال، ودكّت الأرض وانتثرت النجوم، وكوّرت الشمس، وذهبت الدنيا، وقامت العمارة في الدار الآخرة، بنقل الخليفة إليها.

ومن هنا تعرف مرتبة الإنسان على غيره من العوالم، وأنه المعنى الكلي المقصود، فلا بدّ أن يقسم له به، ولغيره لأنه ليس مطلوباً.

ولما أقسم الله بهذا القسم ضجّت الملائكة في السماء - حيث أقسم لهم الله بنفسه - لكونهم لم يتقوا بالضمان دون اليمين، وغطّى ذلك على الملائكة، وما عذرنا، وعذرناهم، فلو عرفوا جمعيتنا، وأنهم وغيرهم فينا، لما ضجوا وعذرونا.

ولما كان الله عليمًا بنا لهذا أقسم لنا، فإن جمعيتنا تعطي ذلك وعذرناها في ضجتها وإنكارها كما عذرناها حين تكلمت في آيينا آدم، لأنه من تكلم في حقيقته ومن مرتبته: أعذر من نفسه وما تعدى ما خلق عليه، فلا بدّ من إيقاع هذا القسم لنا، لما تقتضيه مرتبتنا من التهمة، وعدم الثقة، التي هي أوصاف أسافل نشتنا وبضدها أوصاف عالية، فمن يعرفنا يعرف لمن أقسم منا، فيستريح ولا ينكر، فإنه ما خرج عن حقيقته، ولا ادّعى في غير مرتبته، فإن الأحوال غالبية على كل صنف من العوالم، فأقسم لمن غلب عليه حال ظلمته وأسفله.

والدليل على ما قلناه: إنه مع هذا القسم لم تصح له الطمأنينة، بل بقي من أجل ذلك صاحب عقد، لا صاحب حال، فإن حاله يشهد عليه بذلك، ولهذا يضطرب عند فقد الأسباب، فصرف حقيقته بهذا الحال ولم يؤثر القسم في حاله.

وكذلك هو في الجنة سواء، لأنه لو اضطر إليها ما اضطر إلى الرزق غدوة وعشية: لظهر منه الاضطراب وعدم الإيمان، كما ظهر في الرزق، ولكنه لما لم يضطر إليه: تخيل أنه كامل الإيمان بها، واضطرابه في الرزق يشهد عليه بالتهمة مطلقاً.

ولهذا وقع القسم، ووقع بالسماء والأرض، الذي هو وجود العالم بأسره، من طريق ذاته، لا من طريق حاله، ووصفه.

وسياتي قسمه بحاله ووصفه في الباب الخامس، حتى يكمل شرف العالم كله من كونه مضافاً إليه عمومًا، وشرف محمد (عليه الصلاة والسلام) خصوصاً، فقد جمع له بين الخصوص

والعموم، بخلاف غيره من جنسه، فإنه في دائرة العموم، ليس له من هذا الاختصاص شرب - أعني القسم باسم المضاف إليه - فإن القسم بغير الاسم في القرآن كثير، والإضافة إلى الاسم من غير قسم كثير، وهذا له مرتبة، وهذا الآخر له مرتبة، وللجمع بين القسم بالاسم مضافاً إليه مرتبة أخرى ثالثة، ليست تانك، فاعلم، والله الموفق.

الباب الخامس

في قسم الله جلّ ثناؤه بالربوبية على قدرته ونفوذه في تبديل الخلق بخلق آخر خير منهم، أقسم سبحانه على نفسه بالاسم الرب «الرب» المضاف إلى المشارق والمغرب، فقال عزّ من قائل في سورة المعارج من القرآن العزيز: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ (١) عَلَّمَ أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا نِعْمَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَوِينَ﴾ (١).

اعلم أن الله سبحانه لما أقسم بذات الموجودات، أقسم أيضاً بحالها، وهو الشروق والغروب، وهي حالة لا تعرف إلا بوجود الكواكب والسماء والأرض، فأقسم بالمشرق والمغرب، لا بالشروق والغروب، لأن القسم ينبغي أن يكون بالثابت، لا بالزائل، والمشرق ثابت والشروق زائل، فأقسم بالذات من كونها مشرقاً ومغرباً، فربط الصفة بموصوفها، وأقسم بالجمع، لأنها مشارق ومغرب كثيرة، وهي شهادته وغيبته، وظاهره وباطنه، وفي عالم الجسوم، وفي عالم الأرواح، وفي الدنيا، وفي الآخرة، وفي الجنة، وفي النار، وفي الحجب، وفي التجليات، وفي الجمع والفرق، وفي المحو، وفي الإثبات، وفي الفناء والبقاء، وفي السكر والصحو، وفي اليقظة والنوم، وفي كل حال من أحوال الوجود مطلقاً. فكما أقسم بذوات الوجود مطلقاً، أقسم بها من حيث أحوالها مطلقاً، فلم يترك شيئاً بعد هذا ينبغي أن يقسم به.

ثم اعلم أن القدرة الإلهية لا يعسر عليها إيجاد ممكن البتة. ولكنها إذا لم توجد ممكناً من الممكنات، فإن ذلك راجع إلى الإرادة لا إلى القدرة.

ثم لتعلم أن الموجودات: ذوات قد كملت أجناسها وأركانها، فكل ما يظهر فإنه منها وفيها، فلم يبق إلا التبديل سواء في الصور والأشكال، فهو تبديل عرضي، كما تبدل السماء والأرض، وكما تبدلت النطفة علقة، والعلقة مضغة وكما تبدلت اللقمة دماً وثغلاً، وهكذا بقي التبديل.

(١) القرآن الكريم، سورة المعارج، الآيات رقم (٤٠، ٤١).

فإن كان التبديل من كون إلى كون، كتبديل الماء الهواء، وشبه ذلك، فهذا تبديل الأعيان.

وإن كان التبديل من صفة إلى صفة، كالأبيض يصير أحمر، والأحمر يصير أخضر، والبارد يصير حاراً، فهذا هو تغيير الموصوفات بالصفات، لأن الحمرة عادت خضرة، كما استحال الماء هواء، فهذا هو التغير.

وإن كان عندنا المائية والهوائية والنارية والأرضية صوراً في الجوهر، يسمى بها هواء وماء وغير ذلك.

ولكنه: إدراكه أغمض من إدراك تبدل الأحمر أصفر، والأبيض أسود، فاعلم ذلك.

وهذا الخبر الذي وصف الله نفسه بتبديل الخلق، في عمارة للموطن، يحتمل أن يكون على الأمرين اللذين ذكرناهما، إذ الذات مشتركة في الجوهرية مماثلة، واختلافها بالصور، والأشكال والحدود الذاتية لها، إنما هي ذاتية للصور والشكل، لا للمشكل والمصور ولكن لا يفعل هذا الشكل في العين، إلا في المشكل، فيظن الظان أنه يجد المشكل، وهو على الحقيقة إنما يجد الشكل، لكنه لا يقدر أن يتصوره في غير متشكل.

فقد بان لك التبديل في الخلق، وأن القدرة لا تعجز عن ذلك، فإن لم تفعل، فإن الإرادة لم تتعلق به، ولا سبق في العلم تبدله.

ووقع الخطاب بما يقتضي حقيقة الممكن.

تمت الأبواب وهذه فصولها تتلوها

والله الموفق

الفصل الأول

في

روحانية الباب الأول

- * رب الإيمان في العيان.
- * عين التحكيم لأهل التفهيم.
- * حرفُ الغاية لأهل البداية.
- * شجر الخلاف يذهب حقيقة الائتلاف.
- * التثنية لا تصح إلا في الروحانية مع الطينية.
- * الوجود لأصحاب العقود.
- * النفوس عالم متوسط بين المعقول والمحسوس.
- * الحَرَج في أول درج وفي آخر درج.
- * حرف التبويض في التمريض، وحرف التبیین للتبويض.
- * الأسماء الناقصة للذوات الناقصة.
- * القضا فيما قد مضى.
- * حرف الخطاب للأحباب.
- * حرف الظرف لأصحاب الحرف.

- * حرف العطف لأصحاب القطف.
- * تسليم الحال لأهل المحال.
- * ضمير الجماعة لإضمارهم الساعة.
- * التأكيد بالمصادر لالتحاق الوارد بالصادر.
- * واو القسم تعظيم النسم.
- * حرف النفي خارج عن الرأي.
- * حذف الحروف للعوامل تبين في المسائل.
- * ضمير الغائب للأجانب.

الفصل الثاني

في

روحانية الباب الثاني

- * رَبِّ السُّؤال حَقِيقَةٌ فِي الْمَنال.
- * السُّؤال عَلَى النُّور الَّذِي مال.
- * ضَمِيرُ الْغائِبِينَ فِي الْمَحْجُوبِينَ.
- * التَّكْثِيرُ بِالْجَمْعِ مِنْ أَجْلِ الصَّدْعِ.
- * حَرْفٌ يَجَاوِزُ الْأَشْيَاءَ لِإِثْبَاتِ الْأَبْناءِ.
- * مَا الْكُونُ لِنَقْصانِ الْعَيْنِ.
- * الْكُونُ الْجَامِعُ لِلْمَعْطَى وَالْمَانِعِ وَالضَّارِّ وَالنَّافِعِ.
- * الْأَعْمَالُ نَتائِجُ الْأَحْوالِ.
- * الْأَمْرُ بِالْإِمْضاءِ تَنْفِيزُ الْقَضاءِ.
- * حَرْفُ الْإِلْصاقِ لَوْجُودِ الْإِتِّساقِ.
- * الْمَأْمُورُ مَغْرُورٌ.
- * الْأَعْرَاضُ لِلْأَعْرَاضِ وَالْإِعْتِراضِ.

- * الإشراف عقد الإشراف.
- * كناية الجمع عن الواحد تعظيم الشاهد.
- * الكفاية عين الحماية.
- * الاستهزاء البادي سمّ الأعادي.
- * سريان المنافع في الأشياء سبب حمل الكفة على السوء.
- * الاستئناف المعرف بلاء مضعف.
- * الضيق عن الغيرة باب الحيرة.
- * التسبيح بحمد الربّ دليل على المقام الربّ.
- * الليل توسّل للتوصل.
- * إتيان الموت حسرة الفوت.

الفصل الثالث

في

روحانية الباب الثالث

- * الحشر للبشر.
- * إنكار المعاد فساد.
- * الجهل بالبده علامه الجهل بالخبه.
- * الشياطين سلاطين.
- * الحضور الاذا بعض ابتلا.
- * القعود على الركب علامه النوب.
- * التفريق لإظهار التحقيق.
- * الورود تناقص العقود.
- * الجيم عين الجيم.
- * عطف المهلة عين العلة.

الفصل الرابع

في

روحانية الباب الرابع

- * السماء دون الاستواء.
- * الأرض طبقات الخفض.
- * الحق مدرج في الحق.
- * حرف التوكيد علامة التبديد.
- * الرزق والجنة بابان للمنة فتحهما من غير منة.
- * ومن شرط الواحد السُّنة.
- * ومن شرط الآخر وجود العنة.
- * الرزق سبب النطق.

الفصل الخامس

في

روحانية الباب الخامس

- * في المشارق والمغارب تحصيل المذاهب.
 - * مشرق الأبصار: طلوع الأنوار.
 - * ومغرب الأبصار: وجود الأسرار.
 - * مطالع العقول: مشارق النقول.
 - * مغارب العقول: السر المدلول.
 - * مشرق النفوس: طلوع التجنيس.
 - * مشرق الأرواح: شروح الإيضاح.
 - * مشرق الأسرار: شروق الاستظهار.
 - * مغرب الأسرار: مشاهدة الظهار.
 - * التبديل: دليل التحميل.
 - * النفوذ الاقتداري لا يسبق: لارتباط الموجودات بالحق.
- تَمَّ الكتاب بحمد الله ومنه

كتاب الياء

وهو كتاب: «الهو»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمد الضمائر المخصوص بالسرائر المؤثر في الظواهر، والصلاة على محمد الداعي من مقام البصائر وعلى آله الأوائل والأواخر.
أما بعد:

فهذا كتاب «الياء». وهو كتاب «الهُوَ»^(١) كتبناه إلى أهل الإشارات والحقائق الذين أبصروا الحق في العوائق والعلائق.

اعلموا وفقكم الله أن «الهُوَ» كناية عن «الأحدية»^(٢) ولهذا قيل في النسب الإلهي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

فهي الذات المطلقة التي لا تُدرَكها الوجوه بأبصارها ولا العقول بأفكارها، ومدرك

(١) (الهُوَ): قال القاشاني: «الهُوَ»، الغيب الذي لا يصح شهوده. ويطلق «الهُوَ»، ويشار به إلى الذات التي هي الكل في الكل.

انظر: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، بتحقيقنا ٣٧٢/٢.

(٢) (الأحدية): هي عبارة عن مجلى الذات، ليس للأسماء ولا للصفات، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور. فهي اسم لصرافة الذات، المجردة عن الاعتبار الحقية والخلقية. وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك، ونسيت اعتباراتك، وأخذت بك فيك عن ظواهرك. فكنت أنت في أنت، من غير أن يُنسب إليك شيء مما تستحقه من الأوصاف الحقية، أو هو لك من النعوت الخلقية. فهذه الحالة من الإنسان أتم مظهر للأحدية في الأكوان. فافهم.

وهي: أول تنزلات الذات من ظلمة العماء إلى النور المجالي. وهذه الأحدية في لسان العموم هي عين الكثرة المتنوعة.

انظر الجبلي: الإنسان الكامل، ٤٢/١. ابن عربي: رسالة الأحدية، أو الألف من هذا المجلد. القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، ١٧٠/١.

(٣) القرآن الكريم، سورة الإخلاص، الآية رقم (١).

الإدراكات شارة^(١) التحول والصور. فما من مقام يكون فيه تجلّي من التجليات مثل تجلّي «الأنا» و«الأنّي» و«الأنت» وال «ك». إلّا والهو مبطون في ذلك التجلّي فيقع الإخبار عما ظهر من هذه المقامات ويقع التنزيه على الذات المطلقة بالهو فالفهوانية^(٢) لا تُفارق الهو أبداً وغير الفهوانية لا تعرف الهو، وإنما تعرف «الأنّي»، و«الأنا» و«الأنت» وال «ك» فالعلماء بالله ما زالوا مربوطين بالهو فقالوا: «لا نحصي ثناء عليك»^(٣) فأنحجب الهو هنا بال «ك» و«الأنت». كما أثبتت على نفسك^(٤) وأنحجب الهو هنا بالأنت وال «ك»..

وقال الآخر: «العجز عن درك الإدراك إدراك»^(٥).

وهو أنه أدرك أنه لا يدرك إدراكه ولو أدرك الهو لما كان الهو وإنما يدرك ما سوى الهو بالهو.

وقال الآخر: إذا نحن أثبتنا عليك بصالح^(٦).

فشاهد ال «ك». ثم قال: (فأنت الذي تثني)^(٧) فشاهد الأنت وجعله عين الثناء. قال: (وفوق الذي تثني) فأظهر الهو بقوله يعني فوق «الأنا»، والأنت، وأخواتها. ثم أثبت بالياء إليه. فما هو إلّا هو، وما سوى «الهو» فهو في الإثني، وأنت. وأخواتها فسبحان من شرف الفهوانية بالهو.

وأجملها من بين سائر الإدراكات لا إله إلّا هو. ولسريان الهو في الموجودات إذ لا وجود لها إلّا بالهو. ولا بقاء لها بعد الوجود إلّا بالهو، صار كل ما بعد الهو في حكم البذل

(١) في المطبوعة (م): (ذات) وهي هنا (شارة) هكذا بدون ألف.

(٢) (الفهوانية): هي خطاب الحق مكافحة في عالم المثال وهو قوله ﷺ: (أن تعبد الله كأنك تراه). انظر: رسائل ابن عربي، المجلد الأول (مؤسسة الانتشار العربي) بتحقيقنا. رسالة (منزل المنازل الفهوانية)، ص ١٥٧ وما بعدها. وانظر القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، بتحقيقنا ٢/ ٢٢١.

(٣) اعتماداً على حديث سيدنا رسول الله ﷺ (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك). ونصّه [اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك]. رواه مسلم والأربعة عن عائشة رضي الله عنها.

انظر العجلوني: كشف الخفاء، ١/ ١٩٠ حديث رقم ٥٧١.

(٤) المشهور أن من قال هذه العبارة هو الصديق الأكبر سيدنا أبو بكر رضي الله عنه.

(٥) شطر البيت الأول.

(٦) جزء من الشطر الثاني.

من الهو، وفي حكم عطف البيان. أعني: يعطف عليه لبيان المراتب التي للهو لا الهو، والهو باقي على إجماله، وعزته فقال في غير ما موضوع: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

فبدأ بالهو، وختم بالهو، وأظهر مرتبة الإلهية. وقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٢). وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٣). وقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٤). ﴿هُوَ إِلَهُكَ الْقُدُّوسُ﴾^(٥). ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾^(٦).

فصارت الأسماء المذكورة بعد الهو تبين عن الهو ما تريد من الأحداث في العالم خاصة فالأسماء كلها ترجمانات عن الهو.

والهو مكتنف بحجاب العزة الأحمى في أحديته، وهويته. فلهذا جعلنا ما بعد الهو عطف بيان للمرتبة، وبدلاً مستخلفاً من المرتبة أيضاً.

ولا يصح الهو لأحد إلا للذات المطلقة الموصوفة بالأحدية. ولهذا حُصِّت بالأحدية خصوصية ذات الله، فإن كل ما سوى الله تعالى موجود مدرك لله ولبعضه أعني لبعض ما سوى الله، فهو في الأنت لا في الهو، فإنه ليس في الكنايات من يقرب من الهو إلا الياء، ولا سيما إذا اقترن معها اللام من «لي» أو «الان» من «أنى» فلياء سلطان عظيم لا يقرب أحد إليه إلا حكم عليه، ولهذا إذا أراد الآن أن يبقى على مرتبة، ولا يتأثر بأخذ نون الوقاية فيجعلها مجناً بينه وبين الياء، فيقع الأثر على نون الوقاية، ويسلم الآن في قوله: «إننى» فالتون الثانية نون الوقاية لا نون الحقيقة. وكذلك الأفعال في هذبنى ويكرمنى فأكرمنى ولولا نون الوقاية لأثرت في الأفعال، وهذا من قوة سلطانها، و«هو» متوسطة بين الأنا والهو». والأنا أبعد من الهو منها، فإن الأنا ليس له أثر، ولكن «الأنا» أقرب إلى «الهو» من «الأنت» وال «ك». فالأنت وال «ك» في غاية البعد من الهو، وبقي «النحن»^(٧) و«الأن» في تمييز مراتبها من «الهو» مع «الأنا» فأما

(١) القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية رقم (٢١).

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (١٦٣).

(٣) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية رقم (٣).

(٤) القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية رقم (٢١).

(٥) القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية رقم (٢٣).

(٦) القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية رقم (٢٤) والأخيرة.

(٧) «النحن»: هي «نحن» ضمير الجمع والتفخيم كما هو المعروف في النحو العربي ولكن عند ساداتنا الصوفية يشيرون إلى «نحن» بأنها: اعتبار الذات من حيث جمعها بين مرتبتها الذاتية وبين الوجود.

انظر الفاشاني: معجم المصطلحات بتحقيقنا ٣٥٦/٢.

«الأنا» و«الأن» فهما أبعد من «النحن» عن الهو والنحن أقرب إلى الهو من «الأنا» و«الأن». فإن نحن مجمل مثل الهو مفصلة المراتب فهو أعنى في المضمرات مثل: اسم «الله» في الظاهرات لا يتقيد بمرتبة مخصوصة، كذلك هذا الآخر الذي هو نحن، والأنا أقوى من الأن لتأثير الباء فيه. ولهذا لما أراد شرف المقام لموسى بالاصطفائية، فظهر «الأنا» و«الأن» أدخل نون الوقاية حتى يبقى الأن سالماً مثل «الأنا» لتعلق المقام لموسى فيعظم الحق عنده لما لم يحصل في أنيته تأثير منه. فقال جل من قائل: ﴿وَأَنَا أَخَرْتُكَ فَاسْتَجِبْ لِمَا يُؤْتِيهِ رَبِّي أَنَا اللَّهُ﴾^(١).

فسلمت بالأنا الأولى والأنا الآخر أعني بغايتها من الأثر حين، وقيت بالنون كذلك من طلب الانتساب إليه به وفي منه به أعني: طالب الانتساب. فلم يتأثر واحتسمى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢).

ف«النحن» له القرب و«الهو» له البعد. فإن «النحن» ناب عن حبل الوريد والحبل الوصل، والهو بخلاف ذلك فهذا من مراتب الكنايات. فقد بانت، ولها البناء، وهو الثبوت: وعدم التغيير ولهذا استحققتها الألوهية أكثر من الأسماء، والرب الذي هو الثابت، وصف هذه الكنايات.

وأما الظواهر فدخلها التغيير باختلاف المطالب والمراتب فلم تخم الأسماء كما حمت الكنايات. فقالوا: «قال الله»، و«عبدت الله»، و«بسم الله» فوقع التغيير كما ترى واختص الهو بخصوصية عجيبة وهي ثبوته على باب واحد لا يتبدل. فنقول: عبيته وأكرمه وشبه ذلك فلا يزول عن هذه المرتبة إذا تعلق به الأكوام لبقائها فإذا لم تتعلق به وطلبها هو كان الهو في مقام العزة والرفعة كالأناء و«الأنث» مع شرف هويته التي «الأنا»، و«الأنث»، وأخواتهما ليس عليه. وأما كناية «نا» و«ني» و«تا» و«ك» فهي أقرب إلى الهو من «الأنا» و«الأنث» و«الأن» ما صبح لهم القرب من «الهو» وتفصيل هذا الباب يطول.

قال: وأما مراتب الخلق في هذه الكنايات فمختلفة باختلافها وأشرفهم من كان هجيره^(٣) «الهو» فإن بعض الناس ممن لم يعرف شرف «الهو» ولا الفرق بين ذات الصور، والتحول، والذات المطلقة جعل «الأنا» أشرف الكنايات من أجل الاتحاد وما عرف أن الاتحاد محال أصلاً وأن المعنى الحاصل عندك من الذي تريد اتحاده هو الذي يقول «أنا» فليس باتحاد

(١) القرآن الكريم، سورة طه، الآيتان رقم (١٣) و(١٤).

(٢) القرآن الكريم، سورة ق، الآية رقم (١٦).

(٣) الهجير: الذكر الدائم الذي لا ينقطع. بظُلْ يقول (هو. هو. هو) هكذا. في حركاته وسكناته سراً وجهرًا.

إذن فإنه الناطق منك لا أنت فإذا قلت، «أنا» فأنت لا هو فإنك لا تخلو أن تقول أنا بأنانيتك أو بأنانيته فإن قلتها بأنانيتك فأنت لا هو، وإن قلت بأنانيته فما قلت فهو القائل «أنا» بأنانيته فلا اتحاد البتة لا من طريق المعنى ولا من طريق الصورة فالقائل من العلماء أنا لا يخلو إما أن يعرف الهو أو لا يعرف فإن عرف الهو، فقله أنا على الصحو غير جائز، وإن لم يعرف تغير عليه الطلب واستغفر من أنا استغفار المذنبين والهو أسلم بكل وجه في كل مقام للعالم، والمحجوب. وأما «الأنت» فأصعب من «الأنا» وأكثف حجاباً وذلك لأن «الأنت» إنما يتجلى على صورة العلم. ولهذا ينكر «الأنت» إذا لم يكن على صورة علم من يتجلى إليه فهو مقام خطر فإن الأنا منه باقٍ، ولولاه ما ثبت الأنت، والأنت تنفي عنه الهو، ومن ينفي عنه الهو خيف عليه فإنه يحتاج صاحب الأنت أن يكون من التنزيه بحيث أن لا يمسك صورة ويكون قد ارتفع عنه درجة الخيال ثم عاين مراتب الغيب الكوني كلها وإن الهو ليس كمثله شيء وحينئذ يسلم له تجلي الأنت فإن «الحشوية» و«المجسمة»، وأهل التشبيه تجليهم إنما هو في الأنت ولكن ليس هو ذلك الأنت المطلوب للمحققين وهذا موضع المكر، والاستدراج نسأله الله الإخلاص.

وأما كناية الواو من فعلوا، فهي للثخن كالهو للذات، سواء.

وأما كناية «نا» فإنه يقرب من الباء في التأثير إذا كان الأثر له في مثل قوله: «أكرمناكم» وشبهه فأثرت في الفعل، وأزالته عما وجب له من الثبات. وأما إذا لم يكن له تأثير، وكان غيره مؤثراً فيه لم يقو قوته وصار مثل أنت في قوله: «أكرمنا» إذا أكرمه غيره لكن يقوى في الغيب من جهة التشبيه بالهو. وقد ثبت شرف «الهو» على جميع الضمائر، لشرف الذات المطلقة. فكذلك ما يقرب منه، وما من شيء من هذه الكنايات إلّا ولها وجوه في العلو، ووجوه في النزول وأعلى شرفها إذا وقع الشبه بالهو.

واعلموا أن الهو تطلب «الباء» أكثر من سائر الكنايات. فإن الهو أحد عشر. وهو اسم الأحدية فالأحدية تطلب الأحد وتبقى عشرة والهو لا تكون عشرة فلا بدّ من الباء، ولهذا يقول عن نفسه «إني»، ولا يقول «هو» فيصير «الإن» تحقق «الباء» والباء فهوائية للأحدية فهوائية لنا. و«الإن» موجود محقق مؤيد مطلوب لغيره وهو الباء ثم قد يكون «الهو» فهوائياً للأحدية إذا تجلّى «الأنا» منها على قدر المتجلى إليه.

كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١). فالشهادة هنا لله وهو الجامع

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم (١٨).

للأسماء كذلك «الياء» ذات الأحدية المطلقة ففي مثل هذا المقام يكون الهو فهوائياً له سبحانه.
وأما الياء فهوائية له حقيقة.

تتميم وتكملة

«الهاء»، و«الهو»، و«الهي». فأما الهو فقد بان من حيث هو الهو «هو». وأما من حيث هو الهو «ها» أو «هي» فلا. وأما إذا كان الهو «هي» فلا يكون إلاّ عند إيجاد الصورة المثلية فيكون فعلاً. و«الهي» أهلاً و«الها» أمراً جامعاً بين «الهو» و«الهي» كالسبب الرابط بين المقدمتين التي تساق للإنتاج فإنها مركبة من الثلاثة فلا بد من سبب رابط فقد كان «الهو» ولا شيء معه والهو بما هو «الهو» لا يكون عنه وجود. و«الهي» بما هي «الهي» لا يكون عنها وجود. و«الها» بما هي «الها» لا تكون عنها وجود وسبق العلم في الياء من «إني» بالإيجاد لتظهر حقائق الأسماء فحرك «الها» «الهو»، و«الهي» والتقى الهو مع الهي بالها. فكان الوجود المحدث ولهذا كنى عن هذه الملاقة بالحرفين وهما كن فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) ذلك الشيء فالتبعية التي ظهرت في العين ليست هي السببية المتوجه عليها القول فالشيء هو «الهي» وأردناه «هو» «الهو» وأن نقول هو «الها» وهو كن السبب الرابط فالكاف من الكن هو «الهو» والنون من كن «هو» «الهي» ولهذا كانت دائرة. والرابط المقدر بين الكاف والنون هو «الها» وهو القول المستفاض على ألسنة المنطقيين بأن أمر الله بين الكاف والنون فهذه مرتبة الها فقد نبهنا في آيات على «الهو» و«الها»، و«الهي» فقلنا هذه الآيات:

انظر إذا ما قلت «هو» أو قلت ها

وتفطن الحديث لي وتنبها

وأناء يولد منها «هي» والذي

تعطي أنا تجد الذي قد نالها

ما ياء «إني» غير وار «الهو»، ولا

هو ذاته عند اللطائف والتهي

إنّ الهي معقولة بنفوسها

وكذا النفوس بـ «هو» و«هي» عقلت و«ها»

(١) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية رقم (٤٠).

فإذا دعاها السُّرُفُ في غسق الدُّجَى
ليحلّها بالعين من عقد اللها
قالت أنا محبوسةٌ بدعائكم
ما بين مبدأ جودكم والمنتهى

وقد استوفينا الكلام في هذا الفصل في كتاب «الألف» و«القاف» وهذا كتاب «الباء» وكان ممن يتحقق في هذا المقام سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) لتمكّنه فيه وكذلك الأكابر من سادات هذه الطريقة وأكثر أهل الطريق عمي عليهم هذا المقام وتخيلوا أنه من مراتب النفس وهيهات وسر الوجود مرتبط فكيف يكون حجاباً عنه وإنما العوائد تحجب وكذلك مشاركة الأنقص في الصورة وكذلك ما أنكره إلا مَنْ وقف مع الصورة والشهوة البهيمية ولو وقف مع حكمة الإيجاد وسرعة زوال تلك اللذة كمشاهدة الذات ومنزلها من الأنوار كالبرق عرف قدر ما هام فيه وطلب. وعالم الصورة كامل في نفسه والعالم لا ينظر في الأشياء بغرضه ولا بما استقر في عرف الوجود فحسب وإنما ينظر في الأشياء بما هي الحقائق عليه. وهو عزيز جداً ولقد تمنيت أن يحصل بيدي من يترك النظر في الأشياء بحكم الغرض والوضع وينظر فيها بما قلناه وما وجدناه حتى الآن وأنا لا أزال متعوباً بما يرد عليّ ولا أجد محلاً أضعه فيه فلا فهم ثاقب ولا تسليم كامل وهذه نفثة مصدور.

قال: ثم اعلّموا أن هذه الذات المطلقة الحقيقة اختصت بالهو وهو حرف سام شريف وحركته سامية شريفة أسرت به الأحذية على مراتب الحروف كلها حتى انتهت إلى الواو الذي هو الآخر وكانت «الها» الأولى في الحروف فقد أعطت الأول والآخر واندرج فيها جميع مراتب الحروف فما من قوة في حرف إلا «الها» قد أخذتها في هذا السر وأعطتها منحة إلى الواو وبها انفتحت الواو من الهو والفتح عين الوجود وباب الرحمة ولهذا جاء ﴿مَّا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾^(١) فقرن الرحمة بالفتح ولعلك تقول فكيف تعمل في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾^(٢).

قلنا: ليس الأمر كما توهمته فإنه قد قرن الإبلال الذي هو البعد عند الفتح. فرحمة الفتح أعطتهم البعد بذلك القدر فهم في عذاب هو رحمة بما قارنه عذاب آخر. وهذه عناية

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية رقم (٢).

(٢) القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية رقم (٧٧).

الفتح وإنما الشديد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْفُ يَنْهَا مَكَانًا صَبِيحًا مُّفَرِّقِينَ﴾^(١).

فاقترب به «الها» و«الهو» و«الهي» ثلاثة أحرف هي من أشرف الحروف وهي الواو والالف والياء وهي حروف العلة والتشبيه وحروف التأثير. واختصت «الها» بالالف من أحد الأحذية التي تطلب الالف ولهذا كانت «الها» السبب الرابط بين الهو والهي للنتاج وهو للفرد كما ذكرناه في كتاب الالف وهو كتاب: الأحذية. فلتنظر هناك ولما كان الواو رفيعاً علينا جعلناه البعل وكان الهو بعلًا. ولما كان «الهي» رفيعاً من حيث الأثر سلفياً من أجل الكسر أعطيناه الياء. فصارت الها بمنزلة الرسالة وصار الهو بمنزلة جبريل عليه السلام المرسل إليه فظهرت الأحكام والشرائع والمقامات والأسرار من هذا الالتحام المبارك السعيد وكذلك الالف.

من أنا بين الهمزة والنون والياء من «إني» وبين الهمزة والنون ونون الخيشوم من «أنت» بين التاء والهمزة فإنها ملحقة بهم إذا أنت مشيت بها على أسلوب الهو وجدت الأمر على السواء.

وشبه النون بالواو والياء أقوى من شبهها بالالف فإن الالف لها الثبات لا تتحرك أبداً والواو والياء إذا لم يكونا في مقام العلة تغيرا عن الثبات ولكن بالفتح خاصة.

فإن الكسر والرفع لا يحتملانه البتة فشبهها النون من هذا الوجه، ومن وجه آخر. وذلك أن النون نصف قطر كرة الواو، والياء ضعفي النون، والنون على النصف من الياء إذا خطت الياء. كذا (ي). والواو تزيد على النون بثلاثة أرباع ثم إنها شبهها في الفهوانية وهي من عالم الروائح والأنفاس فأشبهت الواو في العلو والرفعة. فلماذا لحقت بالالف والواو والياء. ولقوة الشبه كانت دليلاً على إعراب الأفعال مثل: هؤلاء في الأسماء يفعلون، وتفعلين، ويفعلان، وتفعلين. فالنون هنا بمنزلة التاء في: أتيتك والواو في: هذا أبوك والالف في قصدت أباك، وأخاك وأخوات الأسماء المضافة والجمع المذكر السالم وتنثية الأسماء، ثم إنها تخذف لدخول العوامل. كما تخذف الحركات لدخول العوامل. فلماذا الشبه دخلت في «أنت» وقامت «الأنث» مقام الواو في الهو الالف في الها، والياء في الهي فحقق نظرك في هذا الكتاب فإنه يلوح لك من ورائه أسرار رفيعة كثيرة سترها أهل طريقتنا غيرة منهم على الكشف، وما لَوَحْنَا بهذا القدر منها إلا عن غلبة.

نُبَذٌ من مناجاة الهو

يا هو لما غيبتنا عناصرنا منا في غيب فطمعنا من حيث غيبتنا فما غاب عنا منك نَوْه بما

(١) القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية رقم (١٣).

غاب عنا منك، الهو فنادانا قف على ما غاب منك عنا تعانين ما غاب عنك متا فطلبنا التأييد فأتيت وطلبنا الإمداد فأمددت وطلبنا المعرفة بالدخول إلى ذلك فعمرت فنهضنا في بحر لا ساحل له في الفلك المحمدي اليربى فتعجبت حيتان البحر وَدَوَّابِهِ مِنَّا حيث رفعنا شرعنا في ذلك، واستوفينا قلاعنا نطلب آخرأ فيما لا آخر له، وأمدأ فيما لا أمد له فنودينا: ﴿يَبْتَأْهُلَّ يَتَرَبَّ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾^(١) فنكصنا على أعقابنا للساحل الذي منه كان إقلاعنا فإذا به عاد بحراً فكان إدبارنا كإقبالنا نطلب ما لا أمد ولا أمد ولا أول ولا آخر فحرنا وطلبنا الإقالة فإذا بالهو ينادي:

يا عبادي طلبتم مني مقاماً لا يراني فيه غيري كنت في العمى^(٢) ولا شيء معي وأنا كما كنت لا شيء معي بوجودك، وهذا البحر الذي أنت فيه فما قطعت عماك إلى عمائي، وعماك لا تقطعه أبداً ولا تصل إليّ وأنت في عماك ليس معك شيء، وهذا العمى هو الهو الذي لك فإن الصورة اقتطعت لك ما أنت فيه فقلت يا هو الهو ما الصنع في الهو قال غرق نفسك فيه فرميت بنفسي من الفلك عرياناً منسلخاً من ظلمة ذلك الفلك ففرقت فاسترحت فأنا فيه لا أبرح فما أنا في الوجود غيري واسترحت من هم الطلب فنادى الهو يا من فيه كل شيء ما يصنع الشيء بالشيء، وهو شيء تنزل شريف.

وهذه أبيات منظومة:

لِلْحَقِّ حَقٌّ وَلِلْإِنْسَانِ إِنْسَانٌ

عِنْدَ الْوُجُودِ وَلِلْقُرْآنِ قُرْآنٌ

وَلِلْعِيَانِ عِيَانٌ فِي الشُّهُودِ كَمَا

عِنْدَ الْمُنَاجَاةِ لِلْأَذَانِ آذَانٌ

(١) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية رقم (١٣).

(٢) (العماء): هو الحضرة العمائية، التي عُرفت بأنها النفس الرحمان، والتعين الثاني، وأنها البرزخية الحائلة بكثرتها النسبية بين الوحدة والكثرة الحقيقيتين وهي محل تفصيل الحقائق التي كانت في المرتبة الأولى شؤوناً مجتمعة في الوحدة، فسميت بهذا الاعتبار بالعماء وهو: الغيم الرقيق، وذلك لكون هذه الحضرة برزخاً حائلاً بين إضافة ما في هذه الحضرة من الحقائق إلى الحق وإلى الخلق. كما يحول العماء الذي هو الغيم الرقيق بين الناظر وبين نور الشمس. (سئل ﷺ: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال ﷺ:

كان في عماء). والحديث رواه الترمذي في صحيحه عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه ٢٧٠/٨. وانظر القاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، بتحقيقنا ١٦١/٢، باب العين.

فانظر إلينا بعين الجمع تحظ بنا
في الفرق فالزمه فالفرقان فرقان

ومن مناجاة الأنا

ناديت يا «أنا» فلم أسمع إجابة فخفت من الطرد فقلت: «يا أنا» لم لا تجيبني؟ فقال لي: يا متناقض الحكم لو دعيتني أجبتك وإنما دعوت أنانيتك. فأجب نفسك عنك فقلت يا أنا إنما قلت أنا من حيث أن «أنا» في أنا كما أن الواحد في الواحد هو الواحد قال: صدقت فأجب نفسك عني ولا تطلب مني الإجابة فقل لأنانيتك تُجيبك، وأنا ما أظهر لك أبداً في «الأنا» فلا تدعني به فإن الدعاء به هوس إذ الدعاء يؤذن بالفرقان والكثرة. و«الأنا» يؤذن بجمع الجمع والأحادية. كيف تدعو بأنا؟ ألم أقل لك: كن حكيماً ولا تكن بصاحب حال فإن الحكيم حاكم والحال محكوم تحت سلطان حاله فما لك لا تفهم ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾^(١).

ومن مناجاة الأن

يا أني قد تحققت بك مني فلا صبر لي عني لما أصبحت مني في «أنّي» كأنك منك لم أطلبني «مني» «بأنّي» لئلا تغار فيزول عني «إني» فإنه لا إن لي إلا بأنك «أنّي» بي ليس «أنّي» فإن الآن لك ولي بك لأنّي فقال: الآن: صدقت، صدقت في بعض وأخطأت في بعض سألني أعلمك فقلت: يا «أنّي» علمني. قال: لك «إن» حقيقة ولي «إن» حقيقة.

غير أن «إنك» لا يثبت عند «إني» كما لا يقيم «إني» عند ظهور «إنك» فلا تجمع في الاثنين أبداً فإذا كنت في «إنك» فأنا معك بحكم الإمداد، وإذا كنت فيك «بإني» وذهب «إنك» ظهر عنك ما يظهر عني فيتخيل الناظر أن المظهر عن إنك، وهو عن إني فقد علمتك فإذا أردت «إني» فلا تبق لإنيتك عياناً فيك فمقامي مع الكيان محال.

ومن مناجاة الأنث:

يا أنت كانت «الإنائية» و«الإنية» محققة الواحدة بألفها والأخرى بتضاعفها فيها فجاءت بإنيتك فأذهبت قوة أنانيتك وإنيتك فضعفت، وظهر سلطان «بإنيتك» يا «أنت» هل يصح من جهة الحقيقة لا من جهة الوضع أن تقول لي أنت؟ فقال: يا عجباً أأنت إذا قلت لي «أنت»

(١) القرآن الكريم، سورة طه، الآية رقم (١١٤).

أليس باطنها يقول فيك «أنا» عنك فأنايتك الباطنة في ظهور إنييتي لا بد أن أقول لها أنت من جهة الحقيقة كما إذا قلت لك أنت أليست أنايتي باطنة في ظهور أنايتك، وأنايتك مني تقول لي أنت وما بقي الشأن إلا في فقلت وما أنت فالوجود يقضي به فأنايتك صحيحة كأنايتي لا بد منها وإنما الشأن فيما يضاف إليها فأما إضافة «الأنا» فالآن لها فصحيح كـ «هي» وأما ما عدا هذين فاستخرجه فإني لا أعلمه لك فطربت فقال لي: ما أطربك فقلت: قد أعلمتني. قال: كيف؟ وهو أعلم في قوله استخرجته.

قال: أأست تعرف أن لي مكرراً قلت: بلى. قال: فإياك أن يكون ذلك من مكري فزال طربي فقلت: يا أنا و«أن» كان مكرك حقاً فالمجاز لا يدخل الحضرة. قالت: صدقت فهذا هو الشأن فابحث قلت: إن كنت الواهب؟ قال: ألم أقل لك لا أعلمك قلت: يا أنت ما هذا؟ ما قلت لك علمني، وإنما قلت لك هبني لي وأعطني. قال: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(١). قلت: يا أنت من كنت أنت فهو إنيته من يقوم بحجته أنت علمتني الحقائق.

قال: وأما الـ «ك» فليس له مناجاة لكن يندرج في الأنث وإن لم يقاومه كما يندرج النحن، وواو الجمع في «الأنا» والهو، و«الأن» كانت لكل واحد منها مراتب لكن الغرض من هذا الكتاب هذه الزبدة المختصرة التي ظهرت وقد نجز الغرض.

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ، وَحَسَن تَوْفِيقِهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
آمِينَ

(١) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية رقم (٥٤).

كتاب
الألف
وهو الأحادية

من اي وجه عنبه روس اي وجه غيره يعلم ليعتد فهو
 الروح في البدن وان من اي وجه
 معه المنة / عنبه ومن اي وجه غيره
 الف بالرس فافهم تحت الرسالة الاحدية
 والافقه الربك بشيخ العلامة محمد الدين
 عفووه محمد علي العربي الاكرالا علي
 في دم ثم كادس للقاء محمد الله عليه رفته
 علمه علم محمد النبي / واسعة
 يعرفه فأت فهو كفا في مهم
 اين

من داني استغنى عن السؤال في كل حال ومن لم يراني فلا
 ينفعه السؤال فهو محجوب المعال
 في اذا اراد ان يتكلم الحق يصير غنيا عن طلب شيء ما في وقت
 ما في حال ما رفا حصل بمرقته حصل الغنا كله في القدر فكلية الحال
 راجع الى كلية العلم وكاله ان كليا فكلية وكاله الحال في الشريعة
 الثانية الى الكلية فيها اولى واثبت فافهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

أحدية حمد الواحد^(١) في وحدانيته وحدانية حمد الأحد، في أحديته فردية حمد الوتر^(٢) في وترية حمد الفرد، في فرديته. الله أكبر استدرك الناظر النظر. وقف الخاطر بهذا حين خطر. لاح بالتضمين لا بالتصريح وجود البشر. وحدانية حمد الواحد في اثنتين فردية حمد الفرد، في زوجيته وترية حمد الوتر، في شفيعته^(٣). وبقي حمد الأحد واحداً في

(١) تحدثنا داخل هذا المجلد عن «الأحدية». وهنا بهذا الكتاب تكتمل دائرة الحديث عن مفهوم الأحدية الكلبي ولماذا هو حرف (الألف) من بين سائر الحروف. أمّا «الواحدية»: فهي اعتبار الذات من حيث انتشاء الأسماء عنها، ومن حيث اتحادها فيها، فكان اسم الذات واحداً اسماً ثبوتياً لا سلبياً، لكون الواحدية مبدأ انتشاء الأسماء عن الذات. إذ كانت الأسماء نسباً متفرقة عن ذات واحدة بالحقيقة. وإلى هذه الواحدية تستند المعرفة. وإليها يتوجه الطلب لثبوت الاعتبارات الغير المتناهية لها مع اندراجها في أول رُتب الذات. وأمّا «الواحدة»: اسم الذات باعتبار انتشاء الأسماء وهو اسمها أيضاً، باعتبار اتحاد الأسماء فيها، وذلك من جهة كون كل اسم دليلاً عليها، وإن كان أيضاً يفهم منه معنى يتميز به عن غيره من الأسماء. فسميت الذات واحداً بالاعتبار الذي صار به الكل متوحداً في الدلالة عليها. انظر الفاشاني: معجم المصطلحات والإشارات الصوفية، بتحقيقنا، ٣٧٩/٢. عبد الكريم الجيلي: الإنسان الكامل، ٤٣/١.

(٢) (الوتر): هو اعتبار الذات من حيث سقوط جميع الاعتبارات شُعي هذا الاعتبار بالوتر لأن الذات بحسب هذا الاعتبار، لا يصح أن ينفعها شيء، لأن اعتبار أحدية الذات، الذي لا يصح على الذات باعتبار أن يكون لها نسبة إلى شيء أصلاً، وأن ينسب إليها شيء بوجه كما هو في مفهوم الأحدية.

انظر الفاشاني: معجم المصطلحات، بتحقيقنا، ٣٨٠/٢.

(٣) (الشفعية): مرتبة الخلق. أقسم الحق تعالى بالشفع والوتر، إذ كانت الحقبة والخلقية إنما تتحقق بهما. فبالوتر علمنا وجود الذات، وبالشفع هو الخلق، ظهرت حقائق الأسماء، التي هي الخالق، والباريء، والمصور، وغير ذلك.

انظر الفاشاني: معجم المصطلحات، ٤٠/٢.

أحدثته. صلى الواحد سبحانه بتسبيحه على الإنسان الواحد محمد الخارج بعد الضرب الموقوف على صناعة العدد، وهكذا الفرد والوتر ما عدا الأحد فإذن عادت الصلاة عليه لما لم يجد من يستند إليه، وسلم من هذا المقام تسليماً.

إخوتي الأبناء الأتقياء الأبرياء الأخفياء سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته اسمعوا وعوا ولا تضيعوا فقطعوا.

هذا كتاب «الألف» وهو كتاب «الأحدية» جاءكم به رسوله الواحد لأحدثيتكم بأحده جاءكم بها رسولها الواحد لتثنيتمك يوحدها ورسولها الفرد لزوجيتكم يفردها ورسولها الوتر لشفعيتكم بوترها فتأهبوا لقدم رسولها وتحققوا غايات سبلها والله يمدكم بالتأييد آمين.

أما بعد

فإن الأحدية موطن الأحد عليها حجاب العزة، لا يُرفع أبداً فلا يراه في الأحدية سواه، لأن الحقائق تأتي ذلك.

واعلموا أن الإنسان الذي هو أكمل النسخ وأتم النشأت له مخلوق على الوحدانية لا على الأحدية لأن الأحدية لها الغنى على الإطلاق فالواحد لا يقوى ولا يصح هذا المعنى على الإنسان وهو واحد فالوحدانية لا تقوى قوة الأحدية فكذلك الواحد لا يناهض الأحدية لأن الأحدية ذاتية للذات الهوية، والوحدانية اسم لها ستمتها بها التثنية. ولهذا جاء الأحد في نسب الرّب ولم يجيء الواحد وجاءت معه أوصاف التنزيه فقال اليهود لمحمد ﷺ: انسب لنا ربك^(١). فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢). فجاء بالنسب ولم يقولوا صف ولا انعت.

(١) أخرج أحمد، والبخاري في تاريخه، والترمذي، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن أبي حاتم في الشئقة، والبخاري في معجمه، وابن المنذر في العظمة، والحاكم وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات. كلهم عن «أبي بن كعب» رضي الله عنه، أن المشركين، قالوا للنبي ﷺ: يا محمد انسب لنا ربك. فأنزل الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) اللَّهُ أَفْصَحُ^(٢) كَمْ بَكَيْدٌ وَلَمْ يُؤَكِّدْ...». وأخرج ابن أبي حاتم وابن عدي، والبيهقي في الأسماء والصفات أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود جاءت إلى النبي ﷺ منهم: كعب بن الأشرف، وحبي بن أخطب فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك. فأنزل الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣) اللَّهُ أَفْصَحُ^(٤) (لم يلد) فيخرج منه الولد، (ولم يولد) فيخرج منه شيء.

انظر السيوطي: الدرر المنثور، ٦٧٠/٨.

(٢) القرآن الكريم، سورة الإخلاص، الآية رقم (١).

ثم إن الأحدية قد أطلقت على كل موجود من إنسان وغيره لثلا يطمع فيها الإنسان. فقال تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَفْهَمُ﴾^(١). وقد أشرك المشركون معه الملائكة والنجوم والأناسي والشياطين والحيوانات والشجر والجمادات فصارت الأحدية سارية في كل موجود فزال طمع الإنسان من الاختصاص. وإنما عمت جميع المخلوقات الأحدية للسريان الإلهي الذي لا يشعر به خلق إلا من شاء الله. وهو قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٢). وقضاؤه لا سبيل أن يكون في وسع مخلوق أن يرده فهو ماضٍ نافذ فما عَبَدَ عابِدٌ غيره سبحانه فإذا الشريك هو الأحد، وليس المعبود هو الشخص المنصوب، وإنما هو السر المطلوب وهو سر الأحدية وهو مطلوب لا يلحق، وإنما يعبد الرب والله تعالى الجامع. ولهذا أشار لأهل الأنهام بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٣). فإن الأحد لا يقبل الشراكة وليست له العبادة (وإنما هي للرب - ا). فتنبه على توفية مقام الربوبية وإبقاء الأحدية على التنزيه الذي أشرنا إليه. فالأحد عزيز منبع الحمى لم يزل في العمى^(٤) لا يصح به تجلٍ أبداً فإن حقيقته تمنع. وهو الوجه الذي له السباحات المحرقة فكيف هو فلا تطعموا يا اخواننا في رفع هذا الحجاب أصلاً فإنكم تجهلون وتعبون. ولكن قووا الطمع في نيل الوجدانية فإن فيها نشأتم فإنها المتوجهة على مَنْ سواكم وقد ظهرت في جنة عدن وغيرها ثم نُثِيت لكم وأضافها إلى «الأنا» سبحانه.

وقد ذكرنا: «الأنا» والإضافة وما أشبه هذه الضمائر في كتاب «الباء»^(٥) المعروف بكتاب «الهُو» فينظر هناك والواحد لم يثن بغيره أصلاً وإنما ظهر العدد والكثرة بتصرفه في مراتب معقولة غير موجودة فكل ما في الوجود واحد، ولو لم يصح أن تثبت الوجدانية عنده لله سبحانه فإنه ما أثبت لموجده إلا ما هو عليه كما قيل:

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد^(٦)

(١) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية رقم (١١٠).

(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية رقم (٢٣).

(٣) انظر الآية قبل السابقة.

(٤) أي: (العماء) وقد تحدثنا عنه في هذه الرسائل فلا نكره هنا.

(٥) انظر رسالة «الباء» أو كتاب «الهُو» محققاً داخل هذا المجلد الخامس من رسائل ابن عربي.

(٦) هذا البيت معروف ومشهور قاله «بشار بن برد» الشاعر العربي الشهير.

وهذه الآية^(١) التي في كل شيء التي تدل على وحدانية الله هي وحدانية الشيء لا أمر آخر وما في الوجود شيء من جمال وغيره وعالي وسافل إلا عارفاً بوحدانته خالقه فهو واحد ولا بد، ولا تختل أن المشرك لا يقول بالواحد بل يقول به، لكن من مكان بعيد، ولهذا شقي بالبعد. والمؤمن يقول به من مكان قريب ولهذا سعد بالقرب، وإلا فهذا المشرك قد أثبت وحدانية ذات المعبود، وأثبت وحدانية الشريك ثم أعطى لوحدانته الشريك وحدانية حسنه وأعطى لوحدانته الحق وحدانية سره، كما توجه الوجه للكعبة، وتوجه القلب إلى الحق غير أنه لما كان الأمر مشروعاً كان قربه وكما سجدت ذوات الملائكة لآدم وأسرارهم لخالقها فكل عبادة قامت من أمر أثنى عليها وكل عبادة لم تقم عن أمر دُمت ولم يُثنَ عليها لكن قامت على المشيئة التي هي مستوى ذات الأحديّة ولهذا قال تعالى: ﴿مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَاتُنَا رِضْوَانُ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾^(٢) فأثبت أن لها حقاً ينبغي أن يُراعى ويحفظ ذلك للغيرة الإلهية فإنه لولا يبرُّ الألوهية التي تخیلها في هذا المعبود ما عبده أصلاً فقام لهم يبرُّ الألوهية مقام الأمر لنا غير أن الحق قرن السعادة بأمر المشيئة وقرن الشقاء بإرادة المشيئة فما ثم مشروع غير الله فشرع ينزل على الأسرار من خلف حجاب العقل نزل به رسول الفكر عن إرادة المشيئة ويسميا الحكماء السياسة ولهذا تخیلوا أن شرع الأنبياء هكذا ينزل عليهم، وهكذا هو أصله وما عرفوا أمر المشيئة.

وسبب هذا جهلهم بالمشيئة فإذا المعبود بكل لسان وفي كل حال وزمان إنما هو الواحد. والعابد من كل عابد، إنما هو الواحد فما ثم إلا الواحد والاثنان إنما هو واحد، وكذلك الثلاثة، والأربعة والعشرة، والمائة، والألف، إلى ما لا يتناهى ما تجد سوى الواحد ليس أمراً زائداً فإن الواحد ظاهر في مرتبتين معقولتين اثنتين هكذا - ١ - مثلاً ثم ظهر في ثلاث مراتب هكذا - ١١ - مثلاً فسمي ثلاثة ثم زدنا واحداً فكان أربعة وواحد على الأربعة فكان خمسة، كذلك أيضاً كما أنشأه يفنيه بزواله عن تلك فتكون الخمسة موجودة فإذا عدم الواحد من الخمسة عدت الخمسة وإذا ظهر الواحد ظهرت، وهكذا في كل شيء.

فهذه وحدانية الحق فيوجوده ظهورها، ولو لم يكن لم نكن، ولا يلزم من كوننا لم نكن أنه سبحانه لا يكون. كما لا يلزم من عدم الخمسة عدم الواحد فإن الأعداد تكون عن الواحد لا يكون الواحد عنها فلهذا تظهر به ولا يعدم بعدما وهكذا أيضاً فيما تناله من المراتب إن لم

(١) أي الآية التي للحق سبحانه والتي تحدث عنها الشاعر في هذا البيت.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية رقم (٢٧).

يكن هو في المرتبة المعقولة لم تظهر معاً فتفطن لهذا الواحد، والتوحيد. واحذر من الاتحاد في هذا الموضوع. فإن الاتحاد لا يصح فإن الذاتين لا تكونا واحدة وإنما هما واحدان فهو الواحد في مرتبتين.

ولهذا إذا ضربت الواحد في الواحد لم يتضعف ولم يتولد منهما كثرة لأن هما ما هو فإنك ضربت الشيء في نفسه فلم يظهر لك سوى نفسه فاضرب «أنا» يخرج لك في الخارج «أنا» واضرب «هو» في «هو» يخرج لك في الخارج «هو» وهكذا كل مضروب في نفسه حتى الجمل إذا ضربت الجملة في الجملة يخرج لك من الأعداد إحدى الجملتين كاملة في مرتبة كل واحد من أحاد تلك الجملة المضروب فيها وذلك لأن الجملة واحدة في الجمل والجملة والجملة أحاد والآحاد تكرار الواحد في المراتب فالوحدانية سارية ما ثم غيرها والثنية مثل الحال لا موجودة فإن الحقيقة تفنيها أو تأبأها، ولا معدومة فإن الحق يثبتها.

ومثال ما ذكرنا من الجمل أن تقول أربعة في أربعة فيكون المجتمع من ذلك ستة عشر فكأنني قلت إذا مشت الأربعة بجملتها في أحاد هذه الأربعة أو في أحاد نفسها وهو الصحيح بالضرورة تكون ستة عشر لأن الأربعة حقيقة واحدة والستة عشر واحدة فما صدر عن الواحد إلّا واحد وهو معنى قولنا وهو الصحيح. وكذلك إذا قلنا سبعة في ثمانية وهذا من الضرب المختلف فيكون المجتمع المتولد منهما ستة وخمسين فكأنني قلت إذا مشت السبعة في أحاد الثمانية أو الثمانية في أحاد السبعة كم من مرتبة تظهر من الآحاد فلا بد أن تقول ستة وخمسين واحداً فكأنه قال الواحد مشى ستة وخمسين منزلاً فهكذا فليعرف الواحد إلّا أن معنى الواحد لا يشاركه اسم سوى اسم الوتر فإنه يشاركه في المبدأ، ولهذا يجوز الوتر بركة وثلاثة فيشارك الفرد أيضاً فإن الفرد لا يظهر إلّا من الثلاثة فصاعداً في كل عدد لا يصح أن ينقسم كالخمس والسبعة، والتسعة والأحد عشر، وما أشبه ذلك فكان الوتر طالب ثاراً من الواحد لأنه أخفى رسمه وعزله من أكثر المواضع. وما أبقى له إلّا القليل مثل الوتر في مراتب الصلاة وفي أسماء الحق والواحد مسترسل منسحب على كل المراتب والمنازل. فقد جاء في اللغة الوتر الذحل وهو طلب الثأر فإنما يشارك الوتر للواحد في المبدأ لكونه عزله من أكثر المراتب وبالعكس.

وإنما عزل الواحد الوتر من المراتب لكونه يشاركه في المبدأ وإبقاء الفرد يتميز في المراتب مثل الواحد لأنه لم يشاركه في المبدأ لكن قد أباحه له لأنه فيه بتوليته فلا يبالي لأنه تحت حكمه والوتر ما ولاه الواحد فلماذا ينبغي فيما ذكرناه.

فأول الأفراد الثلاثة ولهذا فردانية اللطيفة الإنسانية تخالف وحدانيتها فإن فردانيتها ثبتت

له بتقدم الاثنين وهو تسوية البدن وتوجه الروح الكلّي فظهرت النفس الجزئية التي هي اللطيفة الإنسانية فكانت فرداً. فإن بعل هذا الجسد المسوى إنما هو الكلّي فبقي هذا الجزئي المولد بينهما فرداً فطلب اهلاً يألف إليه ويسكن كسكون أبيه الذي هو الروح الكلّي إلى أمّه الذي هو الجسد المسوى فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(١) لعلّهم بأن الأمر بعده يعود إلى ربه وهنا يصح استخلاف العبد ربه في مقابلة استخلاف الربّ إياه. في قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّفِينَ فِيهِ﴾^(٢). وقد ظهر هذا من النبي (عليه الصلاة والسلام) عالم العلماء في دعائه في السفر (اللهم أنت الخليفة في الأهل)^(٣)، فاستخلفه في أهله فكان الحق في حكم العبد وجار بأمره لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم وكذلك في الميراث قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَكْرَمُ لِلَّهِ يُورِثُكَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ بَنَاتِكَ مِنْ عِبَادِكَ﴾^(٤). وقال له العبد الفرد: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٥). فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾^(٦) فأيّن العقول ما لها لا تنظر أين هذا النزول من جري الحق عن أمر العبد. من قوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٧)، ومن وصفه بالعزة قلت وظهرت الفردية في الأجسام الإنسانية في موضعين في آدم (عليه الصلاة والسلام) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٨). وفي عيسى (عليه الصلاة والسلام) قوله: ﴿وَوَرَّيْتُمُ ابْنَتَ عِمْرَانَ لَتِي آخَصَّنَا فَرَجَحْنَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾^(٩). فصار عيسى (عليه الصلاة والسلام) لمريم كروح آدم لآدم (عليهم الصلاة والسلام) وإنما خرج جسماً لظهوره في عالم الأجسام. فهو أقرب إلى الجسدية منه إلى الجسمية فشأنه كشأن الأرواح الملكية والنارية إذا تراءت للأبصار تجسّدت فوقعت الأبصار على الأجسام وهو في

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (٨٩).

(٢) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية رقم (٧).

(٣) حديث: (اللهم أنت الخليفة في الأهل)، رواه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث مشهور ونصّه طويل بعض الشيء. وفيه [اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم.....].

انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ٧٨/٢، حديث رقم (٤٢١٩).

(٤) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية رقم (١٢٨).

(٥) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (٨٩) وتقدمت.

(٦) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية رقم (٤٠).

(٧) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية رقم (٩١).

(٨) القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية رقم (٢٩).

(٩) القرآن الكريم، سورة التحريم، الآية رقم (١٢).

نفسه على روحية الجسدية ما يرى في الخيال في صورة الجسدية. فقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾^(١). فهذا الاشتراك في الفردية غير أن جسد عيسى (عليه الصلاة والسلام) أخلص ولهذا سماء: روحاً، وسَمَى ذلك آدم من الأذمة فإنه مأخوذ من أديم الأرض وأين الأذمة من الصفاء النوراني ولهذا قال تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُ مِن طَرَابُفٍ﴾^(٢) ولم يقل خلَقهما والضمير يعود على أقرب مذكور، ومن معرفتنا بالقصة فإن آدم ﷺ خُفِرَتْ طينته خُفِرَتْها اليد المقدسة وكذلك خُفِرَ عيسى ﷺ طينة الطائر الذي خلقه بإذن الله تعالى يُثْبِتُهُ لَمَّا وَقَعَ التشبيه بينه وبين آدم أن الأمر ليس كما تظنون وأن القوة الروحية لي وأنا جسد وآدم جسد وأنا من اليد اليمنى وأن آدم من حيث هو آدم من كلتي يديه يمين وهو من حيث أنا من اليد المخلقة ولهذا قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾^(٣) فجمع له بين يديه فكل سبب اليوم فهو نائب اليوم عن تلك اليد المقدسة، فلو عرفت الأسباب من نابت عنه لعرفت قدر ما هي عليه لكنها غُمِيتْ عن ذلك فقالت: أنا لا غير، وسنكشف عنها غطاءها فيكون بصرها حديد أو كذلك أنا من حيث أنا يقول عيسى من اليد المخلقة ومن حيث مريم من اليد المعروفة وبكلتي يدي ربي يمين فجسدي ابن بنت أبي وأنا روح أبي وأمي وبنيه فلما جمعت بين اليمين واليسار في الفردية لهذا كان مثل عيسى عند الله كمثال آدم فهذا من بعض أسرار الفردية.

فأما حواء (عليها الصلاة والسلام) فمن الوجدانية لأن الفرد لم يعلم حتى استيقظ وخلقت كاملة على صورتها من حي نائم كما خلق آدم (عليه الصلاة والسلام) على صورته من غير مزيد تعقل نفسه فيها وكانت الشهوة النكاحية في الموضع الذي عمرته حواء حين خرجت فإنه ليس في الوجود خلاء فأثبت الشهوة الموضع لنزول حواء فيها، ونزلت بالموضع الذي خرجت منه حواء من آدم فعمر الموضع وخرجت الشهوة فيه أقوى مما جرت في حواء فإن حواء حكم عليها موضع الشهوة فالنساء أغلب على شهواتهن من الرجال فإن الشهوة في الرجل بذاتها وفي المرأة بما بقي من آثار رحمته في مواطنها الذي عمرته وكانت الشهوة كالشوب على حواء من أجل صورة الموضع وانفشت الشهوة في آدم فعمتها جميعاً لكن بهذا الحكم ولهذا تعم شهوة الجماع عند الإنزال جميع البدن ولهذا أمر بتطهير جميع البدن فإنه فني بكلية في تلك اللحظة فأمر بتطهير كليته من ذلك لأجل مناجاة الحق

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية رقم (٥٩).

(٢) تكملة الآية السابقة.

(٣) القرآن الكريم، سورة (ص)، الآية رقم (٧٥).

تعالى. قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ (٧) فآدم فرد وحواء واحد وواحد في الفرد مبطلون فيه ففوة المرأة من أجل الوجدانية أقوى من قوة الفردانية ولهذا تكون المرأة أقوى في ستر المحبة من الرجل ولهذا هي أقرب إلى الإجابة وأصفي محل كل ذلك من أجل الوجدانية. ولما كان الفرد لا يكون إلا بعد ثبوت الاثنين ضعف عن عزة الوجدانية فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ (٨) فلا تقل إنه طلب الرجوع إلى الوجدانية فإن ذلك لا يصح لأمرين الأمر الواحد أنه فرد لا واحد والثاني أن الله استجاب دعاءه. فقال: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُمُ وَوَهَبْنَا لَهُمُ يَتِيمًا﴾ (٩) ولما وهب له زوجته فظهر فرد آخر وهو يحيى ثم أشار الحق بوجدانية المرأة وفردانية الرجل وقوة المرأة وضعف الرجل بصورة الميراث فأعطى الأكثر للأضعف كي يقوى من جهة الضعف ومن جهة النشأ فإن الوجداني لا يقبل إلا مثله فأعطي قسماً واحداً والفرد إنما هو عين اثنين فهو ناظر لما هو عنه فأخذ قسمين فمن الوجهين معاً للمرأة الثلث وللرجل الثلثين إذا لم يكن سواهما فافهم فإن الحكم ينتقل بانتقال الزائد والناقص ويصير على صورة وضع المسألة فإن الحكم أبداً إنما هو للموطن ولهذا قلنا إن عيسى عليه الصلاة والسلام لولا الموطن ما ظهر له جسم البتة فحكم عليه موطن هذه الدار الحسية موطن مريم عليها السلام.

ولما بانث اثنيية الواحد وزوجية الفرد طالبنا الوتر بشفعيته أن نبينها للإخوان فإن فيها عزة الواحد فإن الشفعية تبقى لك حظاً في الملك، ولما كان للوتر حظ كثير في المبدأ لكن ليس هو كالواحد فإن الواحد هو أصله ولهذا قرن معه الشفع دون غيره.

فقال عز من قائل: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ (١٠) فأقسم بهما، ولم يكن له ذلك السريان فجاءت الفهرانية^(٥) بالوجدانية من جهة غيبها لا من جهة عينها من أجل الوتر أن يقوم فتعارض الوجدانية في السريان وليس له ذلك فقال: ﴿وَأَتْلُ إِذَا يَسَّرَ﴾ (١١) فهو تنبيه على سير الواحد في المراتب لإظهار الأعداد وكفى عنه بالليل لطموس عين الوجدانية في الأعداد من جهة الظاهر إلا في كل مبدأ فإنها تظهر بذاتها فإنك لا تقول بعد الواحد واحد أبداً وإنما تقول

(١) القرآن الكريم، سورة الطارق، الآية رقم (٧).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (٨٩).

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (٩٠).

(٤) القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية رقم (٣).

(٥) تقدم شرح هذا المصطلح في هذا المجلد، وكذا في المجلد الأول فتابع ذلك.

(٦) القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية رقم (٤).

اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، كذلك إلى عشرة واشبهت بسائط العدد التي هي اثنتي عشرة لفظة الواحد من كونها تظهر في المراتب ظهور الواحد فيها فهي نابعة عنه من حيث الاسم لا من حيث المعنى وهي واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة مائة، ألف. وما ثم أكثر فإن الحكم إنما هو للاثنا عشر قد ربط الله الوجود بها وهي: البروج الاثني عشر المشهورة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والنسبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالواحد للحوت والاثنا عشر للحمل ويتمشى بالأعداد على الترتيب والحوت مائي قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَ السَّمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١) وما في الوجود إلا حي لأن كل ما في الوجود يستبح بحمده والتسبيح لا يكون إلا من حي فسفر الحياة سار في جميع الموجودات كذلك الواحد سار في جميع الأشياء كما ذكرنا فصار لا يظهر في الأعداد إلا هذه الاثنا عشرة لفظة فنقول واحد وعشرون، اثنان وثلاثون، ثلاثة وأربعون، أربعة آلاف، خمسة عشر ألفاً، مائة ألف. فكذلك حكم هذه الاثني عشر برجاً في جميع المولدات والأفلاك الروحانية فتأمل قوة سلطان الوجدانية ما أعزها وأعظمها وإنما لم يظهر الواحد باسمه في الأشياء وظهر بمعناه لأنه لولا معناه لم يوجد لهؤلاء عين ولو ظهر باسمه لم يوجد لهم عين والغرض إنما هو في ظهور هذه الموجودات فلا بد أن يكون فيها بمعناه ولا يكون فيها باسمه ومهما ظهر اسمه بطل الوجود ومهما لا تصح أبداً وإنما تكون النتيجة بظهور معنى الوجدانية في مرتبتين وبازدواج الواحدين تكون النتيجة ويظهر الوجود، ولكن أكثر الناس مما لا يعرف يتخيل أن النتيجة إنما هي عن اثنين وهو باطل وإنما هو عن ثلاثة وهو الاثنان والفرد. فإن الواحد مهما لا يصعب الاثنان لم يكن بينهما قوة النتاج أصلاً فانظر إلى الاثنى والذكر ما أنتجا إلا بالحركة المخصوصة على الوجه المخصوص ولولا ذلك لم يكن النتاج وقد كان الاثنان موجودين، ولم تكن ثم حركة مخصصة على وجه مخصص فلم يكن ثم نتاج فثبت أن الحركة أمر ثالث وهو الواحد الفرد حتى لا يظهر شيء إلا بوجود التوحيد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢) ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ﴾^(٣)، وكذلك في المقدمات العلمية لتصور المعلومات بالبراهين ما يتصور قط برهان إلا من مقدمتين وكل مقدمة من مفردين يكون أحد المفردين خيراً عن الآخر وهنا أيضاً لا ينتج فإنه كقولنا السلطان جائر وخالد إنسان فهذه أربعة ولا واحد فيها ولا نتاج لكن هذه الأربعة إن لم تكن ثلاثة من كل وجه من أجل الوجدانية

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (٣٠).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية رقم (٢٢).

(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (١٦٣).

فإنها لا تنتج إلا أن يكون واحد من هذه الأربعة يتكرر في المقدمتين فيكون إذ ذاك ثلاثة فتصح النتيجة فلا بدّ للنتاج من وجه خاص به وهو أن يكون الحكم أعم من العلة أو مساوٍ لها ولا بدّ أن يكون على شرط مخصوص وهو أن يتكرر واحد من الأربعة في المقدمتين إن أردت نتيجة الإفادة وإلا فقد يكون الانتاج بغير فائدة فتكون ثلاثة ليست أربعة.

فالفرض من هذا وجود النتاج لا غير لا ظهور الصدق في ذلك ولا الكذب، والصدق والكذب بما يقطع في الأصول التي هي المقدمات فتخبر عن إحدى المقدمتين أو عنهما وإنما ليس لها أو بما لها وتنسب نسبة كاذبة أو صادقة وغرضنا من هذا أن النتاج الذي هو ظهور أعيان الموجودات لا يصح إلا بالواحد الفرد لا بالواحد غير الفرد.

ألا ترى الحق سبحانه هل أوجد العالم من كونه ذاتاً فقط أو من كونه واحداً، وإنما أوجده من كونه ذاتاً قادرة فهذان أمران: ذات وكونها قادرة معقول آخر يعقل منه ما لا يعقل من كونه ذاتاً وكذلك التخصيص منه كونه ذاتاً أو من كونه مريداً أو عالماً مثل قولنا في كونه قادراً ثم عندنا ذاتاً وكونها قادرة من غير أن تكون متوجهة للايجاد هل يظهر شيء فكونها متوجهة غير كونه قادرة وهذا حكم ثالث وهو حكم الفرد الواحد فإننا قد أثبتناه أولاً ذاتاً قادرة ولا وجود لكون الحكم الثالث الذي هو التوجه لم نشبه فلم يكن الوجود والفعل يستحيل أولاً والقادر لا يستحيل أولاً فتأمل.

وأما ما ذكرناه هناك من نتائج المقدمات فأخاف أن لا تعقل ما ذكرناه حتى أضرب لك منه مثلاً فيما ذكرناه شرعياً ليكون أقرب لفهمك لمعرفتك بالدين فأقول إذا أردت أن تظهر في الوجود أن النبيذ حرام فتقول كل نبيذ مسكر فهذان اثنان: مُشكر، وحرام. ثم تقول: والنبيذ مُشكر. فهذان اثنان. ومسكر فالبضرورة تنتج أن النبيذ حرام بلا خلاف.

أعني في النتيجة. لكن هل الحكم صحيح أم لا؟

أمر آخر يحتاج إلى معرفة أخرى ليس هذا الكتاب محللاً لها وإنما نريد الإنتاج الذي هو ظهور الوجود خاصة بوجود الفرد، أو الواحد. فانظر إلى هاتين المقدمتين: تجدها مركبة من ثلاثة في أربع مراتب. وهو قولك: مُشكر، وحرام، ونبيذ. ما ثمّ رابع. لكن تكرر قولك مسكر، وهو الواحد المطلوب الذي به يقع النتاج فوجهه المخصوص تكراره.

وأما حكم الشرط المخصوص في هذا الازدواج أن الحكم أعم من العلة في هذه المسألة. وهو أن العلة الإسكار، وأن الحكم هو التحريم.

والتحريم أعم من الإسكار. فإن المحرمات كثيرة منها المسكرات، وغير المسكرات.

كتاب الألف وهو الأحذية

فقد بان لك أن الأمر والشأن في الواحد، وهو كان المطلوب.

ثم اعلّموا أنه لما كان الألف يسري في مخارج الحروف كلها سريان الواحد في مراتب الأعداد كلها لهذا سَمِيناه «كتاب الألف».

وهو قَيُّوم الحروف، وله التنزيه بالقبلية، وله الانصال بالبعدية. فكل شيء يتعلّق به، ولا يتعلّق هو بشيء فأشبهه الواحد لأن وجود أعيان الأعداد يتعلّق به، ولا يتعلّق الواحد بها فيظهرها ولا تظهره، وتشبهه من هذا الحكم الدال، والذال، والراء، والزاي، والواو. ويشبهه في حكم السريان الواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها.

وقد ذكرنا هذا كله في «كتاب الحروف» لنا مستوفى فليُنظر هناك. وكما أن الواحد لا يتقيّد بمرتبة دون غيرها، ويخفي عنه أعني: اسمه في جميع المراتب كلها كما قدّمنا ذكره، كذلك الألف لا يتقيّد بمرتبة، ويخفي اسمه في جميع المراتب. فيكون الاسم هناك للباء، والجيم، والحاء، وجميع الحروف. والمعنى للألف مثل الواحد فلهذا سَمِيناه «كتاب الألف».

وقد نجز الغرض من هذا الكتاب على قدر ما اقتضاه محل المخاطب به حين سأل واللّه أعلم، والحمد لله رب العالمين.

تَمَّ كتاب الأحذية وهو كتاب الألف.

كتاب أيام الشأن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

الحمد لله العلي الشأن، العظيم السلطان، الذي هو؛ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١) المدلول على ذلك بـ ﴿سَفَرُكُمْ إِلَيْهِ الْفَلَاحُ﴾^(٢) عَيْنَ الأيام بالحركة المحيطة؛ فتعينت. وأوجد فيها ما تحت تلك الحركة من الأدوار والأكوار فظهرت أعيانها وثبتت، وأظهر في تلك الأكر بحكم الأدوار، وجود الليل والنهار فتحكمت روحانياتها في الأركان، وتمكنت، وأفشت هذه الأركان لتحكيم هذا الدور الزمان ما كان منه كتمه من التكوينات، وأعلنت، فبرزت المولدات على قدر الاستعدادات وتكونت، فتاهت الأرواح السيارة الحاكمة حين تسلطت، وأثبتت بالأرض الأريضة في يوم الأحد السعيد عند نزول الشمس بيت شرفها فاهتزت لالتحامها وزبث حملها، وتحسنت بما وضعته من حملها وأزيت.

فسبحان مستخر الأيام ومُنزَّل الأحكام، لا إله إلا هو العليّ العلام، وصلى الله على من كان يومه المعروف، ويومه المشهود المؤثر الثلاثاء، ويومه المخصوص بذاته الجمعة، وله في كل يوم دقائق، وعلى كل ساعة دقائق، صلاة تامة، وسلاماً دائماً ما انفرد عن جميع الخلائق بأحسن الخلائق.

أما بعد

فهذا كتاب سؤيته: «كتاب أيام الشأن».

وهو: ما يحدث في أصغر يوم في العالم من الآثار الإلهية والانفعالات من تركيب،

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية رقم (٢٩).

(٢) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية رقم (٣١).

وتحليل، وتصعيد، وتنزيل، وإيجاد، وشهادة. وكنتي عزّ وجلّ عن هذا اليوم الصغير باليوم المعروف في العامة فوسّع في العبارة من أجل فهم المخاطبين.

فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١)، ثم تلاه، جلّ ثناؤه، بقوله: ﴿سَنُرَئِيكَ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾^(٢). فهو يفرغ لنا ميّثاً، لأننا المقصودون من العالم لا غير. فنحن روح العالم المنفوخ فيه بالنفخة الإلهية. فالعالم جسم سواه الله وحسن خلقه، وأكمل نشأته الظلمانية، ثم نفخ فيه روحاً من روحه، فانفتق رتقه، واستنار وجوده، وانطردت ظلمته فنفق بالثناء والحمد.

فنحن الخلفاء، فلنا دارت الأفلاك، وبنا تنزلت الروحانيات والأملاك، فكل يوم هو ميّثا سبحانه في شأن، فالشأن مسألة السائلين. فإنه ما من موجود إلّا وهو تعالى سائله. لكن هم على مراتب في السؤال.

فأمّا الذين لم يوجههم الله عن سبب، فإنهم يسألونه بلا حجاب لأنهم لا يعرفون سواه علماً وغيباً. ومنهم من أوجده الله تعالى عند سبب يتقدّمه، وهو أكثر العالم. وهم في سؤاله على قسمين:

منهم: من لم يقف على سبب أصلاً، ولا عرج عليه، وفهم من سببه أنه يدلّه على ربّه لا على نفسه.

فسؤال هذا الصنف كسؤال الأول، بغير حجاب.

ومنهم: من وقف على سببه، وهم على قسمين:

أولاً: منهم من عرف أن هذا سبب قد نصّبه الحق، وأن وراءه مطلباً آخر فوقه، وهو المسبب له. ولكن ما تمكنت قدمه في درج المعرفة لموجد السبب فلا يسأله إلّا بالسبب لأنه أقوى.

ثانياً: ومنهم من لم يعرف أن خلف السبب مطلباً، ولا أن ثمّ سبباً. فالسبب عنده نفس المسبب. فهذا جاهل. فشغل السبب فيما يضطر إليه، لأنه تحقق عنده أنه ربه، فما سأل إلّا الله. لأنه لو لم يعتقد فيه القدرة على ما سأله فيه لما عبّده. وذلك لا يكون إلّا لله فما سأل إلّا الله.

ومن هذا المقام يجيبه الحق على سؤاله، لأنه المسؤول، ولكن بهذه المثابة فعلى هذا هو

(١) انظر الآية قبل السابقة.

(٢) انظر الآية قبل السابقة.

المسؤول بكل وجه، وبكل لسان، وعلى كل حال المشهود له بالقدرة المطلقة النافذة في كل شيء.

فما من جوهر فرد في العالم إلا وهو سائله سبحانه في كل لحظة، وأدق من اللحظة، لكون العالم في كل لطيفة ودقيقة مفتقراً إليه، ومحتاجاً أولها في حفظه لبقاء عينه، ومشتك الوجود عليه بخلق ما به بقاءه، وليس من شرط السؤال هنا بالأصوات فقط، وإنما السؤال من كل عالم بحسب ما يليق به ويقتضيه أفقه، وحركة فلكه، ومرتبته.

وقد قال فيما شرف سليمان عليه السلام به أنه علمه منطق الطير^(١)، فعرف لغتها، وتبسم ضاحكاً من: قول النملة: ﴿أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾^(٢).

وقال الهدهد: ﴿أَحْطَطُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾^(٣).

وقالت السموات والأرض: ﴿أَلَيْنَا طَلَامِينَ﴾^(٤).

وأبت السموات والأرض والجبال حمل الأمانة، وأشفقن منها.

وفي صحيح الأخبار: (ما من دابة إلا وهي مصخية يوم الجمعة شفقاً من عذاب الساعة)^(٥).

(١) في قوله تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام: ﴿وَرَبِّتْ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَابُهَا النَّاسُ عَلَيْنَا مَنَظِقَ الظَّيْرِ وَأَوْرَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَمُرُ الْقَضَلِ الشَّيْنِ﴾.

وهي الآية رقم (١٦) من سورة النحل.

(٢) في قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا أَتَا عَلَىٰ ذَاكَ النَّفْثُ فَأَلَّتْ زَنَبَهُ نَمْلَةً يَتَابُهَا النَّفْثُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِئُكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُودُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١) فَنَبَسَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ بِنِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْلِمَ صَلَاةَكَ وَقَضَنَةً وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْمُتَعَلِّقِينَ.

الآيات (١٨، ١٩) من سورة النمل.

(٣) القرآن الكريم، سورة النمل، الآية رقم (٢٢).

(٤) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية رقم (١١).

(٥) حديث: (ما من دابة إلا وهي مصخية يوم الجمعة...).

انظر ما أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه عن أبي لبابة بن عبد المنذر قال: قال رسول الله ﷺ:

(يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله... ما من ملك مقرب ولا أرض ولا سماء ولا رياح ولا جبال ولا بحر. إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة أن تقوم الساعة فيه).

انظر السيوطي: الدر المنثور ١٥٥/٨.

وكان ﷺ راكباً على بغلة فنفرت عند قبر لما سمعت عذاب صاحبه حتى كادت أن تلقيه.

وقال في وأُحد: (هذا جبل يُجَبُّنا ونُجَبُّه)^(١).

وسبَّح الحصى في كفه ﷺ^(٢). (وهذا حجرٌ يُسَلَّم عليّ)^(٣).

(ولا تقوم الساعة حتى يحدث الرجل فخذَه بما فعل أهله)^(٤). وقالت الجلود: ﴿أَنْطَقْنَا أَنَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥).

وقد أخبر تعالى أن الظلال، ومن في السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، وكثير من الناس، فما ترك شيئاً من العالم إلى درجة الإنسان إلا وقد أخبر عنه أنه يسجد لله. وقال: ﴿وَلَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٦).

ومعلوم أن ما هنا صوت معهود، ولا حرف من الحروف المعلومه عندنا. ولكن كلام

(١) حديث: (هذا جبل يجنبنا ونجبه).

رواه البزار. والطبراني عن ابن عيسى بن جبر.

انظر: السيوطي: جامع الأحاديث ٤٢٢/٩ حديث رقم ٤٤١٦/٣٣ ٤٤١٧/٧ حديث رقم (٢٤٣٢٣).

(٢) حديث: تسبَّح الحصى في كفه الشريف ﷺ قال أنس رضي الله عنه: (أخذ النبي ﷺ كفاً من حصى فسبَّح في يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح، ثم صبَّه من يد أبي بكر فسبَّح ثم في أيدينا فما سبَّح). أخرجه ابن عساكر في تاريخه، ورواية ابن عساكر عن سويد بن يزيد السلمي وله روايتان انظرهما في البداية والنهاية ١٥٢/٦.

وانظر: القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٤٢٧/١.

(٣) حديث: (وهذا حجر يُسَلَّم عليّ)، عن جابر بن سمرة عنه ﷺ قال: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلَّم عليّ) قيل: إنه الحجر الأسود، رواه مسلم وأحمد بن حنبل وعن عائشة رضي الله عنها: لما استقبلني جبريل بالرسالة، جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. رواه البزار في سننه، وانظر طبقات ابن سعد ١٠٢/١. وانظر القاضي عياض: الشفا بتعريف... ٤٢٨/١.

(٤) حديث: (لا تقوم الساعة حتى يحدث الرجل فخذَه بما فعل أهله)، رواه الترمذي في الفتن، (١٩). انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ٨٢/٥، باب الفاء.

(٥) القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية رقم (٢١).

(٦) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية رقم (٤٤).

كل جنس مما يشاكله، وعلى حسب ما يليق بشأنه، ويعطيه استعداد القبول الروحانية الإلهية السارية في كل موجود ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكَلَتِهِ﴾^(١).

فما من موجود بعد هذا إلّا ويتفق منه السؤال، فشأنه في كل دقيقة خلق السؤال في السائلين، وخلق الإجابة بقضاء الحاجات، وتنزل على أصحابها بحسب دورة الفلك، الذي يخلق منه الإجابة.

● فإن كان الفلك بعيداً: أعني؛ حركة التقدير التي بها تنزل على صاحبها بعد كذا وكذا حركة فتأخر الإجابة، وقد تتأخر للدار الآخرة بحسب حركتها.

● وإن كان فلكها قريباً: أعني؛ حركة التقدير التي خلقت الإجابة فيها ظهر الشيء في وقته أو يقرب.

ولهذا أخبر النبي ﷺ: أن كل دعوة مجابة.

لكن ليس من شرطها الإسراع في الوقت، فعنها المؤجل والمعجل بحسب الذي بلغ حركة التقدير.

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية رقم (٨٤).

حقيقة

واعلم أن الأيام وإن كثرت فإن الأحكام الفعلية، الذي هو الشأن يُقَلَّلُها إلى أن يردّها أسبوعاً لا غير. وتكرر هذه الأيام في الشهور كما يتكرر الليل والنهار في الأيام، وكما تتكرر الساعات في الليل والنهار، وكذلك الشهور في السنين والسنون في الدهور والأعصار. فالله لم يزل يجري في الأشياء على ما تعطيها الحقائق، وإن جَوَّزَ العقل خلافها فلقصوره، فإن الحقائق لا تتجلى إلا بالكشف الرباني، وأما بهذه الأدلة التي بأيدي النظار فما تعطي إلا النذر اليسير.

وقد، ربما، لا تحصل الثقة به، فللعقول حدٌ تقفُ عنده لا تتعداه، وهذه الأمور وراء طوره. حبشُة فيها التسليم، واللجوء إلى الله حتى يلقيها فيه ضرورة، أو يكشفها له عيناً، فالحق، سبحانه وتعالى، أبداً يعطف بالأعجاز على الصدور. فالأمر دوري لا يزال في الروحانيات والجسمانيات، ويحدث بينهما الأشكال العجيبة الغريبة.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْشُونِ الْقَدِيرِ﴾ (١).

فنهاري يكثر على ليل، وليل على نهار، وفلكٌ يدور، وخلقٌ يدور، وكلامٌ يدور، وحروفٌ تدور، وأسماءٌ تدور، ونعيمٌ يدور، وصيفٌ يدور، وشتاءٌ يدور، وخريفٌ يدور، وربيعٌ يدور، وسيارةٌ تدور ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٢). ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ (٣).

انظر إلى العرش على مائه
سفينه تجري بأسمائه

(١) القرآن الكريم، سورة يس، الآية رقم (٣٩).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية رقم (٢٩).

(٣) القرآن الكريم، سورة الواقعة، الآية رقم (٦٢).

واغْجَبْ لَهُ مِنْ مَزَكِبِ دَائِرِ
قَدْ أودع الخَلْقَ بِأَخْشَائِهِ
يُسَبِّحُ فِي بَخْرِ بِلَا سَاجِلِ
فِي جَنَدِ الْغَيْبِ وَظُلُمَائِهِ
وَمَرْجُهُ أَخْوَالُ عُشَّاقِهِ
وَرِيحُهُ أَنْفَاسُ أَنْبِيَائِهِ
فَلَوْ تَرَاهُ بِالْوَزَى سَائِرًا
مِنْ أَلْفِ الْخَطِّ إِلَى يَائِهِ
وَيَزْجِعُ الْعَزْدُ عَلَى بَذْئِهِ
وَلَا يَهْـلِكُ إِلَّا بِذَائِهِ
يُكَوِّرُ الصَّبْحَ عَلَى لَيْلِهِ
وَضُبْحُهُ يَفْتَنِي بِإِنْسَائِهِ
فَأَعْدَادُ تَدُورُ، وَحَرَكَاتُ تَكْرُرُ، فَسَبْحَانِ مَدِيرَهَا وَمَدِيرَهَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

بيان

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(١) مع قدرته على خلقه إياها دفعة واحدة، من غير تدريج. لكن القدرة لا تؤثر في القدر، وإنما أثرها في المقدور يشاهد القدر، فإن شهد بها القدر بالتأثير أثرت وإلا أمسكت عن إذن القدر لا عن نفسها فمن حكم القدر كونها في ستة أيام، فلا سبيل إلى عدول القدرة عما حكم به القدر ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾^(٢).

واليوم عندنا عبارة عن دورة واحدة من دورات فلك الكواكب الثابتة، الذي السموات والأرض في جوفه وتحت حيطته، وهو من النطح إلى النطح، ومن البطين إلى البطين، ومن الثريا إلى الثريا آخر المنازل، ومن درجة المنزلة ودقيقتها إلى درجتها ودقيقتها وأخفى من ذلك إلى أقصى ما يمكن الوقوف عنده، لكن أين ما تكون فيه هذه النكته الدرجات فنقول:

إنه ما من يوم من هذه الأيام المعروفة في العامة، وهو من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس، أو من غروبها إلى غروبها، أو من استوائها إلى استوائها، أو ما بين ذلك إلى ما بين ذلك على حسب صاحب اليوم. فما من يوم، قلنا، من هذه الأيام إلا وفيه نهاية ثلاث ومائة وستين يوماً. هذا موجود في كل يوم، ولهذا ما من يوم إلا ويصلح أن يتكون فيه كل ما يتكون في أيام السنة من أولها إلى آخرها. لأن فيه نهاية كل يوم من أيام السنة، ففيه حكم ذلك اليوم ولا بد.

لكنه يخفى من أجل أنه ما فيه منه إلا نهاية خاصة. فاليوم طوله ثلاث مائة وستون درجة، لأنه يظهر فيه الفلك كله، وتعمقه الحركة، وهذا هو اليوم الجسماني، وفيه يوم روحاني. فيه تأخذ العقول معارفها، والبصائر مشاهدتها، والأرواح أسرارها، كما تأخذ الأجسام، في هذا

(١) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية رقم (٣٨).

(٢) القرآن الكريم، سورة (ق)، الآية رقم (٢٩).

اليوم الجسماني، أغذيتها وزادتها، ونمّوها وصحّتها، وسقمها، وحياتها، وموتها.
فالأيام من جهة أحكامها الظاهرة في العالم المنبئة من القوة الفعالة للنفس الكلية سبعة: (الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، والسبت).
ولهذه الأيام أيام روحانية يعرفها العارفون. لها أحكام في الروح والعقول، تنبعث من القوة العلامة للحق الذي قامت به السموات والأرض، وهو الكلمة الإلهية.
وعلى هذه الأيام السبعة يكون الكلام في هذا الكتاب. فإنها هي التي تدور، ويدور الحكم بدورانها. ولما كانت هذه الأيام سبعة من جهة الحكم الظاهر فيها، لم يتمكن لنا إلا أن نثبتها كيف هي.

ما هي على ما تشهده، لأن المشهود إنما هو يوم واحد نهار وليل. وكونها سبعة تدور ليس بمشهود، ولهذا جعلناها على ترتيب الحكم، وهو أثبت في العلم.
فنقول: قال الله تعالى: ﴿يَكُونُ أَيْلٌ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ أَيْلٌ عَلَى اللَّيْلِ﴾^(١) فهذا هو المشهود من الأيام المحسوسة، ثم أبان الحق من طريق الحكم على حقيقتين بعدها.
فقال في الواحدة: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَيْلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾^(٢). فهذا قد أنبأ أن الليل أصل والنهار كان غيباً فيه، ثم سلخ كاندراج النور في الظلمة.

وليس معنى السلخ معنى التكوير. فقد عدل في هذه المرتبة عن اليوم المشهود عند العامة، فيتعين علينا أن نبين ليل كل نهار من غيره، حين ينسب كل ثوب إلى لابس، فيرد كل فرع إلى أصله ونلحق كل ابن بأبيه، فإنه: (ملعون من انتسب إلى غير أبيه)^(٣).

وقال تعالى في الإبانة عن الحقيقة الأخرى، وهي أقوى في الحكم: ﴿يُولِجُ أَيْلٌ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ أَيْلٌ فِي اللَّيْلِ﴾^(٤). فجعله نكاحاً معنوياً، لما كانت الأشياء تتولد فيهما معاً. وأكد هذا المعنى بقوله: ﴿يَغْنَى أَيْلٌ النَّهَارُ﴾^(٥). من قوله: ﴿فَلَمَّا تَشَنَّهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيّاً﴾^(٦). فأراد النكاح فكنى.

(١) القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية رقم (٥).

(٢) القرآن الكريم، سورة يس، الآية رقم (٣٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية رقم (٦١).

(٥) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية رقم (٣).

(٦) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية رقم (١٨٩).

ولهذا كان كل واحد مولج مولج فيه. فكل واحد منهما لصاحبه أهل ويعمل. فكل ما تولد في النهار فأثمه النهار، وأبوه الليل، وكل ما تولد في الليل فأثمه الليل وأبوه النهار.

فليس إذن حكم الإيلاج حكم السلخ، إنما هو في وقت أن يرجع النهار من كونه مولجاً ومولجاً فيه. والليل كذلك إلا أنه ذكر السلخ الواحد، ولم يذكر السلخ الآخر. من أجل الظاهر والباطن، والغيب والشهادة، والروح والجسم، والحرف والمعنى، وشبه ذلك. فالإيلاج روح كُله، والتكوير جسم هذا الروح الإيلاجي. ولهذا كُور الليل والنهار في الإيلاج، كما كُورها في التكوير. هذا في عالم الجسم، وهذا في عالم الأرواح.

فتكوير النهار لإيلاج الليل، وتكوير الليل لإيلاج النهار، وجاء السلخ واحداً للظاهر لأربابه، ولم يذكر السلخ الآخر لأنه معلوم فيه. ولولا ذلك التكوير ما كُوره وما احتاج الناظر إلى تكرار الإيلاج. لأنه لو لم يكن تكرر كل واحد منهما لتكرار كل واحد من الآخرين، لكان في الوجود روح بلا جسم، أو جسم بلا روح. وهذا لا يوجد أصلاً، فلا بدّ من تكرارهما.

إفصاح

فأقول: قال الله تعالى في اليوم المشهود في العامة، المعروف عند الكافة: ﴿يُكَوِّرُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى أَيْلٍ﴾^(١) فكان حساب العجم تقديم النهار على الليل، وزمانهم شمسي، فأبات بني إسرائيل ظاهرة. وكانت فيهم العجائب.

وقال في «بلعام بن باعوراء»^(٢): ﴿ءَاتَيْنَهُ ءَايِنُنَا فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾^(٣). فدلّ على أنها كانت عليه في الظاهر كالثوب. فإنه أعطى الحروف فكان يفعل بالخاصية لا بالصدق. فليلة السبت عندهم هي الليلة التي يكون في صبيحتها يوم الأحد، وكذا باقي أيام الجمعة، وكان حساب عامة العرب بتقديم الليل على النهار، وزمانهم قمري فأباتهم محوطة من ظواهرهم مصروقة إلى بواطنهم، واختصوا من بين سائر الأمم بالتجليات. وقيل فيهم: «كتب في قلوبهم» في مقابلة قوله: ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾.

فنحن على ما عندنا جادون، فالصدق لنا.

ولما كان في الخضر قوة غريبة للحوقه بنا، لهذا ما عثر صاحبه على الشئ، الذي منه حكم بما حكم. فليلة السبت عندنا هي الليلة التي يكون في صبيحتها السبت.

وعامتنا أعني الدول العربية أقرب إلى العلم من العجم فإنهم يعضدهم السلخ في هذا

(١) القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية رقم (٥).

(٢) بلعام بن باعوراء. ويقال ابن أبر ويقال ابن باعر بن شثوم بن قرشيم بن ماب بن لوط بن جران بن أزم. كان يسكن قرية من قرى البلقاء، وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم فأنسلخ من دينه، له ذكر في القرآن (راجع سورة الأعراف، الآيات ١٧٥ - ١٧٧). تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ١٠، ص ٢٩٦.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية رقم (١٧٥).

النظر، الذي عُولوا عليه غير أنهم لم يعرفوا الحكم فنسبوا الليلة إلى غير يومها، كما فعل أيضاً أصحاب الشمس. وذلك لأنهم لا يعرفون سوى أيام التكوير.

وأيام السلخ يعرفها العارفون. وأيام الإيلاج يعلمها العلماء الحكماء. وارثو الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين).

تتميم

قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَلَّيْلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾^(١).

اعلم أنه لما كانت الأيام شيئاً كان لها ظاهر وباطن، وغيب وشهادة، وروح وجسم، ومملك وملكوت، ولطيف وكثيف. فكان لليوم نهار وليل في مقابلة ظاهر وباطن. وهي سبعة أيام فلكل يوم نهار وليل من جنسه، وأن النهار هو ظل ذلك الليل وعلى صورته في الحكم، ولكن بالحقيقة.

فإن كل يوم مولج في أيام الأسبوع، كما قلنا إن الأيام الستة مولجة في اليوم الواحد فقد قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾^(٢). فيدخل هذا في هذا، وهذا في هذا. على ما سنذكره، إن شاء الله. وإنما جعلنا النهار ظلاً لليل لأن الليل هو الأصل، وكذلك الجسم هو الأصل، فإنه بعد التسوية انسلخ منه النهار عند النفخ فكان مدرجاً فيه من أجل الحجاب، فلما أحس بالنفخة الإلهية سارع إليها فظهر، فكان مسلوخاً منه. وقد تكلمنا في كتاب «الجلالة»^(٣) على شرف البصر الحسي على العقلي. وتضيق هذه الأوراق عن تبیین معنى تولد الروح، وقد ذكرنا هذا في «كتاب النشأة»^(٤)، وبيننا فيه أن الروح تولد كما يولد الجسم ورتبته تربية عجيبة فليُنظر هناك.

ولما قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَلَّيْلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾^(٥) لم يبين أي نهار سلخ من

(١) القرآن الكريم، سورة يس، الآية رقم (٣٧).

(٢) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية رقم (٦١).

(٣) كتاب هام من رسائل ابن عربي وقد طبع مرة أو مرتين بدون تحقيق ونحن نعدّه إن شاء الله ليطبع محققاً في المجلد السادس القادم إذا شاء المولى عز وجل.

المحقق

(٤) أيضاً من الرسائل الهامة التي ستضاف إلى قائمة المطبوعات من الرسائل القادمة.

(٥) القرآن الكريم، سورة يس، الآية رقم (٣٧).

آية ليلة، ولم يقل ليلة كذا سلخ منه نهار كذا، لكن أرسلها مجملة ليفصلها من ألهمه الله العلم بذلك من عباده إنه منعم كريم، وهذا هو فصل الخطاب.

والحكمة فصل الفصل. فكلأثنا في السلخ من باب فصل الخطاب. وكلأثنا في الإيلاج من باب الحكمة، التي هي فصل الفصل.

فأقول على مفهوم من اللسان العربي بالحساب القمري من تقديم الليل على النهار:

إن ليلة الأحد سلخ الله منها نهار الأربعاء. فالشأن الذي هو فيه في ليلة الأحد هو فيه في نهار الأربعاء. وسلخ من ليلة الاثنين نهار الخميس، والشأن كالشأن. وسلخ من ليلة الثلاثاء نهار الجمعة، والشأن هو الشأن، وسلخ من ليلة الأربعاء نهار السبت وشأن هذا شأن هذا. وسلخ من ليلة الخميس نهار الأحد، والشأن الشأن. وسلخ من ليلة الجمعة نهار الاثنين، والشأن الشأن. وسلخ من ليلة السبت نهار الثلاثاء، والشأن الذي يفعله في ليلة السبت يفعله في نهار الثلاثاء، وفرغ الأسبوع فجعل سبحانه بين كل ليلة ونهارها المسلوخ منها ثلاث ليالٍ، وثلاثة نهارات فكانت ستة. وهي نشأتك يا أخي ذات الجهات الست. فالليالي منها للتحث والشمال والخلف، والنهار منها للفوق واليمين والأمام، فلا يكون الإنسان نهاراً ونوراً تشرق شمس، وتشرق به أرضه حتى ينسلخ من ليلة شهوته، ولا يقبل على من لا يقبل الجهات، حتى ينتزّه عن جهات هيكله. كما بعد هذا النهار من ليله ثلاث ليالٍ وثلاثة نهارات.

وحيث أشرق، وظهر، وحكم، وشاهد، وشوهد. فمن أراد أن يتحقق فليُنظر فيما ذكرناه، ونبتها عليه نظر منصف، وإنما يشاهد النسبة من جهة الاشتراك بينهما في الشأن. والله قد ربط الفعل هكذا. والحكم لأول ساعة من الليل، ولأول ساعة من النهار. فنسب الليلة لوكيل الساعة الأولى منها، الذي وكله الله بها، وهو زوجها، وكذلك النهار. فلهذا نسبناه هذه النسبة.

تكملة

ولما استوفينا البيان في آية السلخ. فلنذكر الإيلاج. قال الله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(١).

واليوم عندنا أربع وعشرون ساعة. وإذا كان اليوم قد أخبر الله تعالى أنه فيه: «في شأن»، ولم يقل في شؤون، علمنا أن ساعاته تحت حكم واحد، وتحت نظر وإلى حاكم واحد. قد ولّاه الله وتولّاه، وخصّه بتلك الحركة، وجعله أميراً.

فيومنا الصحيح إنما هو ما تكون ساعاته كلها سواء. فإن اختلفت، فليس بيوم واحد. وطلبنا هذا من جهة الحكم في يوم السلخ، فلم نجده إلا قليلاً.

وأما يوم التكوير فبعيد من ذلك. فنظرنا يوم الإيلاج فوجدنا مطلوبنا فيه مستوفى، وأرسله الحق مطلقاً. ولم يقل يولج الليل الذي صبيحته الأحد في الأحد، ولا النهار الذي مساؤه ليلة الاثنين أولجه في ليلة الاثنين، فلا يلزم أن ليلة الأحد هي ليلة الكور، ولا ليلة السلخ، وإنما يطلب وحدانية اليوم من أجل أحدية الشأن. ولنقدم الليل، ونبني على ساعته الأولى وننظر حاكمها الذي ولّاه الله عليها، ما لها من ساعات تلك الليلة ونهارها إلى آخر الأسبوع. فإننا سنجد له أربعاً وعشرين ساعة فنجعلها يوماً كاملاً، وهو يوم الشأن، ثم نعدل إلى الليلة الأخرى حتى تكمل سبعة أيام مميزة بعضها من بعض مولجة بعضها في بعض. نهارها في لييلها، ولييلها في نهارها. بحكمة التوالد والتناسل، وذلك لسريان الحكم الواحد في الأيام ونمشيها على الساعات للتقريب، كما مشينا ما تقدم على درجات السنة ومن شاء أن يعلو إن عرف فليقل.

فأقول: على الأيام المعروفة عند العامة، وهي أيام التكوير ونبتدىء بيوم الأحد تبوكاً بالاسم، فإنه من صفات الحق، وله الأولية، وله القلب. فقد جمع الشرف من وجوه لا توجد

(١) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية رقم (٦١).

في غيره، ونبدأ بليله قبل نهاره، لأنني عربي بدري، وعلى ذلك الحساب عينه يكون المعجمي.

فاعلم: أن ليلة الأحد الإيلاجي مركبة من:

الساعة الأولى من ليلة الخميس، والثامنة منها.

والثالثة من يوم الخميس والعاشرة منها.

والخامسة من ليلة الجمعة والثانية عشرة منها.

والسابعة من يوم الجمعة.

والثانية من ليلة السبت والتاسعة منها.

والرابعة من يوم السبت، والحادية عشرة منها.

والسادسة من ليلة الأحد.

فهذه ساعات ليله.

وأما ساعات نهاره من أيام التكوير كما قلنا: فالساعة الأولى من يوم الأحد، من أيام التكوير، والثامنة منه.

والثالثة من ليلة الاثنين والعاشرة منه.

والخامسة من يوم الاثنين والثانية عشرة منه.

والسابعة من ليلة الثلاثاء والثانية من يوم الثلاثاء والتاسعة منه.

والرابعة من ليلة الأربعاء والحادية عشرة منها.

والسادسة من يوم الأربعاء.

فهذا يوم الأحد الإيلاجي الشأني قد كمل بأربع وعشرين ساعة كلها كنفس واحدة، لأنها من معدن واحد، فلا ينبعث فيه إلا معنى واحد. وتتنوع في الموجودات بحسب استعداداتها فتكثر بتكثر الأشخاص، وتتنوع بحسب الاستعدادات.

فإن في هذا اليوم يوحي الله إلى النفس الواحدة الكلية أن تحرك ركن النار لتسخين العالم، ثم يأمر سبحانه روحانية الفلك الرابع بمساعدتها، فيتحرك الأثر فيسخن العالم. فمن كان قابلاً للحرق احترق، ومن كان قابلاً للسخانة سخن، وكذلك أمر روحانية الفلك السابع بالمساعدة فساعدتها بنصف قوته، وساعدتها روحانية الفلك الخامس بقوتها، وساعدتها روحانية

الفلك السادس بنصف قوتها، وساعدتها روحانية الفلك الثاني بربع قوتها، ولم تكن لروحانية الفلك الأول والفلك الثالث هنا مساعدة.

وعن شأن هذا اليوم سرت الأرواح في الروحانيات والحركات في المتحركات، فهذا من شأن هذا اليوم الذي هو فيه.

وأما ليلة الاثنين الإيلاجي الشأني فمركبة من:

الساعة الأولى من ليلة الجمعة، والثامنة منها.

والثالثة من يوم الجمعة والعاشرة منه.

والخامسة من ليلة السبت والثانية عشرة منها.

والسابعة من يوم السبت.

والثانية من ليلة الأحد والتاسعة منها.

والرابعة من يوم الأحد، والحادية عشرة منه.

والسادسة من ليلة السبت.

فهذه ساعات ليلته من أيام التكوير.

وأما ساعات نهاره فمركبة من:

الساعة الأولى من يوم الاثنين والثامنة منه.

والثالثة من ليلة الثلاثاء والعاشرة منها.

والخامسة من يوم الثلاثاء والثانية عشرة منه.

والسابعة من ليلة الأربعاء.

والثانية من يوم الأربعاء والتاسعة منه.

والرابعة من ليلة الخميس والحادية عشرة منها.

والسادسة من يوم الخميس.

فهذه أربع وعشرون ساعة أبرزتها من أيام التكوير لظهور يوم الاثنين الإيلاجي فظهر والحمد لله.

والشأن فيه واحد، وهو أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى النفس الواحدة أن تمد المولودات بركن العصارات، وأمر لروحانية الأفلاك أن تساعدوا. منهم من هو تحت شأن هذا اليوم بوجهه كلها أو بوجه ما، فساعدوا الأول والثالث بكليته، وساعدوا الثاني بربعه، في هبوطه وربعه الثاني في سيره لهبوطه. وساعدوا السادس بنصف قوته في هبوطه، وكذلك السابع. ولم يساعدوا الرابع والخامس.

ومن شأن هذا اليوم ينمو كل جسم ويزيد، ومن شأن هذا اليوم هبوب الرياح الممطرات، ولا تقوى فيه الحركات.

وأما ليلة يوم الثلاثاء الإيلاجي الشائي. فمركبة من:

الساعة الأولى من ليلة السبت، والثامنة منها.

والثالثة من يوم السبت والعاشرة منه.

والخامسة من ليلة الأحد والثانية عشرة منها.

والسابعة من يوم الأحد.

والثانية من ليلة الاثنين والتاسعة منها.

والرابعة من يوم الاثنين والحادية عشرة منه.

والسادسة من ليلة الثلاثاء.

فهذه ساعات ليلته من أيام التكوير.

وأما ساعات نهاره فمركبة من:

الساعة الأولى من يوم الثلاثاء، والثامنة منه.

والثالثة من ليلة الأربعاء، والعاشرة منها.

والخامسة من يوم الأربعاء، والثانية عشرة منه.

والسابعة من ليلة الخميس والثانية من يوم الخميس، والتاسعة منه.

والرابعة من ليلة الجمعة، والحادية عشرة منها.

والسادسة من يوم الأحد.

كتاب أيام الشأن

فهذا يوم الثلاثاء قد أنشأه الله من ساعاته، التي كان الولوج مددها في الأيام السبعة. أيام التكوير. فمن حافظ عليها عرف الشأن الذي لله فيها، الذي أوحى الله به للنفس الواحدة فأرسلت قوتها الفعالة فظهر بلطف الأهوية السخيفات وساعدتها من الأرواح الفلكية عن أمر الحق، والحد الإلهي المشروع لهم في حقائقهم ما بينها وبين ذلك ومناسبه إنا من جميع الوجوه أو من وجه، أو من وجهين.

فأما الأول والثالث فلا مساعدة لهما هنا. وأما السابع فساعدتها بنصف قوته في أوجه، وكذلك السادس. وساعدها الرابع بقواه كلها، وساعدها بربع قوته من أوجه، وبربعها في صعوده.

ومن أحكام شأن هذا اليوم الحميات، وانتشار الغضب، والفتن، وأشياء من هذا الفن. هذا شأنها. والغرض الاختصار.

فإننا قد استوفينا هذه الشؤون في كتاب «الجداول والدوائر» مضروب الأشكال.

وأما ليلة الأربعاء الإيلاجي فمرکبة من:

الساعة الأولى من ليلة الأحد، والثامنة منها.

والثالثة من يوم الأحد، والعاشرة منه.

والخامسة من ليلة الاثنين والثانية عشرة منها.

والسابعة من يوم الاثنين والثانية من ليلة الثلاثاء والتاسعة منها.

والرابعة من يوم الثلاثاء والحادية عشرة منه.

والسادسة من ليلة الأربعاء.

فهذه ساعات ليله.

وأما ساعات نهاره فمرکبة من:

الساعة الأولى من يوم الأربعاء، من أيام التكوير والثامنة منه.

والثالثة من ليلة الخميس والعاشرة منها.

والخامسة من يوم الخميس والثانية عشرة منه.

والسابعة من ليلة الجمعة والثانية من يوم الجمعة والتاسعة منها.

والرابعة من ليلة السبت والحادية عشرة منها.

والسادسة من يوم السبت.

فهذا يوم الأربعاء، قد استوفينا ساعاته من أيام التكوير.

ثم الشأن الكلي الذي فيه تمزيج البخار الرطب بالبخار اليابس أمر الله تعالى النفس بهذا التمزيج، وأمر لروحانيات الأفلاك أن تساعدوا بما فيها من القوة المناسبة لروحانية هذا. فما بقيت روحانية في فلك إلا ساعدت. ويتتني على هذا علم كثير.

وأما ليلة الخميس الإيلاجي الشائي فمرکبة من:

الساعة الأولى من ليلة الاثنين والثامنة منها.

والثالثة من يوم الاثنين والعاشرة منه.

والخامسة من ليلة الثلاثاء، والثانية عشرة منها.

والسابعة من يوم الثلاثاء.

والثانية من ليلة الأربعاء، والتاسعة منها.

والرابعة من يوم الأربعاء، والحادية عشرة منه.

والسادسة من ليلة الخميس.

وأما نهاؤه فمرکبة ساعاته من:

الساعة الأولى من يوم الخميس من أيام التكوير، والثامنة منه.

والثالثة من ليلة الجمعة، والعاشرة منها.

والخامسة من يوم الجمعة، والثانية عشرة منه.

والسابعة من ليلة السبت، والثانية من يوم السبت والتاسعة منه.

والرابعة من ليلة الأحد، والحادية عشرة منها.

والسادسة من يوم الأحد.

فهذا يوم الخميس قد تممنا نشأته من ساعات أيام التكوير.

والشأن الإلهي فيه السيلان والتحليل. أمر الله تعالى روحانيات الأفلاك بمساعدة النفس

كتاب أيام الشأن

في هذا الشأن. فساعدها الفلك الأول بنصف قوته، وكذلك جميع روحانيات الأفلاك ساعدها بنصف قواهم إلا الفلك السابع، وأما السادس فساعد بقوته كلها.

وإذا تقرب العشاق الذي حنوا في هواهم إلى هيكل هذا اليوم بما يليق به من الدعوات والصدقات، ويلجأون فيه إلى الله، فالشأن بزه. وتحليل ما يعقد من أمره. وقد ذكرنا هذا في «كتاب الهياكل»^(١). وثم تكلمنا في شأن هذه الأيام على الاستيفاء، وهو كتاب شريف.

وأما ليلة الجمعة فمرکبة من:

الساعة الأولى من ليلة الثلاثاء، والثامنة منها.

والثالثة من يوم الثلاثاء، والعاشرة منه.

والخامسة من ليلة الأربعاء، والثانية عشرة منها.

والسابعة من يوم الأربعاء.

والثانية من ليلة الخميس، والتاسعة منها.

والرابعة من يوم الخميس، والحادية عشرة منه.

والسادسة من ليلة الجمعة.

وأما ساعات نهاره فمؤلفة من:

الساعة الأولى من يوم الجمعة، والثامنة منه.

والثالثة من ليلة السبت، والعاشرة منها.

والخامسة من يوم السبت، والثانية عشرة منه.

والسابعة من ليلة الأحد، والثانية من يوم الأحد، والتاسعة منه.

والرابعة من ليلة الاثنين، والحادية عشرة منها.

والسادسة من يوم الاثنين.

فبهذا قد كمل يوم الجمعة.

(١) كتاب (الهياكل) لا يزال مخطوطاً لم يطبع بعد وستعده للنشر ضمن هذه السلسلة من الرسائل إن شاء الله.

والشأن في هذا اليوم تقطير ما رطب من ركن البخار بمساعدة روحانية الفلك الثالث والأول للنفس الكلية عن القول الإلهي بقوتيهما وساعدها الثاني بنصف قوته في هبوطه، وكذلك السادس والسابع.

وقصدنا الشأن الواحد الأصلي في كل يوم وعنه تكون الشؤون. لكن بالقول الإلهي، وتوجه الإرادة، لا بمباشرة ولا معالجة، ولا محاولة، بل كما أخبر عن نفسه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

فالقول يتوجه، والمراد يتكون. فسبحان العليم القدير.

وأما ليلة السبت، وهي آخر أيام الأسبوع فمركبة ساعاتها من:

الساعة الأولى من ليلة الأربعاء، والثامنة منها.

والثالثة من يوم الأربعاء، والعاشرة منه.

والخامسة من ليلة الخميس، والثانية عشرة منها.

والسابعة من يوم الخميس.

والثانية من ليلة الجمعة والتاسعة منها.

والرابعة من يوم الجمعة، والحادية عشرة منه.

والسادسة من ليلة السبت.

وأما نهاره فمؤلفة ساعاته من:

الساعة الأولى من يوم السبت من أيام التكوير، والثامنة منه.

والثالثة من ليلة الأحد، والعاشرة منها.

والخامسة من يوم الأحد، والثانية عشرة منه.

والسابعة من ليلة الاثنين.

والثانية من يوم الاثنين، والتاسعة منه.

والرابعة من ليلة الثلاثاء، والحادية عشرة منها.

(١) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية رقم (٤٠).

والسادسة من يوم الثلاثاء.

فهذا يوم السبت الإيلاجي قد كملت بنيته.

والشأن الإلهي حفظ بقاء صور العالم، وإمساكها وتكوينها بمساعدة قوة روحانية الفلك السابع للنفس المأمورة بذلك، والموَكَّلة به. ونصف قوى روحانيات الأفلاك إلّا الفلك السادس. وقد انتهت المقالة في تعيين آية الشأن وفي الشأن الجامع للشؤون.

والحمد لله

لاحقة

لا زال الخالق، سبحانه، في شأن. فلا تزال هذه الأيام دائمة أبداً. ولا يزال الأثر والفعل والانفعال في الدنيا والآخرة، وقد أثبت الحق تعالى دوام هذه الأيام، فقال: ﴿خَلْقَ الَّذِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١) وخلودهم لا يزال، هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار. والسموات والأرض لا تزال، والأيام دائمة لا تزال. فمن مقعر تلك الكواكب الثابتة إلى المركز نازلاً لا تزال الأيام دائرة فيها أبداً بالتكوين. ﴿كُلَّمَا نَفِخَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(٢).

فالكون والفساد فيها دائم مستمر، والتسعة عشر عليها طالعة، وغاربة ومقعر هذا الفلك هو سقف النار، نعوذ بالله منه، وسطح هذا الفلك هو أرض الجنة، والعرش سقفها، وهو روح هذه الأيام، كما قد ذكرنا في أول الجزء أن لها أرواحاً. فتكون في الجنة أيام بحركة هذا الفلك بعينه، وهي الأيام المعلومة الدنياوية، المشهودة بالشمس فهو في الجنان بعلامات مقدرة يعرف بها الأوقات، ويعرف بها نتاج أعمال الكائنات في أوقات أيام الدنيا. قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٣).

والكون لا يزال في الجنة محسوساً مشاهداً، لأنها محسوسة والاستحالات فيها من لذة إلى لذة، ومن نعيم إلى نعيم متجدد ﴿وَأَتَوْنَا بِهِمْ مُمْتَنِّينَ﴾^(٤). والتغيير فيها من صورة إلى صورة، من حسن إلى أحسن، ومن جمال إلى أجمل، ومن كمال إلى أكمل، وذلك لما أودع الله من الأسرار في هذه الحركة الفلكية. ورتب فيها من الحكم والآيات والأخبار، يقصد ما ذهبنا إليه، مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّوا وَاشْرَبُوا﴾^(٥).

(١) القرآن الكريم، سورة هود، الآية رقم (١٠٧).

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية رقم (٥٦).

(٣) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية رقم (٦٢).

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (٢٥).

(٥) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (٦٠).

ومن أكل شيئاً فقد أزال نظم ذلك، وأحاله عن صورته إلى صورة أخرى، وهذا هو المعبر عنه بالفساد في الاصطلاح.

وأما نحن فنفر من هذه اللفظة، ومن لفظة التغيير إلى التحويل، وإلى التحليل والتركيب. فما استحال عينه كان تحويلاً، وما تغير وصفه كان تحليلاً أو تركيباً. وقد يتجوز في التحويل إلى بقاء العين وتغيير الوصف. ومما يعضدنا من الأخبار الصحيحة عن الرسول ﷺ: (إن ما يأكلونه أهل الجنة لا يتغوطونه ولا يبولونه، ولكن هو عرق يخرج من أعراضهم أفوح من المسك)^(١).

وأين التفاحة ولحم الطير من العرق، فهذا تغيير وتكوين في الجنة. فإن العرق تكون. ولحم الطير بالأكل تغير واستحال، وكذلك التنوع في الصور، التي يدخل فيها في سوق الجنة مثل تنوع الأحوال علينا اليوم في بواطننا.

ولا بدّ عند المحققين للعالم من هذا التحويل للمقام الإلهي الذي يعطيه منها قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٢). فهذا تحوّل من صورة إلى صورة، ومن أمر إلى أمر. وكما قال النبي ﷺ إذا تعوذت طائفة من الله عندما يتجلى لها في غير الصورة التي تعرفه فيها أنه يتحوّل لهم في الصورة التي يعرفون. فالتحوّل سائر في العالم لا بدّ منه. وتجسد الروحانيات النارية والنورية غير منكور عندنا فالتنوعات والتبدلات ينبغي للعاقل أن لا ينكرها، وأهل الشأن الذي هو الله فيه في كل يوم إلّا في مثل هذا.

فإن لله في حق كل موجود في العالم شأنًا فانظر في هذا التوسّع الإلهي ما أعظمه. فقد تبين أن الأيام لا تزال أبدًا، والشأن لا يزال أبدًا. فإن الفعل لا يزال أبدًا. فلا بدّ أن يكون الانفعال لا يزال وفي قوله: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾^(٣) ترتيب الفعل. ويكفي هذا القدر في الأيام فإن فيه غنية وأما يوم المثل الذي هو من سبعة آلاف سنة، ويوم الرب الذي هو من ألف سنة، ويوم معارج الهو، الذي هو خمسين ألف سنة. ويوم «القمر» الذي هو من ثمانية

(١) حديث: (إن ما يأكلونه أهل الجنة...). رواه مسلم في الجنة، (١٩، ١٨)، ورواه الدارمي في الرقاق، ١٠٤، ورواه أحمد بن حنبل، ٣/٣١٦، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٦٤، ٣٨٤.

انظر: المعجم المفهرس، ٥/٢٣، ٢٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية رقم (٢٩).

(٣) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية رقم (٣١).

وعشرين يوماً. ويوم «الشمس» الذي هو ثلاثمائة وستين يوماً سنة كاملة. ويوم «زحل» على التقريب، الذي هو من ثلاثين سنة. وكذلك سائر السيارة من السبعة.

ويوم «الحمل» الذي هو من اثني عشر ألف سنة. وكذلك سائر أيام البروج، الذي هو عمر الدهر. ويوم «السنبله»، ونحن على آخر اليوم. وأول «الميزان»، وهو من ستة آلاف سنة. فمذكور هذا كله في الفتوحات المكية فلينظر هناك، فإن هذه العجالة لا تحتملها لضيق الوقت.

والله ينفعنا بالعلم

ويؤيدنا بالعين

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

كتاب الفناء في المشاهدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قَدَّرَ وقضى، وحكم فأَمْضَى، ورضي وأَرْضَى، وتقدَّسَ عظمه وجلالاً؛ أن يكون عوضاً لما تنزَّه، أو يكون جوهرًا أو عرضاً.

وطَهَّرَ قلوب من اختار من عباده فلم يجعل بها من علل الشكوك والشُّبُه مَرَضًا، ولا نصيبهم لسهام المجادلة والمخاصمة غرضاً.

أضياء لهم بذات الإضا حسام الهدى المنتضى، فضايق بهم الفضا، فمنهم من ليس ونضاً، ومنهم الجعافير والإضا، فمن ليس ثوبه جعل ما منحه قَرَضًا، ومن نضاً ثوبه قلب عين سنته قَرَضًا، فعرضهم لمباهاة الملاء الأعلى عَرَضًا، وحَكَمَهم في العالم العلوي والسُّفلي فأورثهم سماءً وأَرْضًا، فهم يقطعونها بقدم القدم طولاً وعَرَضًا، ويتحكمون في قواعدهم لإبراماً ونقضا.

والصلاة على من قيل له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضًا﴾^(١). فتميز بهذا المقام عَمَّن قال: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(٢). صلاة دائمة بلسان القدم، فلا يجوز عليها انقضا، وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالِرِّضَا، وعلى إخوانه المصدِّقين به من المقام العلي المرتضى.

أما بعد

فإن الحقيقة الإلهية تتعالى أن تُشْهَدَ بالعين التي ينبغي لها أن تشهد، وللكون أثر في عَيْن المشاهد، فإذا فني ما لم يكن وهو فاني، ويبقى من لم يزل وهو باقي، حينئذٍ تطلع شمس البرهان لإدراك العيان، فيقع التنزه المطلق المحقق في الجمال المطلق. وذلك عين الجمع والوجود، ومقام السكون والجمود، فترى العدد واحداً، لكن له سَيِّرٌ في المراتب، فيظهر بسيره أعيان الأعداد. ومن هذا المقام زَلَّ القائل بالاتحاد. فإنه رأى مشي

(١) القرآن الكريم، سورة الضحى، الآية رقم (٥).

(٢) القرآن الكريم، سورة طه، الآية رقم (٨٤).

الواحد المراتب الوهمية فتختلف عليه الأسماء باختلاف المراتب. فلم يرَ العدد سوى الأحد فقال بالاتحاد. فإذا ظهر باسمه لم يظهر بذاته، فيما عدا مرتبته الخاصة، وهي الوجدانية. ومهما ظهر في غيرها من المراتب بذاته لم يظهر اسمه.

وسُئِلَ في تلك المرتبة بما تعطيه حقيقة تلك المرتبة، فباسمه يفنى، وبذاته يبقى.

فإذا قلت: الواحد. فني ما سواه بحقيقة هذا الاسم.

وإذا قلت: اثنان. ظهر عينها بوجود ذات الواحد في هذه المرتبة لا باسمه. وإن اسمه يناقض وجود هذه المرتبة، لا ذاته.

وهذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره على أكثر الخلق لما فيه من العلوّ. فغوره بعيد، والتلف فيه قريب، فإن من لا معرفة له بالحقائق، ولا بامتداد الرقائق ويقف على هذا المشهد من لسان صاحبه المتحقق به، وهو لم يذقه ربما قال:

أَنَا مِنْ أَهْوَى وَمِنْ أَهْوَى أَنَا^(١)
فلهذا نَشْرُهُ، وَنُكْثُمُهُ.

وقد كان «الحسن البصري»^(٢) رحمه الله، إذا أراد أن يتكلّم في مثل هذه الأسرار، التي لا ينبغي، لمن ليس من طريقها، أن يقف عليها. دعا به «فرقد السبخي»^(٣) و«مالك بن دينار»^(٤)

(١) هذا البيت للحلاج انظره في ديوانه.

(٢) (الحسن البصري): الإمام المعروف ربيب بيت النبوة، حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن، نيز فضول الدنيا وطمع فيما عند الله. فقال بعض الأولياء ليلة موته كأن منادياً ينادي: ألا إن الحسن البصري قدّم على الله وهو عنه راضٍ، توفي سنة ١١٠هـ.

انظر ترجمته في المناوي: الكواكب الدرية، ١٨١/١، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٦٣/٢. ابن قتيبة: المعارف، ٤٤٠. ابن العماد: شذرات الذهب، ١٣٦/١. أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٣١/٢.

(٣) (فرقد السبخي) الثعريض عن الغاني، الوفّي، المقليل على الآتي البهي. من كلامه: ويَلْ لذي البطن من بطنه إن أضاعه ضعف وإن أشبعه ثقل. وسُئِلَ بالسبخي نسبة إلى (سبخة) بالبصرة أو الكوفة. توفي رحمه الله سنة ١٣١هـ.

انظر ترجمته في المناوي: الكواكب الدرية، ٢٦٦/١. الشعراني: الطبقات، ٥٧/١. ابن العماد: شذرات الذهب، ١٨١/١. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٦٢/٨.

(٤) (مالك بن دينار) أبو يحيى مالك بن دينار الناجي التاهبي، من البصرة، كان يكسب قوت يومه من نسخ وكتابة القرآن الكريم. توفي رحمه الله سنة ١٢٧هـ.

ومن حضر من أهل هذا الذوق، وأغلق بابه دون الناس، وقعد يتحدث معهم في مثل هذا الفن. فلولا وجوب كتبه ما فعل هذا.

وكذا أبو هريرة^(١) رضي الله عنه فيما ذكره البخاري في صحيحه: (حملت عن النبي ﷺ جرايين. فأما الواحد فشئتُ فيكم. وأما الآخر فلو بشئتُ لقطع مِنِّي هذا العلوم).

وقال ابن عباس^(٢) رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَنْزَارُ بَيْنَهُنَّ﴾ لو ذكرت تفسيره لرجتموني، ولقلتُ إنِّي كافر.

وعن «علي بن أبي طالب»^(٣) رضي الله عنه: (ضرب بيده إلى صدره، ويقول: إن ها هنا لعلومًا جمّة لو وَجَدْتُ لها حَمَلَة).

وقال (عليه الصلاة والسلام): (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقع في صدره)^(٤).

ولم يَرِ ما ذلك الشيء، فكتبه عليه، وليس كل علم يلزم به للعالم تبيينه.

وقال النبي ﷺ: (خاطبوا الناس على قدر عقولهم)^(٥).

= انظر ترجمته في سزكين: تاريخ التراث العربي، ٩٩/٤/١. المناوي: الكواكب الدرية، ٢٧٧/١. ابن قتيبة: المعارف، ٤٧٠. أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣٥٧/٢.

(١) (أبو هريرة) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني كتبه رسول الله ﷺ بأبي هريرة. من كبار الصحابة الذي روى عن سيدنا رسول الله ﷺ وبلغت مروياته (٥٣٧٤) حديثاً. حتى قيل عنه: أحفظ من روى الحديث، ﷺ. توفي سنة ٥٨ هـ وقيل: سنة ٥٩ هـ.

انظر ترجمته في الذهبي: مختصر دول الإسلام، ٤٢/١. ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات، ٧١. المزي: تهذيب الكمال، ٩٠/٢٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ١١١/٨/٤. ابن قتيبة: المعارف، ٢٧٧.

(٢) (ابن عباس) ستجد له ترجمة داخل هذا المجلد.

(٣) (علي بن أبي طالب) الخليفة القرشي ابن عم النبي ﷺ، باب مدينة العلم والمواهب، ولي المتقين وإمام العادلين، معروف وقصته شهيرة ومناقبه أكثر من أن تحصى، قتل سنة ٤٠ هـ.

انظر المناوي: الكواكب الدرية، ٦٩/١. ابن حجر: الإصابة، ترجمة رقم (٥٦٩٠). ابن الجوزي: صفة الصفوة، ١١٨/١.

(٤) حديث: (ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة....)، انظر المحب الطبري: العشرة المبشرون بالجنة، الجزء الأول كله.

(٥) حديث: (خاطبوا الناس على قدر عقولهم)، انظر ما قاله سيدي أحمد التجاني عن هذا الحديث في كتابه (جواهر المعاني).

فينبغي لمن وقع في يده كتاب في علم لا يعرفه، ولا سَلَكَ طريقه لا يبدي فيه ولا يُعيد، ويردّه إلى أهله، ولا يؤمن به، ولا يكفر، ولا يخوض فيه أَلْبَتَّة. (رَبُّ حَامِل فَهْ لَيْسَ بِفَقِيهِ) ^(١). ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ ^(٢).

فقد ورد فيهم الذم حيث تكلموا فيما لم يسلكوا طريقه. وإنما شُفْنَا هذا كله لأن كتب أهل طريقنا مشحونة بهذه الأسرار ويتسلطون عليها (أهل الأفكار) بأفكارهم، وأهل الظاهر بأول احتمالات الكلام فيقعون فيهم. ولو سُئلوا عن مجرد اصطلاح القوم الذي تواطؤوا عليه في عباراتهم ما عرفوه، فكيف ينبغي لهم أن يتكلموا فيما لم يحكموا أصله.

وربما قالوا إذا عاينتهم يتكلمون بمواجيدهم مع أصحابهم دين مكتوم، دين مشوم. وما عرفوا جهات الدين. وهؤلاء ما تكتموا بالدين فقط، وإنما تكتموا بنتائجه، وما وهبهم الحق تعالى في طاعته حين أطاعوه، وبما صُحِّ عندهم من أحاديث الأحكام، ما اتفق على ضعفه، وتجريح نقله. وهم أخذوه من الكشف عن قائله صحيحاً، فتعبد به أنفسهم على غير ما تقرّر عند علماء الرسوم فينسبونهم إلى الخروج عن الدين. وما أنصفوا.

فإن للحق وجوهاً يوصل إليه منها، هذا أحدها. ورُبَّ حديث قد صَحَّحوه، واتفقوا عليه، وليس بصحيح عندهم من طريق الكشف، ويتركون العمل به. مثل ذلك سواء. فما أحسن من سَلَم، واستسلم، واشتغل بنفسه حتى يفارق موطنه بموطنه، فذلك السعيد الفائز بحقائق الوجود. فالساترون لهذه الأسرار في ألفاظ اصطلاحوا عليها غير من الأجانب، والقاتلون بوجود الآثار بالهمم، لا يزالون مقيمين على مناهجهم حتى يلوح لهم أعلام بأيدي الروحانيات العلى؛ القائمين بالمرتبة الزلفى من مقام الفهوانية فيها كُتِبَ مرقومة مقدّسة تقوم لهم شواهد على تحقيق ما هم عليه وتعظيم الانتقال عن هذا الوصف إلى وصف آخر انتقالاً مَيَّزها فينتهك ستر الساتر، فيكشف ما ستر، ويفك مُعَمَّاه، ويحل قفله ويفتح مغالقه، ويتحدّ همّ ذلك الآخر بمطالعة الحقيقة الأحدية فلا يرى إلّا هُتاً واحداً لا غير، عنه تكون الآثار على الحقيقة.

فتارة تكون عنه تحويراً، وتارة تكون عنه عند تَكُون هذه الهمم عنه فهو المتوجّه إليه بكل وجه، وإن لم يعلم. والمطلوب بكل هم، وإن لم يوصل إليه. والمنطوق به في كل لسان وإن لم ينقال. فما أشدها من حيرة، وما أعظمها من حسرة. إذا كُشِف الغطاء، واتحد البصر،

(١) حديث: (رَبُّ حَامِل فَهْ لَيْسَ بِفَقِيهِ)، رواه الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنه، وفيه زيادة.

انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ٢١٠/٤، حديث رقم (١٢٤٤٠).

(٢) القرآن الكريم، سورة يونس، الآية رقم (٣٩).

وجمع الشمس والقمر، وظهر المؤثر في الأثر، وأدرك بعين البصر وتحول لهم في الصور، ووقع المكر بمن مكر، وريح من آمن وخسر من كفر.

وجاء الخطاب الإلهي باللسان الأقدس، المترجم عنه بعبارة الإخلاص، فمن استخلص عبادته من يد جزاء، وكان حنيفي المذهب قريب المذهب فقد وقى بامتنال الأمر، وكان من عالم النور لا من عالم الأجر. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١). ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(٢). ﴿نُورُهُمْ يَتَعَٰلَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣).

فيقول: أنا ربكم. فيتبعونه. فالجزاء عند المحققين مصروف إلى الله، لا يتمكن عندهم طلب منه لضيق الوقت، والشغل به تعالى أكد عليهم. فمن فاته حظّه من الله فذلك الخاسر. والعمل الذي هو سبب له من إقامة فرض أو سُنة يطلب ثوابه بحاله فلا تشغل نفسك به. فإن حركة الأبدان لا بدّ لها من نتائجها المحسوسة. فلا تسأل ما تعطيتها الحركات بذاتها فيضيع وقتك عليك. كما أن الحق سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٤).

فاليوم الزمن الفرد، وشأنه في حقك فإنه لك يوجد ويكون، لا لنفسه لنزاهته عن الأغراض، أو يعود عليه من خلقه ما لم يكن عليه ولا خلق فمن أجلك يخلق، فكن في مقابلة هذا الأمر، واشتغل به، وكن أنت كل يوم في شأن ربك، كما أن ربك هو في شأنك، وأنه ما خلقك إلا لتعبده وتحقق به لا لتطلب الشغل بغيره.

وما سواك وسواه رزق لك فإليك يصل: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطِيعُونِ﴾^(٥) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ^(٥).

فإذا قال لك: خذ. فقل: أنت.

وإذا قال لك: ارجع. فقل: منك إليك.

وإذا قال لك: كيف أقول لك خذ فتقول أنت، وأنا لا أتخذ؟

فقل له: وكذلك أنا على الحقيقة لا آخذ. فإن الأخذ فعل، ولا فعل لي. وأنت الآخذ،

(١) القرآن الكريم، سورة النور، الآية رقم (٣٥).

(٢) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية رقم (١٩).

(٣) القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية رقم (١٢).

(٤) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية رقم (٢٩).

(٥) القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآيات رقم (٥٧ و ٥٨).

إذ أنت الفاعل، فخذ أنت لي ما أعطيتني ولا تقل لي خذ يا من لا يأخذ فتحجبني بالأخذ عنك ولا أخذ لي فلا أنت لي، ولا أخذ لي. فأحصل في العدم، وهو أشدُّ الشرِّ، وإلا فالإقالة الإقالة من هذا الخطاب المهلك. يا من يدرك ولا يدرك ويملك ولا يملك.

وربما يقام لك في بعض هذه المواطن الدين المستقيم، الحكمي، النبوي، الاختصاصي، الخالصي. والدين غير المستقيم الحكمي، الممزوج الفكري، العقلي، وتميز بينهما، وترى غاية كل طريق منهما الحق سبحانه وتعالى من حيث سعادتك، لا من حيث الشقاوة. فاسلك دين الاختصاص، الخالص، النبوي، فإنه أرفع وأنفع. وإن كان الآخر رفيع المنار، ولكن بوجود هذا الآخر يضمحل رسمه. وإن كان حقاً من وجه، وربما لو كان واضعه في عالم الأحياء حاضر الرجوع إلى دين الاختصاص النبوي، ترى الدين الاختصاصي يرجع من وجه، أو بعض وجوهه إلى دين الاختصاص الخالص نسخاً. أليست الشرائع التي كانت عليها الأمم من قبل، كأمة موسى وعيسى (عليهما السلام) قد نسخ بعض وجوهها شرع سيدنا محمد ﷺ وقال: (لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني)^(١).

فأحرى الشرع الحكمي الابتداعي الفكري، وهو أولى بالرفع، وإن كان حقاً كما ذكرناه من وجه ثم لتعلم أن أشقى الأشتياء صاحب كتاب ضل واتبع هواه مع إيمانه بكتابه. ولكن هنا نقطة أحب بيانها، وإن قليلاً ما يقع التنبيه عليها، وربما غلط فيها قوم من حيث الجواز الإمكاناني والوجود، قد ثبت على إحدى طرفي الممكن فلا سبيل إلى انقلابه، وهو أن الحق سبحانه ما تجلّى بشيء قط واحتجب عنه، ولا كتب في قلب إيماناً فمجاه. وكل ما قال: استتر عني بعد التجلي، فما تجلّى له قط ولكن جلي له.

فقال: هو هو. ولا ثبات للكون على حال. فتغير عليه. فقال بالحجاب فكذلك كتبه الإيمان، وإتيان الآيات والبيّنات، إذا أعطيت في القلوب وقامت شواهدا منها. فلا تُزال أبداً. فإذا أزيل عن شخص مثل هذا فاعلم أنه ما كتب قط في لوح قلبه، ولا كان ردّاً عليها، لكن كانت ردّاً عليه. وأعطى عبارتها ولسانها لأعبانها ووجودها. فمثل هذا العطاء يستردُّ ويُزال.

ولذلك قال: ﴿وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَآلَسَكَ مِنْهَا﴾^(٢). فقوله: فانسلخ

(١) حديث: (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) انظره في أبجد العلوم ج ١، ص ٢٢٨، مقدمة ابن خلدون، ج ١، ص ٤٣٦، والإصابة ج ٢، ص ٢٩٩..

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية رقم (١٧٥).

منها، كما يسليخ الرجل عن ثوبه، والحية عن جلدها فكانت عليه رداً كما ذكرنا. لم يكن عنده سوى النطق. فإذا نطق ظهر مكنون الاسم وأثره بالخاصية، ولا يشترط في الخواص المفردة تطهير، ولا تقديس، ولا حضور، ولا جمعية.

فلا كفر، ولا إيمان إلا بمجرد ما يكون النطق بتلك الحروف المعينة ظهر الأثر. ولو كان القائل غافلاً عن نطقه. وقد اتفق مثل هذا لبعض أصحابنا، وهو يقرأ القرآن. فمرُّ بآية فرأى أثراً عندها فتعجب من ذلك، ولم يدرك ما سببه فتفطن لقراءته على الآيات المتقدّرات فقرأ، فلما وصل إلى آية معينة رأى الانفعال. فكلمها كزهرها رأى الانفعال، وعرف أن الآية صادفت عند التلاوة محلّها الذي تفعل فيه بالخاصية فاتخذها اسماً. فكان يفعل به ذلك الأمر متى شاء. فمثل هذا لا يغتر به المحقق، وإنما فرحه بما تحقق به.

كما قيل لأبي يزيد: ما اسم الله الأعظم؟

فقال: اصدق، وخذ أي اسم شئت.

وأحاله على التحقيق لا على النطق واللفظ.

فقال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ﴾^(١).

وللقلب وجهان:

ظاهر، وباطن.

فباطنه: لا يقبل المحو. بل هو إثبات مجرد محقق.

وظاهره: يقبل المحو. هو لوح المحو والإثبات. فيثبت فيه وقتاً أمر ما ثم: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢). فلو كان صاحب الكتاب مؤمناً بكل كتابه ما ضل أبداً. ولكن آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نَحْنُ بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٣) أَوَلَيْكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا^(٤).

(١) القرآن الكريم، سورة المجادلة، الآية رقم (٢٢).

(٢) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية رقم (٣٩).

(٣) القرآن الكريم، سورة النساء، الآيات رقم (١٥٠، ١٥١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾^(١).

وبهذه المثابة هم أصحاب علم الرسوم، وأكثر أهل النظر الفكري من الفلاسفة وأصحاب الكلام، يصدقون ببعض ما يأتي به أولياء الله مما يتحققون به من المواجهيد والأسرار، التي شاهدها ووجدوها. فما وافق نظرهم وعلمهم صدقوا به، وما لم يوافق نظرهم وعلمهم ردّوه وأنكروه. وقالوا: هذا باطل لمخالفة دليلنا. ولعل دليل هذا المسكين لم يكمل أركانه. وهو يتخيل أنه كامل. فهلا سلّم هذا القول لصاحبه، ولا يلزمه التصديق فكان يجني ثمرة التسليم، وأنا والله أخاف على المنكرين على هذه الطائفة.

وقد قال بعضهم: من قعد معهم - يعني مع أهل الحقائق من الصوفية - وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه.

وقد سأل بعض النظار ممن يدّعي الحكمة بعض المحققين من أهل الوجود عن مسألة، وأنا حاضر، وطلبته تعود، فأخذ المحقق يتكلم في تلك المسألة. فقال له الناظر: هذا لا يصح عندي. فبيته لي، فلعلّي فيه على غلط. فعرف المحقق أنها قوله واهية منه فسكت عنه من أجل الجدل والخصام. فإنهم لا يقولون به لما فيه من سوء الأدب، ورفع البركة.

قال رحمه الله: وقد تنازع أصحابه عنده: (عندي لا ينبغي التنازع)^(٢).

وقال رحمه الله: (أريت ليلة القدر، فتلاحى رجلان، فزُفعت)^(٣).

فطريق الكشف والشهود لا تحتل المجادلة والرّد على قائله، وحرمانه يعود على المنكر وصاحب الوجود مسعود بما حصل عليه فقام واحد من طلبة ذلك الشيخ وقال للنظار:

المسألة التي أورها سيدنا في غاية الإيضاح صحيحة وإن لم أقدر على العبارة عنها.

فقال الفقيه: كلام مليح مزخرف حسن النسخ تقبله العقول بأول وهلة، فإذا حككته في

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم (٦).

(٢) حديث: (عندي لا ينبغي التنازع)، رواه البخاري في العلم ٢٩، والجهاد ١٧٦، والحزبية ٦، والمغازي ٨٣. ورواه مسلم في الوصية ٢٠، ورواه أحمد بن حنبل في المسند ١٩٦/٢. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

(٣) حديث: (أريت ليلة القدر فتلاحى رجلان فزُفعت)، رواه البخاري في ليلة القدر ٤، والأدب ٤٤، ورواه الدارمي في الصوم ٥٦، ورواه الموطأ في الاعتكاف ١٣، ورواه أحمد بن حنبل ٢١٣/٥، ٣١٩.

محلكَ النظر، وسبرته بالأدلة ذهب ولم يكن له وجود، وكان باطلاً محضاً. مثل هذه المسألة التي أوردها سيدنا الساعة.

فسكت ذلك الشيخ عن الكلام فيها، ولم يتفطن الناظر فيما قاله وما جرى على لسانه. وكان ذلك تعريفاً لهذا المحقق بما في نفس هذا الناظر، ليمسك عن الكلام معه في مثل هذه الأمور.

ثم لتعلم أن الإيمان المؤيد بالأعمال الصالحة أقسامه في يد الحضرة المقدسة. فيرى عند إقامته فيها تفجّر أنهار العلوم والمعارف والحكم والأسرار من بين تلك الأنامل ويرى ما ملكته تلك اليد لأصحاب المقامات المحمدية فتغذى بذلك روحانية ساكن هذه الحضرة. وهي رابعة أربعة كلهم مشتركون في هذا المقام الأقدس. فهذه حضرة الإقامة.

والثانية: حضرة النور.

والثالثة: حضرة العقل.

والرابعة: حضرة الإنسان.

وحضرة الإنسان أتمّ الحضرات وجوداً، فحضرة الإقامة إذا نزلها العبد شرب من نهر الديمومية، وأنتج له هذا المقام بهذه الحضرة مقام الخشية الربانية، والرضا الإلهي.

فإن الخشية الإلهية تفتح حضرة أخرى غير هذه. سيرد ذكرها في «الفتوحات المكية»، وكذلك خشية الهوية سترد أيضاً في منازل «الفتوحات المكية» سكتنا عنهما.

وهذا المنزل الذي تكلمنا عليه في هذا الكتاب، فهو منازل الفناء وطلوع الشمس، وله مرتبة الإحسان الذي يراك به لا الإحسان الذي تراه به.

قال جبريل ﷺ للنبي ﷺ: ما الإحسان؟

قال: أن تعبد الله كأنك تراه^(١).

وأشار لأهل الإشارات بقوله: (فإن لم تكن تراه...). أي: رؤيته لا تكون إلا بفنائك عنك. وأثبت الألف من «تراه»، لأجل ظهوره لتعلق الرؤية، إذ لو حذفها وقال: (فإن لم تكن

(١) حديث: (ما الإحسان؟ أن تعبد الله....)، رواه البخاري في الإيمان ٣٧، وتفسير سورة (٣١)، ورواه

مسلم في الإيمان ١، ٥، ٧، ورواه النسائي في الإيمان ٥، ٦.

انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ٢٠١/٢.

تره) لم يصح الرؤية فإن «الهاء» من «تراه» كناية عن الغائب، والغائب لا يُرى والألف محذوفة. فكان يرى بلا رؤية. هذا لا يصح فلهذا ثبت.

وأما حُكْمُ ثبوت الهاء فإنه كان معنى (فإن لم تكن تراه). إشارة إلى أنك إذا رأيت، بوجود الألف، فلا تقل أحطت فإنه تعالى يجلّ ويعزّ عن أن يحاط به، وما لم يحط به. فتكون «الهاء» الذي هو ضمير ما غاب عنك من حقيقة الحق عند الرؤية تشهد لك بعدم الإحاطة.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

تمّ الكتاب، بحمد الله الملك الوهاب

رسائل ابن عربي

تاج التراجم والقسم الإلهي والأحدية
وحلية الأبدال ورسائل أخرى

هذا هو «المجلد الخامس» من رسائل محيي الدين بن عربي. فإنه يحتوي على ثماني رسائل كتبت في فترات متفاوتة ، هذه الأعمال لابن عربي كتبت بالنور لا بالفكر العام . والفرق بينهما أن صاحب الفكر يظن ظناً ، أما صاحب النور الذوقي فإنه يكتب ما يُملى عليه من القلب . والقلب يأخذ من عند ربه .

اقرأ هذه الرسائل ، وادخل عليها بروحك لا بعقلك فقط . فإن دخلت عليها بعقلك فقط فإنك لن تقرأ إلا نفسك . وإن دخلت عليها بروحك امتلأ قلبك نوراً ، وعقلك حكمة ، وازدادت بصيرة على البصر والفكر . فلا تحرم نفسك من النور ، واقتنع بأن هناك إدراك أعلى للروح . فزكّها بالذكر تعطك الكثير والكثير . وتحبّي إليك ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه تعالى .